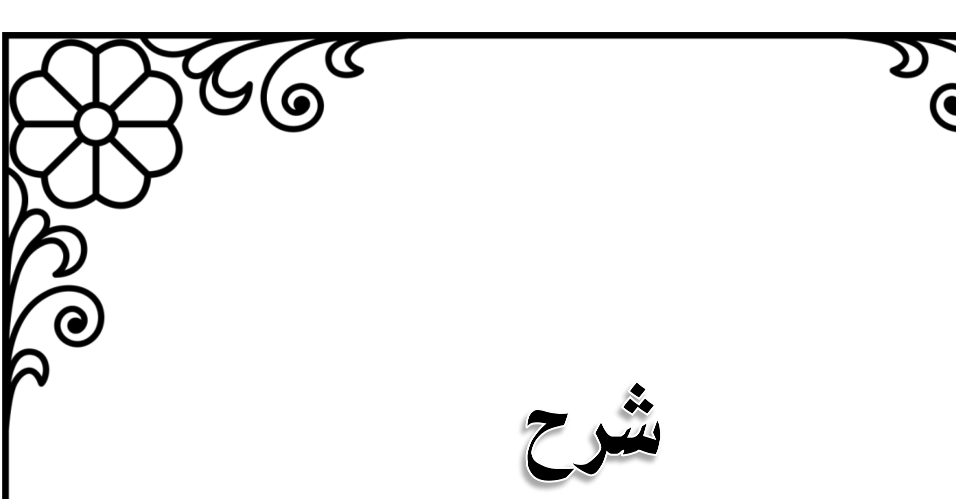


شرح

العقيدة الطحاوية

للشيخ الفاضل:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيىٰ بن زيد الحجوري الزُّعكري



شرح

العقيدة الطحاوية

الطبعة الأولىٰ



بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحَيمِ

ترجمة المؤلف

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذا شرح مختصر علىٰ العقيدة الطحاوية، كان أصله تدريسها في مسجد الصحابة بالغيضة، وبالله التوفيق.

ترجمة المصنف:

❁ اسمه ومولده:

العلامة: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، الأزدي الحنفي المصري موطنًا الحجري اليمني أصيلة، ومن مواليد مئتين وتسعة وثلاثين هجري، وكانت وفاته في عام ثلاث مئة وواحد وعشرين.

❁ طلبه للعلم:

أخذ العلم عن ثلاثمئة شيخ تقريبًا، وبرع بالحديث والفقه علىٰ مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت.

❁ كتبه:

- **له تصانيف متعددة منها:** "مشكل الآثار" و"شرح معاني الآثار"، و"أحكام القرآن"، و"مختصر اختلاف العلماء".

- **وهو أكثر** من خدم المذهب الحنفي، وذلك أن المذهب الحنفي كان قائمًا علىٰ الرأي، فجاء الطحاوي وجمع له الادلة، لا سيما في كتابه "شرح معاني الآثار"، وهو كتاب نفيس لا يستغنىٰ عنه.

- **وكان الطحاوي** رحمه الله علىٰ مذهب الشافعي، وخاله هو إسماعيل بن يحيىٰ المزني المتوفي سنة (٢٦٤هـ) من أخص تلاميذ الشافعي، إلا أن خاله كان يكثر النظر، في كتب أبي حنيفة ومسائله، فتأثر به أبو جعفر، ثم سار علىٰ مذهب أبي حنيفة.

ومذهب أبي حنيفة وإن كان كثير من العلماء يثنون عليه من جهة الاستنباطات الفقهية والمسائل، إلا أنه مذهب قائم علىٰ الرأي، وقد تكلم فيه العلماء قديمًا وحديثًا وذموه، وتكلموا في أبي حنيفة وذموه، وممن صنع ذلك عبدالله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في كتابه "السُنة".

إذ جعل فصلًا كاملًا في الرد علىٰ أبي حنيفة، وبيان أقوال أهل العلم فيه، وهكذا الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد"، والإمام أبو بكر بن أبي شيبة، في آخر كتابه المصنف، كتابًا كاملًا في الرد علىٰ أبي حنيفة، وهكذا شيخنا مقبل جمع ما تفرق في كتابه "نشر الصحيفة في الصحيح من أقوال أهل العلم في أبي حنيفة".

ورد عليه الكوثري الحنفي بكتاب بعنوان "التأنيب لما في تأريخ الخطيب" طعن في علماء السلف ومذهبهم، فرد عليه المعلمي بمجلد وعدة رسائل، **وكان آخرها**: "التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل".

۞ فالشاهد: أن أبا جعفر سار علىٰ هذا المذهب والطريق، لكنه خدمه من حيث أنه جاء بأدلة ونقولات للآثار، علىٰ كثير من المسائل الفقهية، التي كانت عارية عن الدليل، وإنما هي قائمة علىٰ الرأي، ومع ذلك مذهب أبي حنيفة كغيره من المذاهب، يجب فيها الرجوع إلىٰ الكتاب والسُنة، والأخذ بما كان عليه سلف الأمة، فإن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، لم يكونوا من مذهب الشافعي، ولا مالك، ولا أحمد ولا أبي حنيفة، وإنما كان طريقهم الكتاب والسنة.

ثم إن هؤلاء الأئمة أنفسهم كانوا يدعون إلىٰ طريق النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

فالشافعي يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وأحمد يقول: عجبتُ لمن عرف الإسناد وصحته ثم يذهب إلىٰ قول سفيان، وهكذا أُثر نحو هذا عن مالك وأبي حنيفة، فالحجة في كتاب الله وفي سُنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

- **العقيدة الطحاوية هي عقيدة مهمة**؛ فهي من أول ما صُنف في هذا الباب، تصنيف مستقلًا، واستفاد منها العلماء قديمًا وحديثًا، وحُفظَت، وشُرحت في مختصرات ومطولات إلا أنها عقيدة لم تخلو من أخطاء، وبعض الأخطاء دون

بعض، فبعضها يخالف معتقد السلف أصحاب الحديث، وبعضها يُحتمل، **لكن الأولىٰ**: أن يُعبرَ بغيره، وأن يأتي بما هو سالم من الانتقاد، ومع ذلك ينبغي لطالب العلم أن يدرسها لأمرين:

الأول: لما تضمنته من عقيدة السلف أصحاب الحديث، فقد حوت مسائل كثيرة في طياتها، تتكلم عن اعتقاد أهل السنة والجماعة.

الثاني: أنها عقيدة مشهورة، فإن لم يعرف الطالب ما يُنتقد عليها، ربما وجد من يتأثر بها، ولا يستطيع أن يرد عليه، أو يبين ما فيها، **ومن أحسن شروحها**: شروح محمد بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي المتوفي سنة (٧٩٢هـ).

- وإن دراسة العقيدة الصحيحة من المهمات المتحتمات والأمور الواجبات، فيجب أن تكون من أول ما يُتعلم ويَعلّم؛ لحديث جندب رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا[١].

ولأهميتها أَلفَّ العلماء في العقيدة الكتب المطولة والمختصرة، ومن هذه الكتب كتاب: "الشريعة" للآجري، وهو أبو بكر محمد بن الحسين رحمه الله، وكتاب: "السُنة" لعبدالله بن الإمام أحمد رحمه الله، وكتاب: "أصول السُنة"، للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكتاب: "الإبانة عن أصول الديانة" لابن بطة العكبري رحمه الله، وكتاب: "الحجة في بيان المحجة" للأصفهاني رحمه الله،

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٦١).

وكتاب: "خلق أفعال العباد" للبخاري رحمه الله، وكتاب: "السُنة" لابن أبي عاصم رحمه الله، وكتاب: "التوحيد" لابن خزيمة رحمه الله، وكتاب: "السُنة" للخلال رحمه الله، وكتاب: "أصول السُنة" لابن أبي زمنين رحمه اللهء، ولي شرح عليه إلا أنه يحتاج إلىٰ ترتيب، وكتاب: "اعتقاد أهل الحديث لأبي بكر الإسماعيلي رحمه الله، وكتاب: "اعتقاد السلف أصحاب الحديث" للصابوني رحمه الله، وكتاب: "السُنة" للمروزي رحمه الله، وكتاب: "شرح اعتقاد أصول أهل السُنة والجماعة" للألكائي رحمه الله، وغير ذلك.

- **أما من حيث الكتب المتضمنة فأعظمها وأجلها** كتاب الله عز وجل، الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وكذلك ما تضمنه: "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم"، وما تضمنته المسانيد والسنن والمعاجم، وكل هذا من باب حفظ الله عز وجل دينه.

إذن فدراسة العقيدة السلفية التي تدل عليها الأدلة النبوية عن محمد خير البرية صلىٰ الله عليه وسلم، والآثار المروية عمن صار علىٰ الطريقة المرضية، وهم الصحابة ومن تبعهم.

- **وكتاب** (**العقيدة الطحاوية**) كتاب مشهور ومتداول بين طلاب العلم وهو من أنفس ما كتب في العقيدة لاختصار عبارته وكثرة مسائله ويعوزه شيء من الترتيب لا سيما في باب القدر إذ فرقَ الكلام عليه، وكرر في عدة مواطن، بينما لو وضعه في موطن واحد لكان أولىٰ وأحرىٰ.

وعليه عدة انتقادات بلغت ثلاثة عشر علىٰ ما بينته في رسالتي (**التعليقات السلفية فيما انتقد علىٰ الطحاوية**).

وعليه شروح كثيرة أحسنها شرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله حيث جلىٰ مسائله بأدلتها وتعقبه في كثير من الزلات فرحمهم الله جميعًا.

وابن أبي العز رحمه الله استقىٰ شرحه من كلام ابن القيم، وكلام شيخ الإسلام وهذا ملاحظ وموجود، إلا أنه لم يصرح باسميهما لأن المتعصبة من الأحناف إذا وجدوا أن هذا الكلام ذكره شيخ الإسلام، ذكره ابن القيم تركوه، لشدة تعصبهم، فلذلك جعل ينقل لهم العقيدة السلفية كأنها من قوله، وهو حنفي مثلهم، وكذلك رد علىٰ كثير من المسائل التي خالف فيها الطحاوي رحمه الله، وإن كان في بعض المواطن ربما يلتمس العذر، وبعض المواطن ربما يذهب إلىٰ أن الخلاف بيننا وبينهم لفظي، لكن الصحيح ما سيأتي بيانه في مواطنه إن شاء الله، ومع ذلك فهو شرح حوىٰ كثيرًا من الأدلة والمسائل.

- **وللطحاوية تعليقات لطيفة منها**: تعليقات للشيخ بن باز، وتعليقات للشيخ الألباني رحمهم الله تعالىٰ، وغيرهم من أهل العلم، ومرور الطالب عليه مع التنبه لما انتقد عليها أمر مهم جدًا، وما انتقد عليه منها ما يخالف عقيدة السلف الصالح أصحاب الحديث، ومنها ما لو استخدم غيره أولىٰ، **والحمد لله رب العالمين**.

كتبه: **عبد الحميد بن يحيىٰ الزُّعكري**

شرح العقيدة الطحاوية

بِسمْ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالعاقِبةُ للمُتقين، وَصَلى اللهُ عَلَى سَيدنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ:

الشرح:

افتتح كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل، وتأسيًا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

وقد تكلمنا في غير ما موطن، علىٰ سبب وضع البسملة والحمدلة، في أوائل المصنفات والمؤلفات، وذلك تبركًا بذكر اسم الله عز وجل، وحمدًا لله عز وجل علىٰ نعمه الكثيرة، وآلائه العظيمة، وهكذا استعانة بالله سبحانه وتعالىٰ، علىٰ قضاء الأمور، وتيسير الحاجات، فحالنا معه، كما قال نبينا صلىٰ الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحُزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا»(١).

والبسملة مواطنها كثيرة، وفضائلها جليلة، ذكرت ما يتعلق بذلك في **شرحي للعقيدة الواسطية**، ومثلها (**الحمد لله**)؛ حتىٰ قيل: إنها أفضل من (**لا إله إلا الله**)،

(١) أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" حديث رقم: (٣٥١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهذا يدل علىٰ علو منزلتها عند أهل العلم والشأن، مع أن (**لا إله إلا الله**) أفضل بنص حديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

- **والعالمون**: كل ما سوىٰ الله تعالىٰ، سواءً في ذلك الجن والأنس والملائكة والأرض وما فيها.

وسموا (**عالم**)؛ لأنهم علامة، وآية علىٰ وجود الله، فهذا الكون بما فيه علامة علىٰ قدرة الله تعالىٰ وعلىٰ أن لهذا الكون خالقًا ورازقًا ومالكًا ومدبرًا.

[هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أهل السنة وَالْجَمَاعَةِ، عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أبي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الأنصاريِّ، وَأَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ - رَضيَّ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أصولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ].

الشرح:

- **هذا إشارة إلىٰ** ما سيُذكر في هذا الكتاب، ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، أي: تسطير وتوضيح ما ينبغي أن يسير عليه السني، في باب الاعتقاد.

والعقيدة: هي ما عُقد عليه القلب.

والعقيدة الصحيحة: هي الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وهي مشتقة من عَقدَ الحبل.

ويُذكر أن أول من سمىٰ كتابه بالعقيدة هو الطحاوي رحمه الله، وربما عبر عنه بعض أهل السنة بالشريعة كالآجري، أو بالسنة، كعبد الله بن أحمد، وابن

أبي عاصم، وغيرهم، وربما سموه بالإيمان، كما ألف غير واحد من أهل العلم في هذا الباب.

والاهتمام بالعقيدة، من الأمور المهمة، فإن النبي صلىٰ الله وسلم، مكث في مكة فترة من الزمن، إنما يدعو إليها، قبل أن تُفرض الأحكام.

والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يدعو الناس إلىٰ الإيمان بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلىٰ الله عليه وسلم رسولًا، ويدعوهم إلىٰ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذا يُعلمُ بتتبع سيرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهكذا يستمر في الدعوة إلىٰ العقيدة حتىٰ يلقىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فالعقيدة هي أُسُّ الأمر، وأساسه، فلا صلاح لدين عبد مع فساد العقيدة، ولهذا تجد أن الناس يهتمون بالعقيدة أولًا؛ قال رسول الله صلىٰ الله علي وسلم: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(١)].

وإياك أن تلتفت، إلىٰ من يزهد في تعلم العقيدة، أو يعتقد أن كتب العقيدة كتب صفراء غير مفيدة، أو كتب جافة، هذا كله من الطعن في دين الله عز وجل.

ففي حديث جندب رضي الله عنه: (**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ** صلىٰ الله عليه وسلم **وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**)، قال: (**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ**) أي: العقيدة الصحيحة، (**ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ**،

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)؛ لما فيه من الأدلة الدالة علىٰ ما تعلموا من العقائد الصحيحة، وقد سَأَلَ النبي صلىٰ الله عليه وسلم الجارية: «أَيْنَ اللَّهُ ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا ؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(١)]، أمر بإعتاقها؛ لما علم سلامة عقيدتها.

وينزل جبريل عليه السلام إلىٰ نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، يسأله عن العقيدة كما في حديث جبريل الطويل قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ، يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣٣-(٥٣٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١-(٨) عن عمر رضي الله عنه.

- **والعقيدة أولا**؛ فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن، قال: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**»، وفي رواية: «**أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، وفي رواية: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[1].

فأهل السنة، لما سَلمت عقائدهم، وإن وقعت منهم مخالفات شرعية في باب العمل، أو في غير ذلك من الأبواب، كان أمرهم أهون، مع أن فاعل الكبيرة فاسق بكبيرته، ويُخشىٰ عليه من عذاب الله عز وجل إن مات قبل أن يتوب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، لكنهم أحسن حالًا، بمفاوز ممن فسدت عقائدهم وحسنت معاملاتهم.

- **وكما قال بعضهم**: فساق أهل السنة أولياء الله، وعباد أهل البدعة أعداء الله، فينبغي ألا نزهد في تعلم العقيدة وتعليمها، **لأمور**:

الأول: **أنها من أساسيات الدين، الذي أنزله الله عز وجل إلىٰ أهل الأرض**، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.

الثاني: **أنه قد اتفق عليها جميع الرسل**، فما اتفق عليه جميع الرسل يدل علىٰ أهميته.

الثالث: **أن الله عز وجل أنزل بها الكتب**، فهي مبنية علىٰ الوحي، إذ أنها من أمور الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩-(١٩).

الرابع: **أنها إجماع الصحابة**، فلم يختلف الصحابة رضوان عليهم في العقيدة، مع اختلافهم في الأحكام، وغير ذلك من الأمور.

الخامس: **أنها سبب الاجتماع**، فإذا صلحت العقائد اجتمع الناس علىٰ دين الله، قال تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

وإذا فسدت العقائد، فهي الفرقة كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(١)].

السادس: **أنها يسأل عنها في القبر**، فيُسأل عن العقيدة، قبل كل شيء، من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ وفي رواية: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ»[(٢)].

السابع: أن صلاحها صلاح لما سواها، وفسادها فساد لما سواها؛ إلىٰ غير ذلك من الأوجه.

قوله: (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ): أي: أصحاب الطريقة الصحيحة، **فالسنة في اللغة هي**: **الطريقة في الخير والشر، لكن عند إطلاقها هي**: طريقة النبي صلىٰ الله عليه وسلم القولية والفعلية والاعتقادية؛ قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، **فالحكمة**: هي السنة.

---

(١) أخرجه الطبراني في "الأوسط" حديث رقم: (٧٨٤٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٥٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.



وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.

وقال الله عز وجل:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، في آيات كثيرات، يحثنا ربنا وتعالىٰ علىٰ التمسك بسنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وطريقته وهديه، وهكذا نبينا صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢) عن العرباض بن سارية.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(١)].

فصلاح الأعمال ظاهرًا وباطنًا عائد إلىٰ التمسك بسنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

وسُموا بأهل السنة؛ لاعتقادهم لها، ولسيرهم عليها، ولتعظيمهم لها، ولمجانبتهم للبدعة التي هي الدين الذي لم يشرعه الله.

فقولنا: (**هي الدين**) أي: هي الأمور التي يُتعبد لله عز وجل بها.

وقولنا: (**لم يشرعها الله**) أي: لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة، وأغلب ما تقوم عليه الرأي والهوىٰ، وتقديم العقل علىٰ النقل والقياس الفاسد.

- ومن أسماء أهل السنة: (**الجماعة**)، وسموا بالجماعة؛ لاجتماعهم علىٰ الحق. وأصل الجماعة: الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث يدخلون فيها دخولًا أوليًا، فهم المجتمعون علىٰ الحق، وهم الدعاة إلىٰ الحق، وهم المناصرون والمبلغون للحق.

- ومن أسمائهم أيضًا: (**أهل الحديث**)؛ لأخذهم بحديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وتقديمهم له، والحفظ له والعمل به.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: ١٧-(١٧١٨).

- وسموا بـ(**أهل الأثر**)، لأخذهم بالآثار، وتطبيقها في حياتهم العلمية والعملية؛ حتىٰ قال الإمام أحمد: (**إن استطعت ألا تحك ظهرك إلا بأثر فافعل**).

وكانوا ينتقدون من يخالف الآثار السلفية، والطرق المروية.

وفي قول الأوزاعي: (عليك بآثار من سلف، وإن كرهك الناس).

فالدين مبني علىٰ الأخذ بالأثر، والسير عليه.

- ومن أسمائهم: (**السلفيون**)، سموا بهذا الاسم نسبة إلىٰ السلف.

وهذه المسميات التي يُتسمىٰ بها أهل السُنة والجماعة مشتقة من الحق الذي يسيرون عليه، وليست بأسماء محدثة، ولا مبتدعة، بل لكل اسم منها أدلته الدالة عليه، لو لا أن هذا ليس موطن بسط.

بخلاف أهل البدعة والشناعة، فإن أسماءهم مأخوذة من بدعهم، ومن أسماء مؤسسيهم، ومن طرقهم المحدثة؛ ولهذا تجد من قول علماء السُنة: ومن تسمىٰ بغير السُنة والإسلام فليس من أهل السنة.

فالإخوان، والصوفية، والجهمية، والمعتزلة، والإباضية وأمثالهم، انظر كيف يتركون التسمي بطريقة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، والانتساب إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ثم يتسمون بغير اسمه، وبغير طريقته، بل ويتخذون هذه الأسماء المحدثة، للولاء والبراء الضيق، يعادون ويوالون عليها، ويحبون ويبغضون فيها، بينما يجب أن يكون المؤمن حبه وبغضه لله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وفي الحديث: «فَإِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ، الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»[1].

وقد يقول قائل: لماذا لا تتسمون باسم الإسلام؟ مع أن الله عز وجل قد أخبرنا: أن إبراهيم عليه السلام، سمانا بهذا الاسم، وارتضاه الله عز وجل لنا، وهكذا نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، لم يكن عنده غير هذا الاسم، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾؟

الجواب: يقال لهم بأن هذه الأسماء وضعت لتمييز أهل الإسلام الخالص، عن غيره من المخالفين، وذلك أنه لما بُعث النبي صلىٰ الله عليه وسلم، كان أهل الحق يسمون بالمسلمين، ثم إنها حدثت البدع والأهواء، فاحتاج أهل السنة والجماعة أن يتميزوا عن بقية المسلمين باسم يكون خاصًا بهم، حتىٰ لا يلتبس الأمر، فنسبوا أنفسهم إلىٰ السنة والجماعة، فلما حصل الرأي أرادوا أن يتميزوا عن الرأي وأهله، فسموا أنفسهم بأهل الحديث والأثر، فلما حصلت كثير من البدع وانتسب أصحابها إلىٰ السنة، فقالوا نحن أهل سنة، يحتاجوا أن يتميزوا عنهم بالانتساب إلىٰ السلفية، أي: نحن علىٰ السنة التي هي علىٰ طريقة السلف رضوان الله عليهم.

قوله: (عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ): المذهب هو الطريق، قال ابن تيمية رحمه الله:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ❁❁ رزق الهدىٰ من للهداية يسألُ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في منصفه حديث رقم: (٣٢١)، وجاء عند أحمد بنحوه رقم: (١٨٥٢٤).

أي: عن طريقتي التي أسير عليها. وأما المذهبية المعروفة الآن، فهي من المخالفات الشرعية، التي لم يدل عليها دليل من كتاب ربنا، ولا من سنة نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، فإن الأدلة آمرة لنا بالسير علىٰ طريقة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، لا السير علىٰ طريقة الفقهاء الأربعة.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، لكن مع ذلك يستفاد من علم العلماء، ومن ترجيحاتهم وتفسيراتهم، ومن غير ذلك مما سطروه في كتبهم، من غير تعصب، والمذاهب المشهورة الآن المذهب الحنبلي المنسوب إلىٰ الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله، إمام أهل السنة والجماعة، وهو أقرب المذاهب إلىٰ طريقة السلف أصحاب الحديث.

- **أما في العقائد فلا شك ولا ريب**، وهكذا في العبادات، إلا أنه وقع في بعض المتأخرين منه، بعض النزعات الاعتزالية أو ربما الأشعرية، نسأل الله السلامة.

- **وأما المذهب الشافعي** فهو المنسوب إلىٰ الإمام محمد بن إدريس الشافعي المُطَلبي، وهو من أئمة أهل السنة والجماعة، إلا أن الغالب علىٰ كثير من اتباعه المتأخرين الأشعرية والتأثر بها، وهكذا في باب العبادات التصوف، نسأل الله السلامة.

- **وهكذا** المذهب المنسوب إلىٰ الإمام مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة ومفتيها، **والأصل**: أنها كانت علىٰ طريقة السلف في العقيدة، لكن قد انحرفت فأصبح أكثر المالكية أشاعرة، وما إليهم.

- **وأما مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت**؛ فهو من أصله وأُسِه، مبني علىٰ الرأي، ومبني علىٰ الإرجاء، ومبني علىٰ غير ذلك من المخالفات الشرعية، نسأل الله السلامة؛ لأنه مذهب بُنِيَّ كما ذكر بعضهم علىٰ مئة وعشرين حديثًا، أربعون منها صحيحة، وثمانون ضعيفة، فهو قائم علىٰ الرأي.

وأبو حنيفة النعمان، تعصب له أقوام وغلو فيه كالأحناف، وذمه أقوام وشنعوا عليه، وتوسط أقوام ولم يتعصبوا له، وإنما ذكروه بما فيه من الأخطاء المحدثة، فأخطاؤه كثيرة سواء في رد سنة النبي صلىٰ وسلم أو في تقديم الرأي علىٰ النقل.

قوله: (فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ): هذا ليس علىٰ إطلاقه، فهم من الفقهاء، وهنالك من هو أفقه منهم وأحسن حالًا في العقيدة منهم.

قوله: (أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ): المتوفي سنة (١٥٠هـ).

قوله: (وأَبِي يوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيِّ): ولد سنة (١٢٠هـ)، وتوفي سنة (١٨٢هـ) حدث عن هشام بن عروة، وطبقتهُ سمع منه أحمد وغيره، وهو من أئمة المذهب الحنفي، **ومن عجيب صنيعه**: أنه حُكِمَّ في قضية من القضايا بقتل

مسلم بيهودي، مع أن المسلم لو قتل الكافر لا يقتل به، ولو تعمد في ذلك، إلا إذا قُتِلَ تعزيرًا، إذا كان شرهُ مستطيرًا.

أما أن يُقتل حدًا فلا يجوز قتل المسلم بالكافر، لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»[(١)].

فكان من شعر بعضهم:

يــا قاتــل المســلم بالكــافر ❁❁ جــرت ومــا العــادل كالجــائرِ

قولــوا لبغــداد ومــن حولهــا ❁❁ مــن فقهــاء النــاس أو شــاعرِ

قـد جـار في الحكـم أبـو يوسـف ❁❁ إذ يقتــل المســلم بالكــافرِ

فأرسل إليه الأمير وأمره أن يغير الحكم، لكنه لم يغير الحكم بناء علىٰ القول الصحيح، وإنما غيره طعنًا في الشهود الذين شهدوا في الواقعة.

قوله: (وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ): ولد سنة (١٣٢هـ) وتوفي سنة (١٨٩هـ)، من أئمة الحنفية وغلب عليه الرأي، وله مسائل مروية استفادها الإمام أحمد، وتتلمذ عليه الشافعي وغيره، وليَّ القضاء للرشيد بعد أبي يوسف القاضي.

قوله: (رَضِيَّ اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ): هذا من باب الدعاء لا الإخبار؛ فإنما يكون إخبارًا في حق الصحابة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٤٧).

قوله: (**وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أصولِ الدِّينِ**): تقسيم الدين إلىٰ: (**أصول وفروع**)، ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ أنها من التقسيمات المبتدعة، التي لا يدل عليها كتاب ولا سنة، ومما يدل علىٰ ابتداعها أن أصحابها لم ينضبطوا في تعريفها وبيانها، فقال بعضهم هي ما عُقد عليه في القلب، وقال بعضهم هي أركان الإسلام، وقال بعضهم هي الواجبات، فإذ لم ينضبطوا دل علىٰ أن هذا لفظ محدث، لم يكن في كتاب ربنا، ولا في سنة نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، وينبغي أن نُعَبِر بما عبر به السلف: من أن منه فرائضًا وحدودًا وشرائعَ وسننًا.

- **ويقصدون بالفروع في الغالب**: مسائل العمل والعبادة.

وأسوء من هذا التقسيم: تقسيم الدين إلىٰ (**قشور ولِباب**)، فهو تقسيم سيء جدًا، سلك عليه ودرج الحزبيون، ومن سار علىٰ سيرهم، فالدين دين الله، وحي من الله، ليس فيه قشر ولا شيء من ذلك، وإنما كله وحي الله.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[(١)].

قوله: (**وَيَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**): الديـن: هو ما يُدان به، ويتعبد به لله سبحانه وتعالىٰ، (**لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) هو الله سبحانه وتعالىٰ، وقد فُسِرَّ (**رب العالمين**) في القرآن، بقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهكذا في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٥٨-(٣٥).

فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ* قَال ربُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

- **والعالم هو**: ما سوىٰ الله عز وجل من المخلوقات، **وقيل**: أهل التكليف.

[نَقُولُ فِي تَوحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ].

الشرح:

قوله: (**نَقُولُ فِي تَوحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ**): بدأ رحمه الله تعالىٰ، في الكلام علىٰ التوحيد، **والمعنىٰ**: نقول بألسنتنا ونعتقد في قلوبنا: أن الله واحد لا شريك له لا في ربوبيته، ولا ألوهيتِهِ، ولا أسمائه وصفاته.

- **واعلم أن** التوحيد أول الأمر وآخره؛ فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه.

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»، أخرجه مسلم عن طارق بن أشيم.

وهكذا جاء بلفظ مقارب لحديث ابن عمر، عن عمر رضي الله عنه، وعن أبي هريرة وجابر وكلها في "الصحيح": «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يسير في الأسواق، ويقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»، أخرجه الدارقطني عن طارق المحاربي، وقال لعمه أبي طالب «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». متفق عليه عن المسيب بن حزن رضي الله عنه.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّه وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّه وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» أخرجه الحاكم عن معاذ، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة، وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» أخرجه مسلم.

- والتوحيد حق الله علىٰ العبيد؛ ففي حديث معاذ بن جبل، وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنهما: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عز وجل أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» متفق عليه.

والشفاعة إنما تنال هذا الصنف، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ».

وفي "الصحيحين"، عن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».

فأول ما يجب أن يدعىٰ إليه: (التوحيد) قبل أن تدعو إلىٰ الصلاة والصيام والحج والقيام، وقبل أن تنهىٰ عن كل معصية، ادعُ إلىٰ التوحيد، وحذر من الشرك والتنديد؛ ففي "الصحيحين": أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما بعث

معاذًا إلىٰ اليمن: قال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ»، وفي رواية: «أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عز وجل»،وفي رواية: «إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

- **وهكذا:** قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ..»، وفي رواية: «عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ»[(١)]، فبدأ بالتوحيد.

❁ **والتوحيد ثلاثة أقسام:** -ومعرفة هذا التقسيم من المهمات؛ لأن أهل البدع يرفضونه ويردونه، **والسبب في رفضهم له:** أن هذا التقسيم يبين أن كثيرًا منهم، ليسوا من أهل التوحيد، لا سيما عباد القبور والأضرحة، والمتعلقين بالسحر والتنجيم، وغير ذلك:

- **وأول هذه الأقسام:** (**توحيد الربوبية**): قال الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وفي آيات كثيرة، يقر المشركون بربوبية الله عز وجل، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه.

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

بل أقر بها إبليس، يقول الله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، ويقول: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

وهذا الإقرار بربوبية الله عز وجل للعالم، من هؤلاء المشركين والمنددين، لم يدخلهم في الإسلام.

فلابد أن يجتمع في المؤمن الإيمان بربوبية الله عز وجل، وهو إفراده بالخلق والملك والتدبير مع إفرادِهِ بالألوهية والعبادة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وفي قراءة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

- النوع الثاني: (**توحيد العبادة**): وله أسماء كثيرة، منها: توحيد الطلب، وتوحيد القصد، وتوحيد الإرادة، والتوحيد العملي، وتوحيد الألوهية.

وله من كل اسم من هذه الأسماء معنىٰ، فهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأُنزلت به الكتب، كما تقدم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وهو الذي أنكره من يؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، فإن الله عز وجل لما أرسل إليهم رسولًا يدعونهم إلىٰ

إفراده بالعبادة، قالوا قولتهم المشؤومة: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

فهم يؤمنون بالرب، وأنه الخالق الرازق المالك المدبر، وإن كان يقع منهم شرك في كثير من تفاريع توحيد الربوبية، فليس علىٰ إطلاقه أنهم موحدون في باب الربوبية، **لكنهم في الجملة** يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، لكن مع ذلك يعتقدون في أصنامهم أنها تجلب النفع وتدفع الضر، وهذا من الشرك في الربوبية، ومع إقرارهم بتوحيد الربوبية في الجملة، إلا أنهم كذبوا وعارضوا إفراد الله عز وجل بالعبادة، وأشركوا ونددوا في حجهم وذبحهم ونذرهم وغير ذلك، مما يتعاطونه.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما - قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ»، فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ. أخرجه مسلم.

- فالشاهد: أن توحيد الربوبية وحده لا يكفي في الدخول في الإسلام، فلا بد أن يضيف إليه العبد الإقرار بألوهية الله عز وجل، وهو أفراده بأفعال المكلفين.

أي: أن كل فعل أمر الله عز وجل به ينبغي أن يصرف له، فلا يصرف لمَلَكٍ مقرب، ولا لنبي مرسل، كالدعاء والنذر والرجاء والخوف والخشية، والإنابة والتوكل، والرهبة والرغبة وغير ذلك من أنواع العبادة.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وقال الله عز وجل في وصف أبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

- وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية بيانه أنك إذا أقررت بالله ربًا خالقًا مالكًا مدبرًا؛ لزم أن يُفرد بالدعاء والرجاء والخوف والرغبة والرهبة.

وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، فكونك تدعو الله وترجوه وتعبده، هذا يدل علىٰ أنك تؤمن بأنه الخالق الرازق المالك المدبر.

- وتوحيد الألوهية: هو تفسير لقول (**لا إله إلا الله**)، فـ(**لا إله إلا الله**) كلمة جمعت بين النفي والإثبات؛ لأن النفي وحده عدم، فلو قلتَ: (**لا إله**) وسكتَ، هذا عدم.

والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فلو قلتَ: (**الله إله**) سيقول لك البُوذي: (وبوذا إله)، ويقول النصراني (وعيسىٰ إله)، لكن لابد من الجمع بين النفي والإثبات: (**لا إله**)، نفي الألوهية عمن سوىٰ الله، ثم إثباتها لله عز وجل (**إلا الله**) كما قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

- ومعنى (**لا إله إلا الله**) أي: **لا معبود بحق إلا الله**.

وفقد غلط كثير من نظّار أهل البدع في تفسيرها، **فقال بعضهم**: معنىٰ لا إله إلا الله: لا صانع إلا الله.

وقال بعضهم: معنىٰ (**لا إله إلا الله**): لا رازق إلا الله، **وربما قالوا**: لا خالق إلا الله، **وفسرها بعضهم**: لا موجود إلا الله، وهذا من أقبح أنواع التفاسير لهذه الكلمة؛ إذ أن تفسيرها بـ(لا موجود إلا الله) هو قول أصحاب وحدة الوجود، الذي نقل شيخ الإسلام الإجماع علىٰ كفرهم، فالقول بالحلول والاتحاد؛ من أفسد الأقوال وهم أكفر من اليهود والنصارىٰ.

أليست توجد السماوات والأَرَضين والجبال والشجر والدواب والأنعام وغير ذلك من المخلوقات؟! ثم يجعلونها هي الله أو حالة أو متحدة به.

- وهكذا قولهم في (**لا إله إلا الله**): لا معبود إلا الله، فهذا تفسير قبيح، كيف لا معبود إلا الله؟ وعيسىٰ يعبد من دون الله، وعزير، والأصنام، والأشجار، والشمس، والقمر تعبد من دون الله عز وجل؛ بدلالة القرآن والسُنة علىٰ ذلك.

- وهكذا تفسيرها: (بلا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، أو لا مدبر إلا الله، أو لا صانع إلا الله) ونحو ذلك، فهذا ليس بتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل وأُنزلت به الكتب وإنما هو توحيد الربوبية، **فلابد من إثبات توحيد الألوهية.**

- فالمعنى الحق لـ(**لا إله الا الله**): لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عبد فبباطل، والدليل الآية التي تقدمت.

❁ وأما النوع الثالث من أنواع التوحيد فهو: (توحيد الأسماء والصفات):

وهو إفراد الله عز وجل بما سمىٰ به نفسه- وهو إثبات لله عز وجل- ما سمىٰ الله عز وجل به نفسه، وسماه به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل، بل هو سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وهذا الباب خالف فيه كثير من أهل البدع، كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والرافضة، والباطنية، والأشاعرة ومن إليهم، بل لا تكاد تجد فرقة من الفرق في الغالب إلا وعندهم تعطيل أو تمثيل في هذا الباب.

وهذا الباب لا بد أن يُحقق علىٰ الوجه الذي أراده الله عز وجل، من الجمع بين التنزيه والإثبات، قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات؛ فإن التنزيه وحده قد يؤدي إلىٰ التعطيل، والإثبات وحده قد يؤدي إلىٰ التمثيل، فلا بد من الجمع بين الإثبات والتنزيه؛ لأن الله جمع بينهما، كما قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

فلما جمع الله عز وجل بين التنزيه والإثبات، دل علىٰ وجوب الجمع بينهما، وقد غلا قوم في الإثبات حتىٰ مثلوا الله بمخلوقاته، وهم الممثلة، وأصل



الرافضة ومبدأ الرافضة التمثيل، فيمثلون الله بمخلوقاته، تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وأتىٰ قوم وأخذوا أدلة التنزيه، فعطلوا الله عز وجل من أسمائه وصفاته، ومن أفعاله علىٰ تفاوت بين أهل البدع في ذلك، فالجهمية يعطلون الأسماء والصفات جميعًا، ويزعمون أن هذه الأسماء وهذه الصفات المذكورة في القرآن والسنة مجاز في حق الله، وإنما هي صفات لمخلوقات الله سبحانه وتعالىٰ، والمعتزلة يثبتون الأسماء ويعطلون الصفات، أسماء لا معاني لها.

فربما قال بعضهم: (عليمٌ بلا عِلمٍ، سميعٌ بلا سمعٍ، بصيرٌ بلا بصر، قويٌّ بلا قوَّة)، نعوذ بالله.

ولمَّا سَمِعَ أعرابي هذه المقولة من الجهم بن صفوان قال مباشرة:

ألا إنَّ جهمًا كافِرٌ بان كُفرُهُ ❁❁ ومَن قال يومًا قول جَهمٍ فقد كفرْ

لقد جُنَّ جَهمٌ إذ يُسمِّي إلهَهُ ❁❁ سميعًا بلا سمعٍ بصيرًا بِلا بَصَر

عليمًا بلا عِلمٍ رضِيًّا بلا رضىٰ ❁❁ لطيفًا بلا لُطفٍ خبيرًا بلا خَبَر

والأشاعرة أثبتوا الأسماء وسبعًا من الصفات، ونفوا بقية الصفات وعطلوها، لا سيما الصفات الفعلية الاختيارية، كالمحبة والرضا والسخط، والنزول والمجيء والإتيان وغير ذلك من الصفات.

وهناك قسيم آخر وهم: أهل التفويض، فيقولون بأن هذه الأدلة التي بين أيدينا لا معاني لها، هذا قول بعضهم، فإذا قرأت عليه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، **يقول**: هذا لا معنىٰ له.

وبعضهم يقول: لها معاني يعلمها الله، وهؤلاء من شر أهل البدع؛ فإن القرآن نزل للبيان، ونزل لإقامة الحجة، وأنزل بلسان عربي مبين، يفهمه الناس ويتلونه ويقرأونه، ويتعلمونه، وأمر الله بتدبره وتعقله والتفكر فيه، فهذا كله يدل علىٰ أن له معاني.

- **وأهل السنة والجماعة** جمعوا بين التنزيه والإثبات، فخرجوا من بين فرث التعطيل ودم التمثيل، لبنًا سائغًا للشاربين، فهم حق بين ضلالتين، ونور بين ظلمتين، وهدىٰ بين باطلين، **والسبب في ذلك**: أنهم ساروا علىٰ ما سار عليه السلف رضوان الله عليهم، الذين أثنىٰ الله عليهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ **رضي الله عنهم** وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

فلم يثنِ الله عز وجل عليهم لجمال وجوههم، ولا لقوة أبدانهم، وإنما كان الثناء بسبب تحقيق الاعتقاد الخالص في الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته.

وهذا الباب باب توقيفي، فيجب أن نسير فيه علىٰ ما سار عليه السلف رضوان الله عليهم، فلا نثبت إلا ما أثبته الله لنفسه، ولا ننفي إلا ما نفاه الله عز وجل عن نفسه، مع اعتقاد كمال الضد.

وهكذا ما لم يرد فيه دليل علىٰ النفي والإثبات من الألفاظ المتأخرة - التي سيأتي بيانها- لا نثبتها مطلقًا ولا ننفيها مطلقًا، بل نثبت الحق، ونتوقف في اللفظ، ونرد الباطل.

هذا مختصر القول في تقسيم التوحيد إلىٰ ثلاث أقسام، ولا بد من مثل هذه المقدمات حتىٰ وإن أخذت وقتًا لأن الطالب بحاجة إلىٰ تحقيق هذا الباب تحقيقًا مهمًا.

فقوله: (مُعْتَقِدِينَ) أي: أننا نعتقد ما نتكلم به لأنه الحق الذي يطابق الواقع، ولابد من تصحيح الاعتقاد، لأن تصحيح الاعتقاد هو الأساس، الذي يصلح به العمل الظاهر والباطن.

أما إذا فسد المعتقد فسد الظاهر والباطن، ولا خير في صلاح ظاهر مع فساد باطن.

فانظروا إلىٰ عمرو بن عبيد بن باب، ومن في بابه من أهل البدع، ربما تجد عندهم من التنسك والتعبد والزهد في الدنيا ما لا يوجد عند غيرهم، لكن لا ينفعهم ذلك مع فساد القلوب، فقد يكفر الإنسان بقلبه، مع صلاح جوارحه

ظاهرًا، مع أنه قد يكفر بجوارحه ولسانه، فلابد من تصحيح الاعتقاد؛ فإذا ما صَلُحَ اعتقاد المرء صَلُحت أعمالهُ وأخلاقه.

۞ ومجمل ما يعتقد ست أمور، ثم ما يليها يتفرع عنها: (**الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره**)؛ وهي الأصول الستة، التي استبدلها المعتزلة بأصولهم الخمسة علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ، ثم يتضمن هذا كله، قول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، فالغيب يدخل فيه كل ما غاب عنا، من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكة الله عز وجل، وما لهم من الصفات والهيئات والأعمال، والإيمان بكتب الله عز وجل المنزلة علىٰ رسله، والإيمان برسل الله، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بالحوض والميزان والصراط والرؤية وغير ذلك من أمور الإيمان، والإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله عز وجل.

- ويدخل في (**الإيمان بالغيب**): الإيمان بوجود الجن والشياطين، والإيمان بالسحر وأن له حقيقة، والايمان بعذاب القبر ونعيمهِ، وكل ما أخبر الله عز وجل به.

قوله: (**بِتَوْفِيقِ اللهِ**): أي: أننا نستعين بالله، ونسأله التوفيق والسداد، فمن وفقه الله عز وجل فهو الموفق، ومن خذله الله عز وجل فهو المخذول، نسأل الله عز وجل التوفيق والسداد.



قوله: (**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ**): أي: نقول ونعتقد ونقر بأن الله عز وجل واحد لا شريك له، وهذا هو معنىٰ قول: لا إله إلا الله، **فقوله:** (**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ**) إثبات، **وقوله:** (**لا شَرِيكَ لَهُ**) نفي، وإذا تضمنت الآية أو الحديث أو اللفظ هذا المعنىٰ، فهو دال علىٰ معنىٰ لا إله إلا الله، ومن أمثلة ذلك، قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾: نفي، ﴿إِلا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: إثبات، وقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: نفي، ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: إثبات، وقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»، أخرجه مسلم عن طارق بن أشيم رضي الله عنه.

- **وأما الآيات الصريحة فكثيرة جدًا منها:** قال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، فكثير هي الآيات الدالة علىٰ وجوب التوحيد، والآمرة بالبعد الشرك والتنديد.

- **والتوحيد** كما تقدم رحىٰ الإسلام وأُسه وأساسه، وقد سئل النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن مسعود قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»، متفق عليه.

وفي حديثه "في الصحيحين" أيضًا: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قال ابن مسعود وأنا أقول: (مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

- **وفي قوله**: (أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له)، كان قولُه (**وحده**): توكيدًا للإثبات، و(**لا شريك له**): توكيدًا للنفي.

ولكلمة (**لا إله إلا الله**) عدة أسماء؛ **فهي**: كلمة الإخلاص، وكلمة التقوىٰ، وكلمة التوحيد، والعروة الوثقىٰ، والكلمة الباقية في عقِب إبراهيم إلىٰ يوم الدين، ويفسر بعضهم قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلِلَّه الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾؛ بأنها (لا إله إلا الله)، ولا مانع من أن الآية تدل علىٰ أعم من ذلك، فهي دالة علىٰ الوصف الأكمل لله عز وجل.

وأول ما يدخل الإنسان الإسلام بـ(لا إله إلا الله)، لا بالنظر ولا بالقصد إلىٰ النظر؛ فإن المعتزلة يوجبون علىٰ الإنسان قبل أن يدخل في الإسلام النظر أو القصد إلىٰ النظر حتىٰ إن ابن حزم ألزمهم بإلزام لا فكاك لهم عنه.

قال: أرأيتم لو أن رجلًا جاءكم بالإسلام، فقلتم لا نقبل منك إلا بعد النظر، فذهب ينظر ومات في ذلك الحين قبل أن يؤمن بالله عز وجل، هل تحكمون له بالجنة؟ أم تحكمون له بالنار؟، فإن حكمتم له بالجنة قلنا لكم: كيف تحكمون لرجل، لم يتلفظ بالإسلام بالجنة، وإن حكمتم عليه بالنار، قد جاءكم بالإسلام وأبيتم منه إلا أن يذهب وينظر ويتفكر حتىٰ يتوصل إلىٰ إثبات الخالق!!.

فأول واجب على العبيد قول (لا إله إلا الله)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»، أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه.

۞ و(لا إله إلا الله) كلمة عظيمة لها شروط، ولها أركان:

- أما ركنها العظيم: فالجمع بين النفي والإثبات؛ لما تقدم بيانه من أن النفي عدم، والإثبات لا يمنع المشاركة، فجمع بينهما، لإثبات الألوهية الحقة لله سبحانه وتعالى.

- وأما شروطها: فقد ذكر أهل العلم ثمانية شروط، مذكورة في غير ما كتاب، ونظمها بعضهم:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من المخلوق قد أُلها

وقد تكلمت بتوسع على شروطها وما يتعلق بها في غير ما موطن، منها ما ذكرته في كتابي (فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد).

۞ قلت: [هدي القرآن إلى شروط (لا إله إلا الله):

وقد بين الله عز وجل في القرآن الشروط التي يتحقق بها معنى «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»:

فالأول: **(العلم)**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

ثانيها: (اليقين)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

ثالثها: (الإخلاص)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

رابعها: (الصدق)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

خامسها: (المحبة)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

سادسها: (الانقياد)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

سابعها: (القبول)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ثامنها: (الكفر بالطاغوت)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وهدي القرآن إلىٰ هذه الشروط علىٰ أكمل وجه وأتمّ بيان؛ حتىٰ لم يدع لمحتجّ حجةً، ولأحدٍ لبسٍ إذ أنَّ تحقيق هذه الكلمة يعني تجرد العبد لله عز وجل.



وكم ساق من الأدلة والشواهد الموضحة لمعناها وسائرة علىٰ مبناها من تضمن النفي والإثبات، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وغير ذلك مما في بابه.

هذه الكلمة العظيمة دعا إليها القرآن فقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ في موضعين [البقرة: ٢٥٥]، و[آل عمران:٢]

وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾]. اهـ

❁ وقد قلت في المنظومة الزعكرية في العقيدة:

شُرُوطُهَا سَبْعٌ وَزِدْهَا وَاحِدَا ❁❁ فَحَقِّقَنْ وَلَا تَكُنْ مُعَانِدَا

عِلْمٌ مَحَبَّةٌ يَقِينٌ وَالْقَبُولْ ❁❁ صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ فَحَقِّقْ مَا أَقُولْ

وَالْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ يَا سَعِيدُ ❁❁ وَالِانْقِيَادُ شَرْطُهَا الْأَكِيدُ

***

[وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ].

الشرح:

فقوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ): كقول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وهذه الآية عمدة في باب الأسماء والصفات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نفي دال علىٰ التنزيه، وهو من النفي المجمل، والنفي المجمل عند العرب كمال ومدح، فالله عز وجل، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله.

ولابد من الجمع بين التنزيه والإثبات، في هذا الباب؛ لأنها قد زلت طائفتان: طائفة في الغلو في التنزيه، وطائفة في الغلو في الإثبات.

- **أما الذين غلوا في التنزيه فهم**: الجهمية، والمعطلة بجميع أصنافهم مثل المعتزلة والأشاعرة والكلابية ومن إليهم، فإنهم يعطلون الله عز وجل إما تعطيلًا كليًا كما تفعل الجهمية والباطنية، أي: أنه ليس له أسماء ولا صفات، أو تعطيلًا جزئيًا، كما تذهب المعتزلة والأشاعرة.

فيثبتون الأسماء ويعطلون الصفات. والأشاعرة يثبتون سبع صفات، وينفون بقية الصفات.

۞ وأشهر فرق أهل التعطيل:

الفرقة الأولى: (**الجهمية**): وهم أتباع جهم بن صفوان، المقتول سنة (١٢٨هـ) قتله: خالِدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسريُّ علىٰ الزندقة، **ومؤسسهم**: الجعد بن درهم المقتول سنة (١٢٤هـ) قتلهُ مسلم بن أحوز علىٰ الزندقة، وإنما نشر المذهب: الجهم بن صفوان، **فيزعمون**: أن الله ليس له أسماء ولا صفات، وأن هذه الأسماء والصفات مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالىٰ، كالكعبة والناقة والبيت وغير ذلك، وهذا هو المقصد الذي جرهم إلىٰ القول بخلق القرآن.

وقاربهم المعتزلة فقالوا: نحن نثبت لله الأسماء، لكنها أسماء مجردة عن المعاني، كما تسمي هذا الرجل صالح وربما ليس بصالح. وتسميه حسن وليس بحسن.

بينما القاعدة عند أهل السنة: أن أسماء الله أعلام وأوصاف، كل اسم من أسماء الله عز وجل يتضمن صفة، ويدل عليها.

وربما صرح المعتزلة بمذهبهم فيقولون: سميع بلا سمع بصير بلا بصر، ولربما لم يصرحوا بذلك، وإنما يقولون: ليس لها معاني، فجاءت الأشاعرة تريد أن ترد علىٰ المعتزلة باطلهم، لكنهم لم يسلكوا سبيل السلف، في تقديم دلالة الكتاب والسنة، علىٰ كل دلالة.

وإنما ذهب عبد الله بن محمد كلّاب المتوفي سنة (٢٤١هـ)، وهو أصل الأشاعرة، ومنه أخذ أبو الحسن الأشعري المتوفي سنة (٣٢٤هـ) طريقته، فذهب يناظرهم بالعقل، فعقله لم يتوصل إلا إلىٰ إثبات سبع صفات.

لم يتوصل إلىٰ إثبات ما أثبته الله، وأثبته رسول صلىٰ الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

- والسبع الصفات هي منظومة في قول بعضهم:

حـــيٌ مريـــدٌ قـــادرٌ عـــلام ❁❁ لَـــهُ الســـمع والبصـــر والكـــلام

فأثبتوها بالعقل، فضلوا وانحرفوا انحرافًا عظيمًا.

ثم في المقابل قاربتهم فرقة الروافض، وأوئلهم علىٰ التمثيل والتشبيه والتكييف، **فيقول بعضهم**: ربي سبع أشبار بشبر نفسه، **ويقول بعضهم**: ما بيني وبين الله من فرق إلا اللحية والفرج، وغير ذلك من الأمور المنكرة، فمثلوا الله عز وجل بمخلوقاته العاجزة الناقصة.

حتىٰ قال نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله شيخ البخاري: من مثَّلَ الله بخلقه كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله عز وجل به نفسه، ووصفه به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم تعطيل ولا تكييف.

- **وهنا مسألة أشير إليها، وهي**: أن أهل السُنة يثبتون اللفظ والمعنىٰ، ويفوضون الكيفية، فإذا وجدتم من ينسب إلىٰ السلف التفويض، فقولهم من الباطل الصرف، ومن أمثلة ذلك النووي **رحمه الله**، وربما تجد الحافظ ابن حجر وغير واحد من علماء الحديث، ينسبون التفويض إلىٰ مذهب السلف، وهذا كلام باطل، فالسلف يثبتون اللفظ والمعنىٰ، والخلف يثبتون اللفظ لا المعنىٰ والذي يفوضه أهل السُنة: الكيفية، فلا يعلم كيف الله إلا الله إذ أن كيفية الصفة لا تعلم إلا بثلاثة أمور:

الأول: النظر إليها.

الثاني: النظر إلىٰ مثيلها.

الثالث: إخبار من رآها عنها، وكل ذلك منتف عن الله عز وجل، فما بقي إلا أن نقبل خبر الله سبحانه وتعالىٰ، وخبر رسوله صلىٰ الله عليه وسلم الثابت عنه.

- **قال إمام المسلمين في عصره أبو عبد الله مالك بن أنس رحمه الله، في جواب من سأله عن كيفية الاستواء**: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول،

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك زنديقًا، أخرجوه من المسجد"[١].

ولهذا يقول أهل العلم في إثبات الصفات: نمرها كما جاءت بلا كيف، وما جاء عن أحمد: (لا كيف لا معنىٰ) لفظٌ منتقد، بل مُنكر؛ إنما جاء من طريق حنبل بن إسحاق وله مناكير، **وتوجيهه**: أنه لا كيف كما يقول الممثلة، ولا معنىٰ كما يقول المبتدعة.

قال العلماء: **لما قال السلف**: (بلا كيف) دل علىٰ أن لها معنىٰ.

ونعود إلىٰ الآية، فالآية جمعت بين النفي، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وبين الإثبات: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فيجب علينا أن نثبت لله، ما أثبته لنفسه مع التنزيه، ففي الإثبات عليك أن تتخلىٰ من محذورين عظيمين وهما: (**التكييف، والتمثيل**).

وفي النفي عليك أن تتخلىٰ من محذورين عظيمين وهما: (**التحريف والتعطيل**).

- وقد اختلف العلماء في (**الكاف**) في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فقال بعضهم: الكاف زائدة، وقال بعضهم: هي داخلة علىٰ محذوف، ليس كمثل مثله شيء. وأقرب الأقوال أنها صلة وتوكيد. كما قال العرب: (**ليس كمثل**

---

(١) "اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث" (١/ ١١٧) ط. دار إيلاف الدولية.

الفتىٰ زهير خلق يوازيه في الفضائل) أي: ليس مثل زهير أحد يوازيه في الفضائل.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **معناه:** أنه يسمع بسمع، ويبصر ببصر.

[وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ].

الشرح:

فقوله: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ)؛ **لكمال** قوته وقدرته وعلمه سبحانه وتعالىٰ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، فالذي يعجز؛ إما لجهله وإما لضعفه، والله عز وجل كامل في قدرته، وكامل في علمه.

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الصفات السلبية يؤتىٰ بها إما لدفع ما ادعاه في حق الله المبطلون أو دفع توهم نقص.

وإذا كان السلب علىٰ الإجمال فيؤتىٰ به؛ لبيان عموم الكمال، **فهنا قال تعالىٰ:** ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾، يتضمن كمال العدل القوة والقدرة؛ لأن الصفة السلبية لا بد أن تتضمن كمال الضد، كمالها في ضدها، وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾؛ لكمال حياته وقيوميته، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾؛ لكمال قدرته وقوته، وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾؛ لكمال عدله، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لكمال صمديته وسؤدده، إلىٰ غير ذلك.

[وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ].

الشرح:

قوله: (**وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ**): هي معنىٰ (**لا إله إلا الله**)، وفيها نفي لجميع الآلهة سوىٰ الله عز وجل، فكلها باطلة علىٰ ما تقدم بيانه في كلامنا علىٰ توحيد الألوهية.

[قَدِيمٌ بِلا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلا انْتِهَاءٍ].

الشرح:

قوله: (**قَدِيمٌ**): ليس من أسماء الله عز وجل (القديم)، فأسماء الله كلها حسنىٰ، يعني: بلغت في الحسن كماله، بينما اسم (القديم) لا يدل علىٰ ذلك، قالوا: لا يقال للشيء القديم إلا وبعده حديث، كقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾، فالله عز وجل لا يسمىٰ بمثل هذا الاسم، لكن قد يطلق عليه من باب الإخبار؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» أخرجه أبو داود.

- فالقديم، والصانع، والمتكلم، والشائي وغير ذلك، ويغني عنه (**الأول**) كما قال تعالىٰ ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند "مسلم": أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».

- وقد استشكل بعض أهل العلم لماذا فسر النبي صلىٰ الله عليه وسلم هذه الأسماء والصفات الثبوتية بالنفي، والأصل التفسير بالإثبات؟

الجواب: أن الله عز وجل له الأولية المطلقة، فهو الأول الذي خلق المخلوقات وأوجدها، وأوليته في الأزل، إلىٰ أزل الآزال، وآخريته في الأبد، إلىٰ أبد الآباد، فهو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، قال الله عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾.

ويدل علىٰ معنىٰ (الدائم بِلا انْتِهَاءٍ) قول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾، وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾، وغير من الألفاظ في هذا الباب.

- والذي فهمناه: أن (القديم) لا يسمىٰ الله عز وجل به. وإنما يخبر به عنه لا محذور في ذلك.

كما أن (الدائم) لا يسمىٰ الله عز وجل به؛ لأنه ليس من الأسماء الحسنىٰ المذكورة في الكتاب والسنة، لكن يخبر به من باب الإخبار.

* **وضابط الأسماء الحسنىٰ**: أنها المذكورة في الكتاب والسنة، وهي التي أمرنا الله عز وجل أن ندعوه بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وهي التي تدل علىٰ الكمال المطلق من كل وجه، وهي التي تتضمن صفات المدح.

[لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ، وَلا يَكونُ إلاَّ ما يُريدُ].

الشرح:

قوله: (**لا يَفْنَى**) أي: لا يموت، فالله عز وجل حي لا يموت، كما تقدم.

قوله: (**وَلا يَبِيدُ**): لا ينتهي، فهو سبحانه وتعالىٰ الحي القيوم، وكما تقدم أن هذه الأوصاف قد انتقدت علىٰ المصنف؛ لأنه جعل أكثر من وصف الله عز وجل بالنفي.

والذي كان ينبغي عليه أن يصف الله عز وجل بالإثبات ويأتي بالصفات الثبوتية، ثم بعد ذلك يأتي بالنفي في مواطنه المشروعة.

قوله: (**وَلا يَكونُ إلاَّ ما يُريدُ**): فيه إثبات مشيئة الله عز وجل النافذة، وسيأتي بيان هذا الأمر في مواطنه إن شاء الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

فالمراد الكوني هو المشيئة، والمراد الشرعي هو الأمر والنهي الذي أمرنا الله عز وجل به في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

والمصنف رحمه الله قد فرق الكلام في القدر في كثير من المواطن، فَعسُرَّ أن أجعل الكلام عليه في الموطن الذي يكون أجمع من غيره.

[لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ، وَلا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ].

الشرح:

قوله: (**لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ**): **وقد نهينا** عن التفكر في ذات الله عز وجل، وأمرنا بالتفكر في أنفسنا وفي مخلوقات الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

- **وفي الحديث**: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - **رضي الله عنهما** - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «**تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ** عز وجل» "الحلية" لأبي نعيم (ج٦/ ص٦٦).

لأن الفكر في الله يؤدي إلىٰ الكفر والزندقة، والعياذ بالله، لأنك مهما تخيلت لله عز وجل من الكمال فعقلك عاجز ناقص عن ذلك، لأن العقل يدرك كمالًا محدودًا علىٰ حسب قدرته وعلىٰ حسب إدراكه.

والله عز وجل له الكمال المطلق من كل وجه، لذلك نهينا عن التفكر في ذات الله سبحانه وتعالىٰ.

- وقد ذكر اللألكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السُنة والجماعة" (٣/ ٥٨٥): (عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: ثَنَا أَبِي قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ لِفَتًىٰ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ: مَكَانَكَ، فَقَعَدَ حَتَّىٰ تَفَرَّقَ النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: تَعْرِفُ مَا فِي هَذِهِ الْكُورَةِ مِنَ

الْأَهْوَاءِ وَالِاخْتِلَافِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي مِنِّي عَلَىٰ بَالٍ رَضِيٍّ إِلَّا أَمَرَكَ وَمَا بَلَغَنِي، فَإِنَّ الْأَمْرَ لَا يَزَالُ هَيِّنًا مَا لَمْ يَصِرْ إِلَيْكُمْ، يَعْنِي السُّلْطَانَ، فَإِذَا صَارَ إِلَيْكُمْ، جَلَّ وَعَظُمَ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ وَتَصِفُهُ وَتُشَبِّهُهُ، فَقَالَ الْغُلَامُ: نَعَمْ، فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي الصِّفَةِ، فَقَالَ: رُوَيْدَكَ يَا بُنَيَّ حَتَّىٰ نَتَكَلَّمَ أَوَّلَ شَيْءٍ فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِذَا عَجَزْنَا عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَنَحْنُ عَنِ الْخَالِقِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ. أَخْبَرَنِي عَنْ حَدِيثٍ حَدَّثَنِيهِ شُعْبَةُ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ زِرًّا قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ " فِي قَوْلِهِ: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٨]، قَالَ: رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتِّمِائَةِ جَنَاحٍ ". قَالَ: نَعَمْ، فَعَرَفَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صِفْ لِي خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللهِ لَهُ سِتِّمِائَةِ جَنَاحٍ، فَبَقِيَ الْغُلَامُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي أُهَوِّنُ عَلَيْكَ الْمَسْأَلَةَ، وَأَضَعُ عَنْكَ خَمْسَمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ، صِفْ لِي خَلْقًا بِثَلَاثَةِ أَجْنِحَةٍ رُكِّبَ الْجَنَاحُ الثَّالِثُ مِنْهُ مَوْضِعًا غَيْرَ الْمَوْضِعَيْنِ اللَّذَيْنِ رَكَّبَهُمَا اللهُ، حَتَّىٰ أَعْلَمَ. فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، نَحْنُ قَدْ عَجَزْنَا عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ وَنَحْنُ عَنْ صِفَةِ الْخَالِقِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ، فَأُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْ ذَلِكَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ).

فالفكر في ذات الله عز وجل يؤدي والعياذ بالله إلىٰ ما لا يحمد عقباه.

والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول لأصحابه، لما قالوا: يا رسول الله إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»، وفي رواية: «ذَاكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم عن ابن



مسعود، وفي رواية عند أحمد عن ابن عباس: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»؛ لأنهم تعاظموا الكلام فيما فكروا فيه، فدل هذا علىٰ إيمان عظيم عندهم، فلا ينبغي للإنسان أن يستجري في الأوهام والتفكيرات التي تتعلق بالله عز وجل ذاتًا أو صفاتًا.

بل علينا أن نؤمن بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته دون الخوض في هذه الأمور.

[وَلا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ].

الشرح:

قوله: (**لا تُدْرِكُهُ**) أي: لا تحيط به، فالإدراك هو الإحاطة، قال الله عز وجل: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، يرونه يوم القيامة ولا يحيطون به، لكبره سبحانه وتعالىٰ ولعظمته وجلاله.

قوله: (**الأَفْهَامُ**): أي: العلوم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، وقوله: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، فالله عز وجل عظيم كبير واسع، ولا علم لنا إلا بما علمنا من أسمائه وصفاته، وأما كنهها فلا يعلمه إلا هو.

[وَلا يُشبِهُ الأَنَامَ].

الشرح:

قوله: (**وَلا يُشبِهُ الأَنَامَ**): يماثله، (**الأَنَامَ**) المخلوقات؛ لأن الله عز وجل متصف بصفات الكمال من كل وجه.

- **فالأنام** متصفون بصفات نقص وعيب، حتىٰ وإن كانت من حيث هي كمال، فالإنسان مثلًا متصف بصفة السمع والبصر والقدرة والإرادة والمشيئة وغير ذلك من الصفات، لكن صفاته قاصرة ومحدودة علىٰ كماله، يسمع وسمعُه لا يجاوز الاثنين الثلاثة، وهكذا قريب وبعيد ويبصر، لكن الله عز وجل بصره لا يخفىٰ عليه شيء من المبصرات، وسمعه لا يخفىٰ عليه شيء من المسموعات، وعلمه لا يخفىٰ عليه شيء من المعلومات، فهو بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير سبحانه وتعالىٰ.

[حَيٌّ لَا يَمُوتُ].

الشرح:

قوله: (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ**) أي: متصف بالحياة الكاملة العظيمة، ومنزه عن صفة الموت، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾، فالحي صفة ثبوتية، والذي لا يموت صفة منفية، فيها إثبات كمال الحياة، وجيء بها لبيان أن حياة الله عز وجل أبدية أزلية، وفي حديث ابن عباس **رضي الله عنهما** قال: قال رسول



الله صلىٰ الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»، أخرجه مسلم.

والموت ينافي القيومية، وينافي الحياة، والله هو الحي القيوم، وقد جمع بين هذين الوصفين في ثلاث آيات، قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ في موضعين، وهكذا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.

[قَيُّومٌ لا يَنَامُ].

الشرح:

قوله: (**قَيُّومٌ**) مقيم لنفسه، ومقيم لغيره، وفي قراءة: (**اللهم لك الحمد أنت قيام السماوات والأرض**)، أي: مقيم السماوات والأرض، فكل مخلوق قائم بقدرة الله وقوة الله ومشيئة الله سبحانه وتعالىٰ، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، **وقد ذهب بعضهم**: أنه الاسم الأعظم، **والصحيح**: أن الاسم الأعظم هو (**الله**).

وقوله: (**لا يَنَامُ**)؛ لأن النوم ينافي القيومية، ونفىٰ الله عن نفسه السِنة والنوم.

- قال العلماء: الحكمة في نفي السِنَة والنوم، مع أن السِنة مُقَدِمةُ النوم؛ لأن بعض المخلوقات تنام من غير سِنَة.

فنفىٰ الله عز وجل عن نفسه السِنة التي هي مقدمة النوم، ونفىٰ الله عن نفسه النوم الذي هو أخو الموت، وينافي الحياة وينافي القيومية.

[خَالِقٌ بِلا حَاجةٍ].

الشرح:

قوله: (**خَالِقٌ**): موجِد للمخلوقات من العدم، (**بِلا حَاجةٍ**) لها فهو الغني الحميد، **كما قال الله** عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، فلا يظن ظان أن الله عز وجل حين خلق المخلوقين؛ خلقهم لحاجته إليهم، وأمرهم بطاعته لانتفاعه بذلك، فهذا النفع عائد إليهم، وإنما خلقهم لحكمة أرادها، وهي عبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»، أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

[رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ].

الشرح:

قوله: (**رَازِقٌ**) أي: مُعطي، فالرزق: العطاء، ومن أسمائه (**الرازق، والرزاق**).

قوله: (**بِلا مُؤْنَةٍ**): يعني: لا تلحقه كُلفة في الرزق، مع أنه الرزاق ذو القوة المتين، رزقَ جميع العباد، يرزق برهم وفاجرهم ومؤمنهم وكافرهم وجنهم وأنسهم وحيوانهم وغير ذلك.

[مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ].

الشرح:

قوله: (**مُمِيتٌ**) أي: يميت المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾.

قوله: (**بِلا مَخَافَةٍ**) أي: ليس بخائف من زوالهم، ولا بخائف منهم ولا من أرزاقهم، وهذا مما ينتقد علىٰ المصنف الإكثار من مثل هذا الكلام، فهو سبحانه وتعالىٰ الغني الحميد.

[بَاعِثٌ بلا مَشَقَّةٍ].

الشرح:

قوله: (**بَاعِثٌ**) أي: أنه يبعث العباد يوم القيامة من قبورهم: (**بلا مَشَقَّةٍ**) ولا يلحقه مشقة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، وقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ *



أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيئًا لَمْ يَكُنْ قَبلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْها أَبَدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلا بِإِحْدَاثِ البرِيَّةَ استَفَادَ اسْمَ البَارئ، لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الخَالِقِ وَلا مَخْلُوق، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي المَوْتَى بَعْدَمَا أَحيا اسْتَحَقَّ هذا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيائِهِم، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ].

الشرح:

- **هذه مسألة تسمىٰ عند العلماء**: بـ(مسألة تسلسل الحوادث)، والحوادث هي المخلوقات، وهي من المسائل التي يُشكل فهمها علىٰ بعض طلاب العلم، بل علىٰ غيرهم.

- والناس في هذه المسألة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من **قالوا** بأن تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، في الماضي إلىٰ الأزل، وفي المستقبل إلىٰ الأبد.

القسم الثاني: من **قال**: التسلسل ممنوع في الماضي، وثابت في الأبد. أي: في المستقبل.

القسم الثالث: من **قال**: بمنع التسلسل في الماضي والمستقبل.

❁ مسألة: ما معنىٰ التسلسل؟

الجواب: التسلسل مأخوذ من السلسلة، حِلقة بعد حلقة بعد حلقة.

❁ **مسألة**: ما معنىٰ الحوادث؟

الجواب: الحوادث: المخلوقات.

❁ **مسألة**: ما معنىٰ التسلسل في الأزل؟

الجواب: أي أن الله عز وجل لم يزل خالقًا رازقًا عالمًا سميعًا بصيرًا قديرًا أزلًا وأبدًا، فكما أنه موصوف بهذه الصفات، ومسمىٰ بهذه الأسماء فلازم ذلك أن يكون خالق أزلًا، وأن يكون رازق أبدًا، أزلًا وأبدًا.

- **فأهل السُنة قالوا** بالتسلسل في الماضي، وقالوا بالتسلسل في المستقبل بهذا المعنىٰ؛ حتىٰ لا يكون الله معطلًا، فألزمهم من ألزمهم من أهل الكلام **بقولهم**: (لو قلتم بتسلسل الحوادث في الماضي، لزم أن تكون المخلوقات قديمة، ووصلتم إلىٰ مسألة القول بقدَم العالم، وهو قول الفلاسفة قول كفري.

- **قال أهل السنة والجماعة**: لا يلزمنا ذلك، لأننا نقول بأن الله عز وجل خالق، وما سواه مخلوق، ونقول بما دل عليه قول الله عز وجل: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

وبما دل عليه قول الرسول صلىٰ الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»، فكما أنه الآخر، وقد كتب الخلود للجنة وما فيها، ولا يتعارض ذلك مع آخريته، فكذلك هو الأول فهو الخالق الرازق المالك المدبر.

ثم إن كلمة خالق ومخلوق تدل علىٰ أن الله عز وجل له الأولية المطلقة، ولا يلزم من ذلك مقارنة الحوادث لله عز وجل في هذا الباب.

ثم أيضًا: إن هذا الكلام بالنسبة لجنس الحوادث، وليس **لآحادها**.

أما **آحادها** فزيد مولده في كذا، وعمرو مولده في كذا، وخلق السماوات في كذا، وخلق الأرض في كذا، وهكذا، لكن من حيث جنس الحوادث، فإن الله عز وجل لم يزل خالقًا، ولن يزال خالقًا، وأن الله لم يزل رازقًا، ولن يزال رازقًا، فهذا هو قول أهل السنة بالتسلسل في الماضي، حتىٰ يثبت لله عز وجل الأسماء والصفات، ومعاني الأسماء والصفات، والتسلسل في المستقبل، حتىٰ يثبت القول بخلود الجنة وخلود النار وما فيهما إلىٰ غير ذلك من الأمور، هذا ملخص لقول أهل السُنة والجماعة.

وذهب بعض أهل الحديث وأكثر المتكلمين إلىٰ أن التسلسل ممنوع في الماضي وجائز في المستقبل، **قالوا**: لأننا إذا قلنا بالتسلسل في الماضي، لزم أن تكون المخلوقات مع الله، والحديث: كان الله ولم يكن شيء معه.

يقال لهم أهل السنة لم يقولوا بهذا القول، ولا يلتزمونه، بل هم يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر وهو الأول ذو الأولية المطلقة.

وأما الجهمية الذين يعطلون الله عز وجل من أسمائه وصفاته، ويزعمون أن أسماء الله وصفات الله مخلوقة، فذهبوا إلىٰ أن التسلسل ممنوع في الماضي، كما أنه ممنوع في المستقبل، لأنهم في المستقبل يقولون بفناء الجنة والنار.

إذًا: هذه ثلاث مذاهب، المذهب الرابع الذي لم يقل به أحد فيما نعلم هو: التسلسل في الماضي دون المستقبل، لكن يذكره العلماء من باب تمام القسمة.

- **فعندنا ثلاثة مذاهب مشهورة:**

المذهب الأول: مذهب أهل السنة والجماعة هو أن التسلسل في الماضي والمستقبل؛ لأن الله عز وجل لم يزل ولن يزال متصفًا بصفات الكمال والجلال والعظمة والكبرياء، ولم يكن معطلًا سبحانه وتعالىٰ عن أسمائه وصفاته.

المذهب الثاني: مذهب بعض أهل الحديث، والمتكلمين أن التسلسل في المستقبل دون الماضي، وهذا الذي يشير إليه كلام الطحاوي هنا: (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**).

ونحن نقول: الله اسمه (**الخالق**)، و(**الخالق**) هو الذي يخلق، فالله عز وجل خالق أزلًا وأبدًا، واسمه السميع والسميع الذي يسمع، فهو يسمع أزلًا وأبدًا، المتكلم أيضًا أزلًا وأبدًا.

المذهب الخبيث والبعيد هو قول الجهمية بأن التسلسل ممنوع في الماضي ممنوع في المستقبل.

هذا اختصار للمسألة، ومع ذلك إن فهمت وإلا:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه ❁❁ وجاوزه إلىٰ ما تستطيع

- **والتسلسل في الحوادث جائز،** فلابد أيضًا من التفريق، بين التسلسل في الحوادث، والتسلسل في المحدثين، فالمُحدث الخالق هو واحد، هو الله عز وجل، فلا تسلسل هنا، وإنما الكلام علىٰ الحوادث علىٰ المخلوقات.

القول بقدم العالم قول كفري وزندقة، لأنه قول الطبائعيين الذين لا يرون الله خالقًا ولا رازقًا، ولا سميعًا ولا بصيرًا.

[ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ].

الشرح:

قوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ) أي: أنه متصف بصفات الكمال والجلالة والعظمة ويفعل ما يشاء، كما قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، لا يعجزه شيء، ولا يكرثه شيء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وقال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقال: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

- **وقد اختلف العلماء هل يقال: بأن الله علىٰ ما يشاء قادر؟**

فكثير من العلماء يمنعون ذلك؛ ففي حديث عبد الله بن مسعود عند "مسلم": في آخر رجل يدخل الجنة يقول الله عز وجل: «وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».



والمبتدعة يأتون هنا بألفاظ قبيحة، لا ينبغي أن يؤتىٰ بها. وهي قولهم: هل يقدر علىٰ أن يخلق مثل نفسه؟.

وبعضهم يقول: هل يقدر علىٰ الظلم؟ نقول: الله عز وجل يقول عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، والملك ملكه، والأمر أمره: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

لكن مثل طرح هذه الأسئلة القبيحة تقزز النفوس والعقائد المستقيمة، فلا يخاض فيها؛ إلا لبيان أن الخوض فيها باطل.

- نحن نقول: بأنه تعالىٰ علىٰ كل شيء قدير سبحانه وتعالىٰ، وبدون هذه الأقوال المبتدعة، والأقوال المحدثة، التي تنم علىٰ قلة علم وقلة دين، وسفاسف وتدخلات فيما لا يعني.

فلنكن علىٰ طريقة السلف في جميع مسائل الاعتقاد، ما قاله السلف قلناه، وما توقفوا عنه توقفنا عنه.

[وَكُلُّ شَيءٍ إلَيهِ فَقِيرٌ].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّ شَيءٍ إلَيهِ فَقِيرٌ): من السماوات فما دونها، ومن الملائكة فما دونهم، الملائكة العظام حملة العرش، من العرش فما دونه، فالعرش وحملة العرش محتاجون إلىٰ الله عز وجل، والله غني عنهم، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، ولكنه خلقه لحكمة، واستوىٰ عليه لحكمة علمها وأرادها سبحانه وتعالىٰ.

وغنىٰ الله عز وجل ذاتي، لا ينفك عنه أزلًا وأبدًا، عُبد أو كُفر به، أطيع أو عُصي، أنفق وبذل سبحانه وتعالىٰ ووسع علىٰ عباده، أو قتر علىٰ بعضهم.

له الغنىٰ المطلق، والغنىٰ الذاتي، بينما الناس والمخلوقات غناهم نسبي، حتىٰ وإن وجد لبعضهم مالٌ أو متاع أو اتباع، فإنه غنىٰ نسبي، لا يفيدهم كثير شيء، فهم محتاجون إلىٰ من يؤنسهم، وإلىٰ من يطعمهم، وإلىٰ من يسقيهم، وإلىٰ غير ذلك، وهذا في حد ذاته فقر، فالله هو الغني الحميد. سبحانه وتعالىٰ.

وفي الحدي القدسي عند "مسلم": «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»، أي: لا ينقص شيئًا، وبهذا تعلم أننا محتاجون إلىٰ العودة إلىٰ الله عز وجل، ولا نستغني عنه طرفة عين، ومن استغنىٰ عن الله عز وجل طرفة عين كان من أهل الحين، كان من أهل الهلاك، نسأل الله عز وجل السلامة.

والفقير ينبغي أن يكون متذللًا متواضعًا للغني الذي لا غنىٰ له عنه.

[وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيهِ يَسِيرٌ].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيهِ يَسِيرٌ): كل ما أراده كان لا يعجزهُ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾، كل أمر عليه يسير: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[لا يَحْتَاجُ إِلى شَيءٍ].

الشرح:

قوله: (لا يَحْتَاجُ إِلى شَيءٍ)؛ لأنه الخالق الرازق المالك المدبر الغني الحميد، والعالَم بحاجة إليه.

[﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾].

الشرح:

قوله: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾): لا في ذاتِهِ، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وتقدم أن الكاف صله وتوكيد، **والمعنىٰ:** ليس مثله شيء، وقوله: (﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾): إثبات للسمع والبصر، وليست كصفات المخلوقات.

- **فينبغي لطالب العقيدة الصحيحة:** أن يجمع بين النفي والإثبات.

والعقيدة السلفية هي المأخوذة من الكتاب والسُنة الصحيحة، وما أجمع عليه السلف رضوان الله عليهم؛ ولهذا لا تجد فيها إشكالًا ولا اختلافًا، وإنما الذي يشكل علىٰ طالب العلم، وعلىٰ غيره، هي المسائل التي يكون مصدرها علم الكلام.

فإن هنالك مسائل طرأت علىٰ العقيدة، ويتكلم فيها العلماء، ويخضون فيها، وكان مبدأها أصحاب علم الكلام، كمسألة الاسم والمسمىٰ، ومسائل غير هذه، ومنها هذه، ما يسمىٰ بمسألة تسلسل الحوادث، وإلا فنحن نؤمن بأن الله عز وجل خالق وما سواه مخلوق، وأن الله سبحانه وتعالىٰ موصوف بصفات الكمال أزلًا وأبدًا، فهو سبحانه وتعالىٰ له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلا، أزلًا وأبدًا، فهي غير مخلوقة، وكلامه غير مخلوق، ومع ذلك قد قال النبي صلىٰ عليه وسلم: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فلما كان قد قضىٰ في الأزل، ببقاء كثير من المخلوقات في الأبد، وبقاؤها منه تعالىٰ فهو الذي يبقيها، وكان خلود هذه الأشياء، لا ينافي آخِريته المطلقة المحيطة بالزمان أبدًا، كذلك التسلسل في مخلوقاته إلىٰ الأزل لا ينافي أوليته المطلقة، فهو المحيط بكل شيء أزلًا وأبدًا.

والتسلسل الذي يتكلم عليه العلماء، هو في المؤثَرين، لا في المؤثِرين، فالمؤثِر الذي هو الخالق هو واحد، وإنما التسلسل في المؤثَرين، أي

المخلوقين. والكلام علىٰ جنس المخلوقات، وليس علىٰ مخلوق بعينه، والقول بِقدَم العالم قول باطل عقلًا وشرعًا، بمعنىٰ أن العالم موجود بذاته، وأن وجوده أزلي هذا قول باطل، فهو مخلوق مربوب لربنا سبحانه وتعالىٰ، كما أن القول بفناء العالم، بما فيه الجنة والنار، قول باطل، رده الكتاب والسنة، وإجماع السلف.

ثمانيــةٌ حُكــم البقــاء يعمهــا ❁❁ من الخلق والبـاقون في حَيِّـز العـدم

هم العـرش والكرسـي نـار وجنـة ❁❁ وعجب وأرواح كذا اللـوح والقلـم

وقد وقفت كذلك علىٰ كلام شيخ الإسلام يذكر مما لا يفنىٰ: الصور، بل إن السلف كفر من قال بفناء الجنة والنار، وهكذا القول بأن الله عز وجل كان ولا أسماء له ولا صفات، حتىٰ سماه مخلوقاته بهذه الأسماء والصفات قول كفري وباطل، شرعًا وعقلًا، وهذان القولان هما قول جَهم.

[خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا].

الشرح:

قوله: (خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ): أي: أوجدهم بعلمه وقدرته، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، فالله عز وجل خلق الخلق، وهو عالم بمصالحهم، وعالم بأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعلمه محيط بكل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿اللَّه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وفي حديث حُذيفة رضي الله عنه: «اللَّهَ صَانِعٌ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ» أخرجه البخاري في "الأدب المفرد".

قوله: (**وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا**): قدر أعمارهم وآجالهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، حتىٰ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّه قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، فلا يمكن لأحد في هذا العالم أن يتخلف عما قدره الله عز وجل في اللوح المحفوظ.

وتقدير الله عز وجل يتعلق به أربعة أمور، وهو ما يسمىٰ بمراتب القدر الأربع:

الأول: علم الله عز وجل بالمخلوقات، وإحاطته بها، فلا يخفىٰ عليه شيء من شأنها، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، إلىٰ غير ذلك من الأدلة الدالة علىٰ سعة علم الله، فلا يخفىٰ عليه شيء من المعلومات.

وهذه المرتبة أجمع علىٰ الايمان بها أهل الإسلام، ولم يخالف إلا طائفة من القدرية النفاة وكفروا لذلك، حيث زعم غلاتهم أن الله عز وجل لا يعلم الشيء



إلا بعد وقوعه، وقد كان ظهور هؤلاء في زمن ابن عمر، ورد عليهم كما في مسلم من حديث يحيىٰ بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن: أنهما انطلقا حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقَالوا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ.

أي: أن الله لا يعلم الأمر إلا بعد وقوعه، نعوذ بالله من هذا القول الذي مؤداه إلىٰ تعطيل الله عز وجل، من صفة العلم الأزلية، فإن الله عز وجل قد خلق القلم كما سيأتي، وقال له: اكتب ما كان وما يكون إلىٰ قيام الساعة، فكيف يجوز هذا المبطل لنفسه، أن يزعم أن الله عز وجل لم يعلم بالحوادث إلا بعد وقوعها، وهذه الطائفة كفرهم ابن عمر كما في قوله: "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ".

فدل كلام ابن عمر: علىٰ أن من كان هذا حاله نافيًا لعلم الله عز وجل أنه ليس من المؤمنين بالقدر، بل هو من المخالفين والكافرين بشرع الله سبحانه وتعالىٰ.

فلما ظهر قولهم البائر، وفضحوا بين الأشهاد جاءوا ببدعة أخرىٰ، فقالوا نحن لا نقول بأن الله عز وجل لا يعلم، وإنما نقول يعلم الكليات، ولا يعلم الجزئيات، وهذه بدعة ليست في دين الله، فما من شيء موجود في هذا العالم إلا وهو جزئي، فالقاعدة أن الكليات لا توجد إلا في الذهن، والجزئيات خارج الذهن، فيقول الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، هذه جزئيات أنا وأنت، السماوات الأرض، الجبل النهر البحر، هذه كلها جزئيات عندهم قد أخبر أنه يعلمه، قال تعالىٰ: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

- المرتبة الثانية: **الإيمان بكتابة الله عز وجل لمقادير العباد،** خيرها وشرها، حلوها ومرها، وأدلة ذلك في الكتاب والسُنة كثيرة، فمن الكتاب: قال الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

هذه آيات صريحات أن ما من شيء يقع في هذا العالم إلا وهو في كتاب من قبل أن يخلق الله عز وجل هذا الفعل، الذي فعله الإنسان.

ومن السنة: حديث عبادة بن الصامت: «لما خلق الله القلم قال اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». أخرجه أبو داود وغيره.

وفي حديث عبد الله بن عمرو، عند "مسلم": أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، هذه الكتابة العامة، ثم لله عز وجل كتابات أخرىٰ، وتقديرات أخرىٰ، تأتي في موطنها، إن شاء الله.

- المرتبة الثالثة: **المشيئة وهي**: أن نؤمن بأن ما شاء الله عز وجل كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومعنى هذا: أن ما من شيء يقع في هذا العالم العلوي والسفلي، من حركات أو سكنات، من لحظات وخطرات إلا وقد أرادها الله عز وجل وشاءها كونًا، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

قد يقول قائل: كيف شاء الله عز وجل الكفر والمعاصي من العبادة؟

نقول: شاءها كونًا ولم يشأها شرعًا، فإنها صادرة علىٰ مقتضىٰ حكمته؛ فالمشيئة لا تعلق لها بالمحبة، فقد تكون في المحبوب وغير المحبوب.

وأصل ضلال المبتدعة في هذا الباب: أنهم زعموا أن المشيئة هي المحبوب، ركز علىٰ هذه الفائدة، فقد زعمت القدرية بصنفيهم: الجبرية والنفاة، علىٰ أن المشيئة هي المحبة، فاتفقوا علىٰ هذا القول الباطل، وخرجوا منه إلىٰ طريقين في باب القدر: طريق إلىٰ الغلو، وطريق إلىٰ الجفاء.

فالمبتدعة الجبرية قالوا: ما من شيء في هذا العالم شاءه الله عز وجل إلا وهو محبوب إليه، فالكفر والمعاصي والزنا وغير ذلك، محبوب إلىٰ الله عز وجل.

وقال أولئك النفاة: لا يشاء الله عز وجل إلا المحبوب، وهذه الأمور التي وقعت من الكفريات والشركيات، والبدع والمعاصي لا يحبها الله، إذًا: لا يشاؤها؛ **والسبب في هذا القول**: أنهم بنوا مذهبهم علىٰ باطل، فالمشيئة عند أهل السنة تكون في المحبوب، وغير المحبوب، فخلق الله إبليس وليس بمحبوب، خلقه لحكمة أرادها سبحانه وتعالىٰ، وتحققت بوجوده مصالح كثيرة، فلا بد من فهم هذا الأمر.

لا تعلق بمشيئة الله عز وجل بالمحبوب فقط، فقد تكون في المحبوب، وغير المحبوب، فقد شاء الله من أبي بكر الإيمان، وهذا محبوب، وقد شاء الله وجل من أبي جهل الكفر، وهذا ليس محبوب إليه.

المرتبة الرابعة: (**الخلق**)، وبيان هذه ما قاله الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فالعباد وأفعالهم أشياء خلقها الله عز وجل، وقد تقدم حديث: «اللَّهَ صَانِعٌ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ»، خلق الصانع وخلق صنعته أي: خلق الفاعل، وخلق فعلَه.

وهذه من المسائل المعلومة المتيقنة عند أهل السنة والجماعة، وإنما زلت فيها أقدام وزلقت فيها أقلام القدرية الجبرية، والقدرية النفاة، فهما من أشهر المذاهب في مخالفة أهل السنة والجماعة:

المذهب الأول: **مذهب الجبرية**، وهم أتباع جهم بن صفوان، وهؤلاء زعموا أن الإنسان كالريشة في مهب الريح، أو كالميت بين يدي المغسل، أي: أنه لا قدرة ولا مشيئة ولا فعل له، علىٰ أي شيء.

فعطلوا الإنسان مما وهبه الله عز وجل، من المشيئات، والاستطاعات والأفعال.

المذهب الثانـي: **القدرية المعتزلة**؛ حيث غلت، في إثبات مشيئة العبد وقدرته، وعطلت الله عز وجل من مشيئته وقدرته واستطاعته وخلقه، فزعموا أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، وأن الله عز وجل لم يخلقها، وزعموا أن الله لم يشأ هذه الأفعال، وهذه الحركات والسكنات، كما أن قولهم هذا مبني علىٰ أنها لم تُعلم ولم تُكتب كما هو قول غلاتهم.

ـ مسألة: **وسبب ضلال هاتين الفرقتين**: أنهم زعموا أن المشيئة هي المحبة، فعند أن وقعت عندهم هذه المقدمة التي اتفق عليها الجبرية، والمعتزلة، والأشاعرة، نتج منها النتائج الفاسدة، فذهبت الجبرية وقالت ما من شيء يقع

في هذا العالم إلا وربنا سبحانه وتعالىٰ شاءه وما شاءه إلا وهو علىٰ أصلهم: يحبه.

إذًا: في العالم الكفريات والشركيات والبدع والمعاصي، والخرافات والشرور والآثام، فعلىٰ أصل الجبرية هي محبوبة عند الله؛ **حتىٰ قال قائلهم:**

أصبحتُ منفعلًا لما يختاره ❁❁ منه ففعلي كله طاعات

فغلاتهم يقولون: بأن الكافر يعتبر طائعًا لله عز وجل، لأنه علىٰ مقتضىٰ مشيئته، ومشيئته علىٰ مقتضىٰ محبته، فوقعوا في الضلال البعيد، بل والكفر السحيق، نعوذ بالله.

وقالت القدرية: لا يشاء الله عز وجل إلا المحبوب.

إذًا فالكفريات والمعاصي لم يشأها الله عز وجل، لأنه لا يحبها، ثم نتج منها نتيجة، ولم يخلقها الله عز وجل، فعطلوا الله عز وجل من خلقه ومشيته، وغلاتهم عطلوه من علمه وكتابته.

- **فالقدرية الجبرية** غلوا في إثبات فعل الله واستطاعة الله ومشيئته وقدرته.
- **والقدرية النفاة** غلوا في إثبات فعل العبد واستطاعته وقدرته ومشيئته.
- **والقدرية الجبرية** عطلوا العبد من مشيئته وقدرته واستطاعته وفعله، حتىٰ زعم غلاتهم أن الله هو الفاعل لهذه الأفعال التي يفعلها الإنسان.

والقدرية النفاة عطلوا الله عز وجل من خلقه، ومشيئته وفعله واستطاعته، فوقع ضلال بعيد سحيق، بسبب هاتين الفكرتين.

- **وهدىٰ الله عز وجل أهل السنة والجماعة، فقالوا:** مشيئة الله عز وجل لا تعلق لها بالمحبوب، بل هي في المحبوب وغير المحبوب.

ونحن نؤمن أن ما من شيء يقع في هذا من خير أو شر إلا وشاءه الله عز وجل، إلا أن الطاعات محبوبة إلىٰ الله عز وجل، والمعاصي والسيئات غير محبوبة إلىٰ الله عز وجل.

فقد يأتي لك المبطل ويذكر لك إشكالًا؛ **إذًا يقول لك:** لماذا خلقها الله، وشاءها الله، وهي غير محبوبة لديه؟

فتقول: لنا جوابان: مجمل ومُفصل.

- **فأما الجواب المجمل:** قال الله عز وجل: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، فيفعل ما شاء ولا اعتراض عليه.

- **وأما الجواب المفصل:** فنقول بأن الله عز وجل خلق الكفريات والمعاصي والسيئات والشرور والآثام لمصالح يعلمها، وفعلًا تحققت مصالح كثيرة نراها ونلحظها ونلمسها، فوجود الكفر شر بالنسبة لنا، وأما في حق الله عز وجل فلا، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»، أي: فليس بِشر بالنسبة إلىٰ الله، لأن الله عز وجل خلقها علىٰ مقتضىٰ حكمته.

أما نحن بالنسبة لنا شرور، لكن مع ذلك تحققت لنا من وجودهم مصالح كثيرة، مثل الجهاد في سبيل الله، طلب العلم ونشره، والأمر بالمعروف والنهي



عن المنكر، والنصيحة وبذلها، إلىٰ غير ذلك، فوجود الشر سبب لمصالح كثيرة.

[وضَرَبَ لَهُم آجالاً].

الشرح:

قوله: (وضَرَبَ لَهُم آجالاً) أي: أن الله عز وجل قدر لهم أقدارًا من أرزاقهم وأعمالهم، وضرب لهم آجالًا ينتهون إليها، قال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا﴾.

وفي حديث عبد الله بن مسعود في "الصحيحين"، بيان ذلك: «ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»، فكل ذلك مكتوب وهو في بطن أمه.

وفي حديث عبدالله بن مسعود في "مسلم": أن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ؛ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».

فالشاهد من هذا: أن الأجل الذي يصير إليه الإنسان هو مكتوب عند الله سبحانه وتعالىٰ؛ فإن مات طفلًا أو مات شابًا أو مات شيخًا أو مات هرمًا، مات

بحادث أو بفعل متسبب أو بغير ذلك، كله بأجل وكله بكتاب، قد علمه الله عز وجل وقدره.

وفي هذه الفقرة رد علىٰ الرافضة، ومن إليهم مما يقولون بخرم الأجل، وهذه بدعة لم يسبقوا إليها وهي مخالفة للمعقول والمنقول.

[ولَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ].

الشرح:

قوله: (**ولَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ**): هذا تفسير لما تقدم بيانه من مراتب الايمان بالقدر الأربع، وهي مرتبة العلم. فلم يخفىٰ علىٰ الله شيء، قبل أن يخلقهم فهو عالم بهم، ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، والدليل ما تقدم من قوله صلىٰ الله عليه وسلم: « وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ».

وقوله: (**وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ**): لأن الله عز وجل متصف بالعلم أزلًا وأبدًا، وأما ما يأتي من قول الله عز وجل: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾، فهذا علم الفعل، وإلا فإن الله عز وجل عالم بالأمر قبل أن يكون.

بل يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون. قال الله عز وجل في شأن الكفار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ويكرر الطحاوي رحمه الله وغيره من أهل العلم الكلام علىٰ إثبات علم الله عز وجل الأزلي الأبدي مع أن هذا أمر معلوم ضرورة عند أهل الإسلام، لكن

للرد علىٰ النفاة الذين يزعمون أن الأمر أنف، وأن الله لا يعلم الفعل إلا بعد أن يكون، أو أن الله عز وجل لا يعلم الجزئيات، وإنما يعلم الكليات علىٰ قول متأخريهم.

ومع أن الله عز وجل بكل شيء عليم، لم يكل الناس إلىٰ ما في علمهم، بل أمر الناس بطاعته، كما قال المصنف: (وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ).

فالناس مخاطبون بما جاءهم من أمر الله ونهيه، وليسوا مخاطبين بما هو في علم الله سبحانه وتعالىٰ، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، متفق عليه عن أبي هريرة، وقال الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، في آيات.

فأمرنا الله عز وجل بطاعته، ونهانا سبحانه وتعالىٰ عن معصيته، والطاعة هي ملازمة المأمور، والبعد عن المحظور؛ لأن الطاعة والعبادة تكون بالفعل وتكون بالترك، فإقام الصلاة عبادة فعلية، والبعد عن الزنا جراء الله عز وجل عبادة تركية، وأعظم المعاصي الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

كما أن أعظم الطاعات التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وجميع الرسل والكتب جاءت بهذا الأمر، الأمر بالطاعة والتحذير من

المعصية، ولو تأملت عدة آيات في سورة الشعراء، لوجدت عدد الرسل وهم يقولون: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بقدرتهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لا مشيئةَ للعبادِ إلاَّ مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ].

الشرح:

- **قوله: (وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بقدرتهِ وَمَشِيئَتِهِ): مع أنه خلقهم**، ويعلم ما هم عاملون، وكل شيء في هذا العالم يجري بمشيئته وتقديره لا يخرج شيئًا عن مشيئته، لا يكون في ملكه إلا ما شاء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

قوله: (وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ) تقع ولا بد **(لا مشيئةَ للعبادِ)** منفصلة عن مشيئته فلا يقع منهم **(إلاَّ مَا شَاءَ لَهُمْ)** إلا أن للعباد مشيئة، وقدرة واستطاعة، ويؤاخذون بها.

فالله عز وجل يوم القيامة لا يؤاخذ الناس بعلمه، وإنما يؤاخذهم بأفعالهم، وبما صدر عن مشيئتهم وإرادتهم، فإن الله عز وجل يقول مخبرًا عن عباده: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، والله عز وجل متجاوز عن الخطأ والنسيان والإكراه، قال تعالىٰ: ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾، ومتجاوز عما صدر من العبد، قبل التكليف، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم:

«رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ؛ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»، أخرجه أبو داود عن علي رضي الله عنه.

قوله: (فَمَا شَاء لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ): وهذه عبارة يكررها المسلمون جميعًا، وهي مبنية علىٰ قول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

[يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ ويُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يشاءُ وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلا].

الشرح:

قوله: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ ويُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يشاءُ وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلا): وهذه مسألة أخرىٰ، وهي: أن الله عز وجل من وفقه للخير فبفضله، ومن سخره للشر فبعدله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

بينما تجد بعض المبتدعة يعترضون علىٰ الله عز وجل بـ(لما؟)، لماذا تفضل الله علىٰ هذا؟ ولماذا خذل هذا؟ فعندهم عقيدة أنه يجب علىٰ الله عز وجل فعل الأصلح للعبد، وهذا القول منهم باطل عقلًا وشرعًا.

فإن الله عز وجل خلق العباد وهداهم ودلهم إلىٰ سبل الرشاد، فمن كان أهلًا للهدىٰ وفقه الله عز وجل له، ومن كان ليس بأهل خذله الله عز وجل، وليس واجب علىٰ الله عز وجل أن يعين العبد علىٰ فعل الأصلح، وإنما يتفضل سبحانه وتعالىٰ علىٰ من شاء من عباده، ومثال ذلك في الواقع: لو أن رجلًا لقي رجلًا

فقال له: أنصحك بطلب العلم، فإن فيه المنفعة والخير، وهذا المال لك، استعن به علىٰ طلب العلم، واشترِ به كتبًا، وإذا احتجت إلىٰ شيء أعطيتك.

ووجد آخر فقال له: أنا أنصحك بطاعة الله، وبطلب العلم والمسارعة في ذلك، ولم يعطه شيئًا، هل هو مسيء مع الآخر؟

لا ليس بمسيء، بل أنه تفضل علىٰ الأول ولم يسئ في حق الآخر، ولله المثل الأعلىٰ.

فالله عز وجل خلق المكلفين، وشرع لهم الشرائع وفرض عليهم الفرائض، وأنزل الكتب دالة علىٰ هذا الأمر وهذا الخير، ووفق من شاء لعلمه أنه أهل لذلك، وخذل من شاء؛ لعلمِهِ أنه أهل لذلك، مع أنه مطالب بفعل المأمور وترك المحظور.

وقد أحسن القائل:

مـا لِلْعِبـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ واجِـبُ	كَـلاَّ ولاَ سَـعْيٌ لَدَيْـهِ ضـائِعُ
إنْ عُـذِّبُوا فَبعَدْلِـهِ أوْ نُعِّمُـوا	فَبِفَضْلِهِ وهْـوُ الكَـرِيمُ الواسِـعُ

وهذا مذكور في كتاب الله عز وجل كثيرًا أن الله عز وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

يهدي من يشاء فضلًا منه ومنة، وكرم وجود ورحمة، ويضل من يشاء عدلًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

[وَكُلُّهُمْ يتقلَّبونَ في مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّهُمْ يتقلَّبونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ): أي: أن المطيع يتقلب في فضل الله عز وجل، والعاصي المعرض يتقلب في عدل الله عز وجل؛ ولذلك حين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقع الحمد لله كما قال تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فأهل الجنة دخلوا بفضل الله، وله الحمد، وأهل النار دخلوا فيها بعدل الله وله الحمد، فيحمد الله عز وجل علىٰ فضله، ويحمد الله عز وجل علىٰ عدله.

فكل هذه الفقرات رد علىٰ القدرية النفاة، وهم الأكثر والأشهر، لا كثرهم الله.

أما القدرية الجبرية فقولهم ظاهر البطلان لمن تأمله، **إذ** أنهم يزعمون أن الإنسان في هذه الدنيا كالريشة في مهب الريح، أو كالميت بين يدي المغسل، مع أن أنك لو ضربته أو شتمته أو سجنته ثم تقول له: قدر الله علي ذلك وأنا مجبور، لما رضي بهذا الحكم، ولا قال وأنت مجنون، كيف مجبور وأنت الذي فعلت بي وفعلت بي وفعلت بي.

- فالشاهد: أن مذهب الجبر يخالف المعقول والمنقول، ومع ذلك قال به الجهمية، ومن إليهم، نسأل الله السلامة.

[وَهُوَ مُتَعَالٍ عن الأضْدادِ وَالأنْدادِ].

الشرح:

قوله: (وَهُوَ مُتَعَالٍ) أي: أن الله عز وجل له العلو المطلق، علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر فهو متعالٍ (عن الأضْدادِ وَالأنْدادِ)، عن المثلاء والنظراء، وقد تقدم شيء من الأدلة، منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، وهكذا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فلكماله سبحانه وتعالىٰ المقدس من كل وجه، تعالىٰ أن يكون له نظير أو مثيل أو شريك، أو مسامي أو غير ذلك.

وقد تقدم معنا: أن الإثبات في حق الله عز وجل يدل علىٰ الكمال المقدس، والواجب أن نصف الله عز وجل بالإثبات، وأن النفي في حق الله عز وجل يتضمن تنزيه الله عز وجل عن النقائص، ويستلزم إثبات كل حمد لله وتعالىٰ.

[لا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلا غَالِبَ لأمْرِهِ، (مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالانْدَادِ) آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلاً مِنْ عِنْدِهِ].

الشرح:

- أي: أن ما قضاه الله عز وجل كونًا لا بد أن يقع؛ لأن القضاء والقدر والمشيئة والإذن، وغير ذلك من الاصطلاحات في هذا الباب، منها الكوني ومنها الشرعي.

فالكوني لابد أن يقع، ويكون في المحبوب وغير المحبوب، والشرعي قد يقع، وقد لا يقع، ولا يكون إلا في المحبوب، وهذهِ التقاسيم ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في كتابه "شفاء العليل".

أما المشيئة فلا تكون إلا الكونية، أما الإرادة **فهي منقسمة إلىٰ قسمين**:

الأولى: إرادة كونية، والثانية: إرادة شرعية.

قوله: (**لا رَادَّ لِقَضَائِهِ**): فما قضاه الله عز وقدره كونًا لابد أن يقع، ولو اجتمع من بإرجائها علىٰ رده لما استطاعوا، كما في حديث ابن عباس **رضي الله عنه**: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». أخرجه الترمذي.

قوله: (**وَلا مُعَقِّبَ**) أي: مؤخر (**لِحُكْمِهِ**) الكوني القدري، ولو اجتمع من بأقطارها.

قوله: (**وَلا غَالِبَ لأمْرِهِ**)، فـ﴿**اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ**﴾، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

قوله: (**آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ**): أي بالقدر وما يتعلق به من الأحكام.



قوله: (وَأَيْقَنَّا) أقررنا (أَنَّ كُلاً مِنْ عِنْدِهِ): من عند الله الخير والشر من الله، كما هو معلوم من عقيدة المسلمين. وأما حديث: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، فلأهل السُنة كلام عليه، ذكره النووي رحمه الله في "شرحه علىٰ مسلم"، **منها**: أن الشر لا يرفع إلىٰ الله عز وجل، **ومنها**: أن الشر لا يتقرب به إلىٰ عز وجل، **ومنها**: أن الشر لا يضاف إلىٰ الله عز وجل، **ومنها**: أن الشر ليس بشر بالنسبة إلىٰ الله عز وجل، وإنما هو شر في حقنا. أما ربنا عز وجل فإن خلقه وأفعاله صادرة عن علمه وحكمته، فما شاء كان، ومن لم يشأ لم يكن.

مثل المعاصي بالنسبة لنا شر، لكن أوجدها عز وجل لحكمة: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾، فتحققت مصالح كثيرة بوجود هذه الشرور، من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ثم بعد ذلك الناس: إما إلىٰ جنة وإما إلىٰ نار.

وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى، وَخَاتَمُ الأنبياء، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَه: فَغَيٌّ وَهَوًى، وَهُوَ المَبْعُوثُ إلى عَامَّةِ الجِن وَكَافَّةِ الوَرَى بِالحَقِّ وَالهُدَى وَبِالنُّورِ والضِّياءِ.

الشرح:

قوله: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفى): عطفه علىٰ قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ)، فبعد أن تكلم رحمه الله عن بعض ما يتعلق بصفات الله عز وجل، ناسب أن يأتي ببعض ما يتعلق بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، وذلك أن الله عز

وجل قد قرن بين الشهادة له بالوحدانية، وبين الشهادة لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم بالرسالة.

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ... » متفق عليه، وفي قول الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

أن اسم (محمد) صلىٰ الله عليه وسلم مقرون في كثير من المواطن، باسم الله عز وجل، كرفع الأذان والشهادتين وغير ذلك.

والنبي صلىٰ الله عليه وسلم فضائله وشمائل وأوصافهُ كثيرة، وقد صُنِفَّ فيها المصنفات، منها: "الشمائل للترمذي". وغير ذلك، والكلام عن محمد صلىٰ الله عليه وسلم، يكون من **عدة أوجه:**

الوجه الأول: أنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: أنه أفضل رسل الله سبحانه وتعالىٰ.

الثالث: أنه خاتم الرسل والأنبياء، فلا نبي بعده ولا رسول.

الرابع: أنه سيد الناس في الدنيا والآخرة.

الخامس: أنه خليل رب العالمين، لأن الطحاوي ذكره هنا بقوله: (وَحَبِيبُ رَب العَالَمِينَ).

- **فقد جاء حديث لا يصح:** "أن الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد"، وهذا **كلام عليه انتقاد:**

أولا: أن الحديث لا يصح.

الثاني: أن المحبة دون الخلة.

الثالث: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»، متفق عليه عن جندب رضي الله عنه.

الرابع: أنه مبعوث إلىٰ عامة المكلفين، من الجن والإنس.

فأما كونه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقد قال الله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

وله أسماء أشهرها: (**محمد، ثم أحمد**)، وقد ورد اسم (**محمد**) في القرآن، في أربعة مواطن، واسم أحمد في موطن واحد.

وفي حديث أبي موسىٰ وجبير بن مطعم في "الصحيح"، عدة من الأسماء: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»، وسماه الله عز وجل (**رؤوفًا**)، وبعض أهل العلم ذهب في تسميته إلىٰ تسعة وتسعين اسمًا، وبعضهم زاد ونقص.

والصحيح: أن أسمائه دون ذلك بكثير إلا أن هنا فائدة لطيفة وهي: أن أسماء محمد صلىٰ الله عليه وسلم أعلام وأوصاف، فكل اسم من أسمائه صلىٰ الله عليه وسلم يتضمن صفة، فهو (**محمد**)؛ لكثرة محامده وحمده، وهو (**أحمد**) لهذا المعنىٰ.



حتى قال بعضهم: عيسىٰ عليه السلام ذكره باسم أحمد؛ لأنه سيكون حامدًا.

وذكر باسم (**محمد**)؛ لأنه صار حامدًا بالفعل، صلىٰ الله عليه وسلم.

وقوله: (**عَبْدُهُ**): ردَ علىٰ الغلاة من الصوفية والباطنية ومن إليهم، الذين قد رفعوا محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم فوق منزلته، وربما دعوه من دون الله، وصرفوا له النذور وجاءوا حوله بالكلمات، التي لا تجوز إلا لله عز وجل، وقد حذر منها النبي صلىٰ الله عليه وسلم، في قوله في عدة مجامع: «**إنَّما أنا عبدٌ**».

ويقول الله عز وجل مخبرًا عنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، في آيات كثيرات، لسد ذراع الغلو فيه، سواء الغلو في باب الإفراط أو في باب التفريط.

فكلما جاوز الحد فهو غلو، إفراطًا أو تفريطًا.

وقد وصف الله عز وجل محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم في مواطن من كتابه بالعبودية، وهي أشرف المواطن، موطن الإسراء، وإنزال الكتاب، والوحي، والمعراج، والدعوة، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقال: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾.

فأشرف المواطن وصفه بالعبودية، فلو كان هناك وصف، أشرف منها لوصفه الله عز وجل به، وفي كل هذه أضافه الله عز وجل إلىٰ نفسه، إضافة تشريف.



وقوله: (عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى): (**المصطفىٰ والمجتبىٰ والمرتضىٰ**): هي أسماء متقاربة المعاني، تدل علىٰ أن الله اصطفاه واختاره، وارتضىٰ سيره وعمله وطريقه، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَار﴾، وقال: ﴿إِنّ اللّه اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ»، أخرجه مسلم عن واثلة رضي الله عنه.

وقوله: (الْمُصْطَفَى): أيضًا رد علىٰ الجفاة، الذين جفوا في حقه.

وقال بعضهم: إنما هو رجل ذكي، فهم لا يستطيعون أن ينكروا فضله ومنزلته، ولكن أرادوا أن يسلبوا منه اسم الرسالة والنبوة، فقالوا: هو رجل ذكي استطاع أن يجمع العالم أو يجمع أتباعه علىٰ أفكار وتخيلات لا أساس لها.

وربما ألفَّ بعض الكافرين كتابًا في عظماء الدنيا، وجعل محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم رقم واحد في الكتاب؛ لأنه صلىٰ الله عليه وسلم بعث في بادية يهضم بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، ويظلم بعضهم بعضًا، لا يعرفون حلالًا، ولا يتورعون عن حرام عبدوا الأصنام والأوثان، وعبدوا الحجارة، وفعلوا ما لا يُفْعل، فما هي إلا أيام وأعوام وإذا بهؤلاء الأعراب قد صاروا ملوكًا وسادة في العالم، وما زالوا إلىٰ الآن، علىٰ ما جاء به محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فهذا

يجعل مثل هؤلاء يعترفون برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، بهذه الميزة العظيمة إلا أنهم قصروا حين زعموا أنه ليس برسول.

قوله: (**وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى**): فهو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أرسله الله، كما قال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، هكذا وصفه الله عز وجل، وكلمة رسول تدل علىٰ أن هنالك مُرسل.

وقوله: (**الْمُصْطَفَى**): ليس من أسمائه، ومع ذلك في حديث عبد الله بن مسعود الذي له حكم الرفع عند أحمد: "**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ** صلىٰ الله عليه وسلم **خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ**".

والفرق بين النبوة والرسالة لطيف، مع أن العلماء قد ذكروا فروقًا، **إلا أن مجملها في أمور**:

الأول: أن كل رسول نبي، ولا عكس.

الثاني: أن الرسول في الغالب يأتي بشرع جديد، والنبي كالمجدد لدين الرسل الذين قبله، **وقال بعضهم**: الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهذا تعريف عليه انتقاد؛ لأن الله عز وجل قد أخذ الميثاق علىٰ أهل العلم، وذروتهم الرسل والأنبياء بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾، فإذا كان هذا الميثاق علىٰ آحاد العلماء في تبليغ دين الله عز وجل، فمن باب أولىٰ أنه

شامل لرسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فالنبي مأمور بالتبليغ كما أن الرسول مأمور بالتبليغ.

والأنبياء والرسل يتفاضلون، قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، إلا أنه ينبغي حين ذكر التفاضل بينهم، عدم التنقص لبعضهم، ولذلك قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنه.

وفي "الصحيحين": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ؛ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ. فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى»، وفي رواية: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ».

وليس معناه: أنه لا أفضلية بينهم، ولكن لا يجوز القيام بشيء يؤدي إلىٰ تنقص الآخر، فكلهم ذو فضل ومنزلة عَلِيَّة ورفيعة، وبعضهم أفضل من بعض، فليس منهم دني.

و(**النبي**): مشتق من النبوة، وهو: **الارتفاع**، وأفضلهم خمسة: وهم أولوا العزم من الرسل، وذكرهم الله عز وجل في موطنين من كتابه، في قوله تعالىٰ:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

وأفضل الخمسة: (محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ثم إبراهيم الخليل، فهو أبو الأنبياء، ممن جاء بعده، ثم موسىٰ عليه السلام، وأمته من أكثر الأمم بعد أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم دخولًا الجنة، ثم عيسىٰ ونوح، جُعلا في مرتبة واحدة).

وقال الله عز وجل آمرًا لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

وأمر الله عز وجل لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم أن يصبر كأولي العزم دل علىٰ أنهم افضل من غيرهم، وانهم جاهدوا في الله حق جهاده، وقاموا بما لم يقم به غيرهم، مع أن غيرهم من الأنبياء والرسل قد قاموا بالدعوة إلىٰ الله عز وجل علىٰ أكمل الوجوه، التي شرعها الله عز وجل.

قوله: (**وَإِنَّهُ خَاتَمُ الأَنبِيَاءِ**): قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

وجاء في الحديث ما يبين ذلك، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ**»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله

عليه وسلم: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ»، وفي رواية: «وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ولا رسول»، متفق عليه عن جابر رضي الله عنه.

ويأتي بعض من ألحدَ في دين الله عز وجل، ويقول معنىٰ خاتم النبيين: زينة النبيين، نعم هو زينة النبيين وأفضل النبيين والمرسلين، إلا أن هذا القول يريد أن يتوصل به إلىٰ إثبات النبوة لغيره بعده، وهذا قول كفري.

فمن اعتقد أن ثمة نبي أو رسول بعد محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة، فلهذا حكمَ العلماء علىٰ حديث: "لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله" بالوضع؛ لأنه حديث يخالف المعقول والمنقول والثوابت والأصول لأن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم آخر الأنبياء.

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قوله: (وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ): الإمام هو القدوة في الخير، قال تعالىٰ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: وهو الأمة، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾.

قوله: (وسيّدُ المُرْسَلين): للحديث المتقدم: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ»، وهو سيد الناس أجمعين.

وقد يكون قائل: كيف الجمع بين قوله: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ»، وبين قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «السَّيِّدُ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ»[(١)]؟

---

(١) أخرجه أبو داود عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه.

الجواب: نقول الله عز وجل ذو السيادة المطلقة، السيادة الكاملة من كل وجه، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم سيد، سيادة تليق ببشريته، والله عز وجل سيادته تليق بكماله، ثم إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قد قال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، متفق عليه عن أبي بكرة رضي الله عنه، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أما نهيه نهىٰ عن قولهم: "يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَيَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا". كأنه نهىٰ عن الغلو، الذي يخرج بهم عن المقصود؛ ولهذا قال في الحديث نفسه: «وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي اللَّهُ».

وقوله: (وَحَبِيبُ رَب العَالَمِينَ): تقدم أنه خليله، والخلة صافي المحبة كما قال بعضهم:

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ ولذا سمي الخليل خليلًا

وفي الحديث: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ عز وجل صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

[وَكُلُّ دَعْوَى نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوًى].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّ دَعْوَى نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوًى): أي: كفر وضلال، ولهذا كفر العلماء القاديانية، ومن إليهم ممن يزعمون النبوة في أحمد القادياني، ولا يزال

هذا الأمر متفشي في الناس في الدعوة إلىٰ النبوة والرسالة، حتىٰ يكون في آخر الزمان قبل الساعة ثلاثون دجالًا كلهم يزعم أنه نبي. هؤلاء المشهورون أما غيرهم فكثير.

[وَهُوَ المَبْعُوثُ إلى عَامَّةِ الجِن وَكَافَّةِ الوَرَى، بِالحَقِّ وَالهُدَى وَبِالنُّورِ والضِّياءِ].

الشرح:

قوله: (وَهُوَ المَبْعُوثُ إلى عَامَّةِ الجِن وَكَافَّةِ الوَرَى): قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، كل هذه الأدلة تدل علىٰ عموم نبوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

- **ومن السنة:** جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»، وفي رواية أخرىٰ عند مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ

الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»،

- **ومما يدل علىٰ أنه مبعوث إليهم جميعًا**: أنه قد آمن به أناس من اليهود، كعبدالله بن سلام، وناس من النصارىٰ، كتميم الداري والنجاشي وغيرهما، وأنه صلىٰ الله عليه وسلم أرسل إلىٰ الملوك والأمراء من جميع الطوائف والبلدان يدعوهم إلىٰ الإسلام، فهذا يدل علىٰ عموم رسالته ونبوته صلىٰ الله عليه وسلم.

قد يقول قائل: ما الحكمة؟ في أن كل رسول كان يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعث محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الخلق عامة؟

نقول: لأن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ولا رسول، فناسب أن يكون إلىٰ جميع المكلفين، بينما قبل محمد صلىٰ الله عليه وسلم كان ربنا سبحانه وتعالىٰ يرسل إلىٰ كل قوم من يدعوهم إليه إلىٰ توحيده وإفراده مما يجب له.

قوله: (**بِالحَقِّ وَالهُدَى وَبِالنُّورِ والضِّياءِ**): أرسله الله عز وجل بالحق، الذي هو القرآن، والهدىٰ الذي هو العلم النافع، وبالنور والضياء، والتوحيد والسُنة، وكلها معاني متقابلة، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.



وقد تكلمتُ علىٰ فضائله، وكثير من خصائصه صلىٰ الله عليه وسلم في كتابي "سلامة الخلف في طريقة السلف".

أردنا أن نبين لما سقناه من فضائل النبي صلىٰ الله عليه وسلم، أنه لا يرغب عن طريقته وهديه وسيره إلا من سفه نفسه، فكيف يقدم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قول قائل، أو فعل فاعل، مع أن الله عز وجل قد أكرمنا بهذا النبي الكريم صلىٰ الله عليه وسلم، ومهما تكلم الناس في فضائله، صلىٰ الله عليه وسلم شمائله وخصائصه يعجز الإنسان لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أكمل البشرية وأزكاهم ويكفي من وصفه قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وهذا عام في الأقوال والأفعال والمعتقدات.

ويقولون: شهادة أن محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تتضمن أمورًا:

الأول: طاعته فيما أمر.

الثاني: اجتناب ما نهىٰ عنه وزجر.

الثالث: تصديقه فيما أخبر.

الرابع: ألا يعبد الله عز وجل إلا بما شرع. فهو القائل: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

- وهو **القائل** صلىٰ الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، أخرجه أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

هذا مختصر بما يتعلق بالكلام علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وإلا فقد صُنِفَ في نشأته المطولات والمختصرات.

[وإنَّ القرآنَ كلامُ الله مِنْهُ بَدَا بلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ المُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ الله تَعالى بالحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ، فمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّه كلامُ البَشَرِ فَقَد كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ الله وعَابَهُ وأَوْعَدَهُ بسَقَرَ حيثُ قالَ تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾، فلمَّا أَوْعَدَ الله بسَقَرَ لِمَن قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ البَشَرِ﴾، عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ ولا يُشْبِهُ قَوْلَ البَشَرِ، وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنًى مِنْ مَعاني البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَر هَذَا اعتبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّار انْزَجرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالبَشَرِ].

الشرح:

- **فقرة تضمنت عدة فقرات:**

❁ **الفقرة الأولى**: ما عليه أهل السنة من الاعتقاد الصحيح، من أن القرآن كلام الله، وقبل أن نتكلم عن هذه المسألة ينبغي أن نعرف أن الكلام عن صفة الكلام لله عز وجل، تكون علىٰ معنيين:

الأول: إثبات صفة الكلام لله عز وجل أزلًا وأبدًا.

الثاني: إثبات أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، أنزله علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وسمعه جبريل من الله عز وجل، ثم سمعه محمد صلىٰ الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام، **إذن**: من معتقد أهل السنة والجماعة، أن الله عز وجل

يتكلم بحرف وصوت، متىٰ شاء وبما شاء وكيف شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فقولنا: يتكلم: المراد به الكلام الحقيقي، الكلام المسموع.

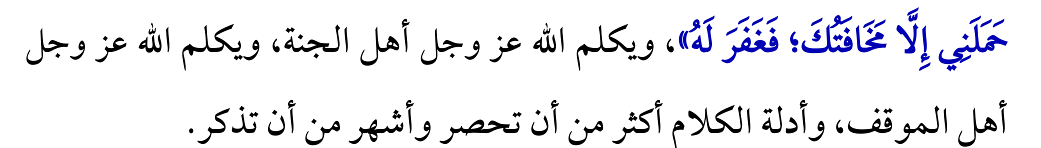
والكلام صفة كمال، ومعطي الكمال أولىٰ به، وأدلة كلام الله عز وجل من القرآن والسنة كثيرة.

قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾، وكل هذه الخطابات التي فيها: ﴿قال﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾، وكل الأدلة التي فيها: ﴿يناديهم﴾، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، وقال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

وأيضًا: أحاديث الشفاعة، وما فيها فيقول الله عز وجل: «وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وأحاديث المحاسبة يلقىٰ الله العبد فيقول: «فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»، أخرجه الترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

وحديث ذلك الرجل الذي أحرق نفسه، وأمر أبناؤه أن يحرقوه، ثم يذروه في البحر، في يوم راح، فَجَمَعَهُ اللهُ ثُمَّ قَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا



حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ؛ فَغَفَرَ لَهُ»، ويكلم الله عز وجل أهل الجنة، ويكلم الله عز وجل أهل الموقف، وأدلة الكلام أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

المسألة الثانية: أن القرآن كلام الله، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾، قال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: **«أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»**، أخرجه البخاري في الأدب عن جابر رضي الله عنه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: "وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ؛ لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ". متفق عليه.

وقال عمرو بن دينار: (أدركت أكثر من سبعين من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود).

وقال الله عز وجل: ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وقال: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و(من) للابتداء.

فكل هذا يدل دلالة صريحة علىٰ أن نزول القرآن منه تعالىٰ، ولهذا يقول العلماء: ونعتقد أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

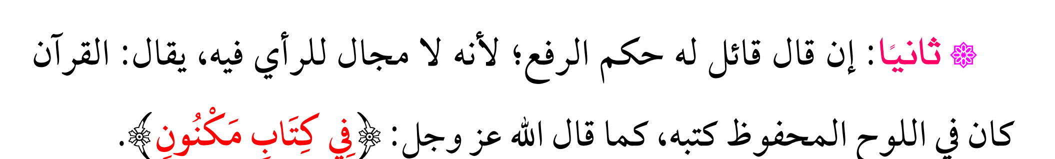
وقولنا: (كلام الله) أي: صفة الله؛ لأن الإضافة هنا إضافة معاني، وليست بإضافة أعيان، فالأعيان القائمة بنفسها إضافتها إلىٰ الله عز وجل إضافة تشريف، أو مُلك أو خلق أو إيجاد.

تقول: سماء الله وأرض الله، وبيت الله، وناقة الله، والمعاني تكون إضافتها إضافة صفة إلىٰ موصوف، كقولك: وجه الله، وكلام الله، وسمع الله وبصر الله، لأن الكلام لا يكون ذاتًا تقوم بنفسها؛ حتىٰ يقول أحدهم رأيت كلام الله يسير أو يمشي أو راكب، هذا لا يكون، كما أنه لا يقال ذلك في كلام زيد ولا عمرو ولا محمد ولا صالح، فالكلام معنىٰ يقوم بغيره.

فإضافته إلىٰ الله إضافة صفة إلىٰ موصوف.

والكلام كمال ومعطي الكمال أولىٰ به، إذ لو عُطل الله عز وجل من صفة الكلام للزم أن يُشبه بالجمادات والحيوان غير الناطق، تعالىٰ الله عز وجل عن قول المبطلين علوًا كبيرًا.

قال: (مِنْهُ بَدَا): أي: قولًا تكلم به حقيقة، وسمعه منه جبريل حقيقة، وهذا من الأمور المهمة، وقد يُشكل علىٰ بعضهم ما علمَ من أثر ابن عباس رضي الله عنه، المخرج في كتب التفاسير، من أن الله عز وجل أنزل القرآن جملة واحدة إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجمًا، فهذا الأثر أولًا: ليس من كلام النبي صلىٰ الله عليه وسلم.



❁ **ثانيًا**: إن قال قائل له حكم الرفع؛ لأنه لا مجال للرأي فيه، يقال: القرآن كان في اللوح المحفوظ كتبه، كما قال الله عز وجل: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

وكما في حديث عبادة بن الصامت: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**، وفي رواية: **«اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»**، أخرجه أبو داود.

وهذا هو الذي أنزل إلىٰ السماء الدنيا، أما ما يتعلق بأن الله عز وجل تكلم به بالفعل، إنما كان بعد بعث محمد صلىٰ الله عليه وسلم وحين نزوله.

وبنحو هذا القول قال شيخ الإسلام، والشيخ ابن عثيمين رحمهم الله جميعًا.

وقوله: (**وَإليهِ يَعود**): مأخوذة من حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: **«وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ** عز وجل **فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ»**، أخرجه ابن ماجه عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

فيرفعه الله عز وجل في آخر الزمان من صدور الرجال، كما رفع الله عز وجل في أول الزمان بعض سورهِ من صدور الرجال.

وقال بعضهم: (سورة من المسبحات كنا نعدها بطول الطولين)، أي: بالأعراف.

- **وجاء عند مسلم**: عن أَبِي الْأَسْوَدِ، قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ إِلَىٰ قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كَمَا قَسَتْ

قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَىٰ وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَىٰ الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"،

وسورة الأحزاب، نُسخ منها الكثير لفظًا، وإنما نجد في بعض روايات الصحابة، يذكرون آية كذا وكنا نقرأ كذا، (**الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ**)، و(**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَىٰ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ**).

إلىٰ غير ذلك، فكما أنه قد نسخ بعضه في أول الإسلام، فكذلك يُقبض في آخر الزمان من صدور الرجال، ومن الصحف وحتىٰ لا يبقىٰ في الأرض منه آية.

والسبب في ذلك: أن أهله ضيعوه، فلما ضيعوه رفع من بين أيديهم، من بين أظهرهم، وهكذا القول في الكعبة، حيث دافع الله عز وجل عنها أبرهة الأشرم، ولم يدافع عنها ذا السويقتين، والسبب في ذلك أن الله عز وجل قد علم أنه سيكون أناس يعظمون البيت العتيق، ويؤمونه للحج والعمرة والعبادة والاعتكاف والطواف، فحفظ الله لهم بيتهم وحرمتهم، فلما كان في آخر الزمان واستحل البيت أهله، سلط الله عز وجل علىٰ البيت ذو السويقتين، فلله الحكمة البالغة.

قوله: (**بلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا**): بلا كيفية رد علىٰ الممثلة، ومن إليهم ممن ربما أثبتوا بعض ما لا يثبت من صفات الباري سبحانه وتعالىٰ، وكذلك رد علىٰ المعطلة الذين يأتي بيان طريقهم، وهو أنهم يقولون: لو أثبتنا لله الكلام لزم أن يكون له لسان وشفتان وأحبال صوتية، وجوف وغير ذلك وهذا إلزام باطل، إلزام علىٰ غير دليل فهو باطل.

فقوله: (**بلا كَيْفِيَّةٍ**) أي: بلا كيفية معلومة لنا، **وهنا مسألة وهي**: لأنك تجد السلف كثيرًا ما يقولون نمرها كما جاءت بلا كيف، نؤمن بها بلا كيف! هم لا يريدون أن لا كيفية مطلقة، فإن ما من موجود إلا وله كيف، وما من صفة إلا ولها كيف؟ لكنه كيف غير معلوم لنا.

إذًا: المكَيف لا يعلم إلا بثلاث أمور: النظر إليه أو النظر إلىٰ مثيله أو إخبار من رآه عنه، وكل ذلك منتفي في حق الله عز وجل فما بقي إلا أن نؤمن بالصفة علىٰ المعنىٰ اللائق بالله عز وجل، بلا كيف معلوم لنا.

قوله: (**مَسموعًا**) فهذا توكيد: أن كلام الله عز وجل كان قولًا، ولم يكن كما قال بعضهم: المراد بالكلام الكلِم التجريح، قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، أي: جرحه بأظافر الحكمة، فالواقع إنما هو قول الله عز وجل، والقول معروف في لغة العرب.

وفيه: رد علىٰ من زعم: أنه كلام نفساني.

قوله: (وَأَنْزَلَهُ عَلى رَسُولِهِ وَحْيًا): قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، وقالك ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾، وقال: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، إلىٰ غير ذلك من الآيات، فالله عز وجل أنزله علىٰ عبده محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وأوحاه إليه حيث جاءه به جبريل عليه السلام.

وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذا سمع القرآن قرأ وشق عليه، ذلك، فأنزل الله وجل: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، فكان بعد ذلك يأتيه جبريل بالقرآن، فيستمع له وينصت، فإذا انصرف قرأ كما وعده الله.

قوله: (وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا): أي: أن المؤمنين صدقوا هذا الأمر واقروا به، واعتقدوه من أن: (الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ)[1]، وكانوا يَعرفون ذلك، ويقولونه ويعتقدونه.

قوله: (وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ الله تَعالى بالحَقِيقَةِ): يعني: ليس عندهم تشكك في هذا الأمر أو ريب، قال تعالك ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، فهم مصدقون مقرون موقنون، أنه كلام الله تعالىٰ في الحقيقة.

إذ أن عندهم اعتقاد أن من زعم أنه ليس بكلام الله فهو كافر.

---

(١) "اصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة" للألكائي.

كيف يُعتقد بأن القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم. وتحدىٰ أقحاح العربية وفصحاء وبلغاء العرب: أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

فلو كان كما يقولون كلام البشر لاجتمع أهل الجزيرة إن عجز بعضهم، وجاؤوا بما يوازي نظمه أو نظم بعضه، كما تحداهم الله عز وجل، لكنهم لما عجزوا عنه وشهد أقحاح العربية، أنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة، كما في قصة أنيس أخي أبي ذر رضي الله عنه، وكان رجلًا شاعرًا، وقد أتىٰ الكهان والسحرة ومع ذلك قال: (ما وجدت نظمه ينتظم علىٰ قولهم، ولا علىٰ فعلهم). فهو: ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.

انظروا إلىٰ أقصر سوره، تجد فيها من المعاني البليغات، والحقائق الجليات، والتوحيد والآداب والأحكام، ما لا يتسع له كتاب، إذا أراد الإنسان أن يصنف ويتوسع.

فقد جعل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، تعدل ثلث القرآن، لما تحمل من المعاني العظيمة، فهي دالة -علىٰ قول بعضهم- علىٰ التوحيد، الذي هو ثلث القرآن.

فقوله: (وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ تَعالى بالحَقِيقَةِ): أي: أنه تكلم به بحرف وصوت، تكلم الله به وسمعه جبريل، وفي حديث أبي سعيد في "البخاري": قال رسول الله



صلىٰ الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ. يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، "فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ – أُرَاهُ قَالَ – تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ – أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ – وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، ﴿تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَ﴾ [الحج: ٢]، وَقَالَ: «مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ».

وقد ألفَّ السجزي رحمه الله رسالة في إثبات الحرف والصوت.

فهذه من المسائل المهمة؛ لأن الناس اختلفوا إل عشرة مذاهب، كلها باطلة إلا مذهب أهل السنة والجماعة، أن الله عز وجل تكلم ويتكلم متىٰ تشاء وبما شاء وكيف شاء بحرف وصوت.

وفي حديث جابر بن عبدالله في قصة عبد الله بن أنيس، مع أن البخاري ساقها مستشهدًا بها كما في كتابه الصحيح، وهي في الحقيقة من طريق محمد بن عبد الله بن عقيل، وهو ضعيف علىٰ القول الصحيح إلا أن البخاري يرىٰ حديثه

حسنًا، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ».

قوله: (لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ): هذا توكيد لما مضىٰ أن كلام الله ووحيه وتنزيله وروحه ونوره وموعظته ورحمته، أنزله الله شفاء، وفرقانًا، وغير ذلك، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن زعم أنه مخلوق فقد كفره، جميع علماء الإسلام المشهود لهم بالاستقامة علىٰ كتاب الله، وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ هذا.

- قال ابن القيم رحمه الله:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في	**عشر من العلماء في البلدان**
واللالكائي الإمام حكاه عنـ	**ـه بل قد حكاه قبله الطبراني**

بل لقد قال ابن خزيمة وغيره أرىٰ من قال إن كلام الله مخلوق أنه يقتل ثم لا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يدفن في مقابر اليهود، بل يلقىٰ كما تلقىٰ الجيف، لشدة القول بخلق القرآن، لأنه قول قبيح، والأصل الذي جعل المبتدعة يقولون بخلق القرآن، هو التوصل إلىٰ مسألة أشد من ذلك، وهي القول بخلق الأسماء والصفات، فما استطاعوا أن يصلوا إلىٰ هذا القول إلا إذا أثبتوا أن القرآن مخلوق، فإذا أثبتوا أن القرآن مخلوق، قالوا بأن صفات الله عز وجل وبأن أسماء الله عز وجل مخلوقة، نعوذ بالله من الضلال، ومعنىٰ ذلك: أن الله لم يكن له أسماء ولا صفات، حتىٰ سماه خلقه بذلك الاسم وتلك الصفات.



قوله: (**فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّه كلامُ البَشَرِ فقَد كَفَرَ**): **لما تقدم.**

أولا: مثلَ الله عز وجل بالمخلوق.

الثاني: الله عز وجل يقول: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق وبين الأمر، وهو زعم أن كله خلق.

قوله: (**وَقَدْ ذَمَّهُ الله وعَابَهُ**): **يعني**: أن الله عز وجل بين عوار هذا القائل.

قوله: (**وأَوْعَدَهُ بسَقَرَ حيثُ قالَ تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾**): وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، علىٰ ما ذكر أهل التفسير، لما سمعَ القرآن عجب منه، ومن ونظمه، **فقال**: هذا القول لا ينتظم، علىٰ قول البشر، وجعل يمدح في القرآن، فقال له بعضهم صبأت أو ستصبأ فعند ذلك أدبر واستكبر ونفخه الشيطان، فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، فعند ذلك وعده بسقر، وسقر من أسماء النار.

قوله: (**فلمّا أَوْعَدَ الله بسَقَرَ لِمَن قالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، عَلِمْنا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ**): وهو الله عز وجل، وصفاته غير مخلوقة، ولا يشبه قول البشر. ولما تناظر بشر المريسي والكناني **رحمه الله.**

[**قال الكناني**: "ثم أقبلت علىٰ بشر فقلت: يا بشر ما حجتك إن القرآن مخلوق؟، وانظر إلىٰ أحد سهم في كنانتك فارمني به، ولا تحتاج إلىٰ معاودتي بغيره، **فقال**: تقول القرآن شيء أم غير شيء؟، فإن قلت إنه شيء أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت؛ لأنك تزعم أنه حجة الله علىٰ خلقه وإن حجة الله ليس بشيء"].

لكن بشر المريسي حاد، فسميت تلك المناظرة بالحَيدة، لهذا الأمر، الذي وقع من بشر.

قوله: (**وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمعنًى مِنْ مَعاني البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ**): لأن الله عز وجل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وكما قال الله عز وجل: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾، إلىٰ غير ذلك.

وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من مثل الله بخلقه كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، تعطيل ولا تمثيل.

قوله: (**فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا**) المعنىٰ بعين الإنصاف: (**اعتبَر**): تفكر وتذكر، فمعاني البشر مهما كان كمالها فهي ناقصة، ونحن نعتقد أن السمع والبصر، والعلم والقوة والمشيئة والإرادة عند البشر تعتبر كمال، لكنها كمال ناقص، علىٰ قدرهم، بينما هي في حق الله عز وجل علىٰ أكمل الكمال، فهو عالم أزلًا وأبدًا، سميع أزلًا وأبدًا، ولا يخفىٰ عليه شيء من المسموعات والمعلومات، وهكذا هو القوي العزيز، وغير ذلك.

قوله: (**وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّار انْزَجرَ**): ابتعد؛ لأنه يعلم أن معاني صفات الله عز وجل، ليست كصفات البشر، وإن كان المعنىٰ معلومًا، فقد تتفق الصفات في المعنىٰ الإجمالي في المعنىٰ الذهني، لكن تتميز في حال الإضافة، فإذا أضيفت إلىٰ الخالق، صارت مختصة به، وإذا أضيفت إلىٰ المخلوق، صارت مختصة

به. السمع مثلًا، سمع: هذه كلمة معلومة المعنىٰ في الذهن، لكن إذا قيدت بالخارج، سمع الله بصر الله، سمع زيد، بصر زيد، صار ما أضيف إلىٰ الله عز وجل مختصًا به، وما أضيف إلىٰ المخلوق مختصًا به.

قوله: (وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالبَشَرِ): فهو الخالق الكامل من كل وجه، تعالىٰ الله عن قول الممثلة والمعطلة.

والمهم أن معرفة هذه العقيدة من الأمور المهمة، والمتحتمة علىٰ المسلم. وقد خالف أهل السنة طوائف كثيرة من أهل البدع في هذا المعتقد السليم.

فذهبت الجهمية والمعتزلة إلىٰ أن كلام الله مخلوق، وإلىٰ أن القرآن مخلوق، وهذا القول منهم يستلزم القول بخلق الأسماء والصفات. ويستلزم وصف الله عز وجل بالنقائص، واستدل هؤلاء المعطلة بآيات من القرآن، زعموا أنها لهم وهي عليهم، فإن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله أنزله علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، لا يمكن أن ينزل علىٰ باطلهم.

الشبهة الأولى: قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، **قالوا**: والقرآن شيء، فهو مخلوق من المخلوقات، **فكان الرد عليهم بوجهين:**

الأول: وجه إلزامي، **والثاني**: وجه لُغوي.

ـ **أما الإلزامي**: إذا كنتم تزعمون أن كل شيء مخلوق، ويدخل في العموم، والقرآن شيء، فالله عز وجل قد وصف نفسه بأنه شيء: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾، فهل تدخلونهُ في هذا العموم؟!.

وأما الوجه اللغوي: فإن "كل" تفيد العموم بحسبها، فلا تفيد العموم المطلق، قال الله عز وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾.

والمساكن: أشياء، والجبال أشياء، والسماوات والأرض أشياء، ومع ذلك ما دمرتها الريح، وإنما دمرت كل شيء يستحق التدمير، وأراد الله عز وجل له ذلك.

فإذن "كل" لا تفيد العموم المطلق، وإنما تفيد العموم بحسبها، والقرآن شيء غير مخلوق، بل هو صفة الله عز وجل.

الشبهة الثانية: قالوا: يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، وجعل بمعنىٰ خلق، وفي "كتاب الحيدة" أن الكناني قال لبشر المريسي: أنت تعتقد أن جعل بمعنىٰ خلق؟ قال نعم، وألتزم بذلك، أن كل كلمة "جعل" في القرآن معناها "خلق".

فقال الكناني للأمير: أنت تشهد بهذا؟

قال: نعم.

قال: فما قوله في قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾، وما معنىٰ قول الله عز وجل: ﴿لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾.

وجعل يذكر له آيات من نحو هذه الآيات، فلو كان علىٰ مذهبه أن "جعلَ" بمعنىٰ "خلقَ"، **بمعنىٰ**: ما ذكر، لا تخلقوا الله، وخلقوا الملائكة، إلىٰ غير ذلك من الآيات التي فيها "جعل" بمعنىٰ "صير"، وهم جعلوها بمعنىٰ "خلقَ".

ثم إن "جعل" تأتي علىٰ معنيين عند أهل العربية:

المعنى الأول: بمعنىٰ خلق إذا نصبت مفعولًا واحدًا، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾. أي: خلق الظلمات وخلق النور.

المعنى الثاني: إذا نصبت مفعولين، فهي بمعنىٰ: "صير"، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، أي: صيرناه قُرْآنًا عَرَبِيًّا.

الشبهة الثالثة: **استدلالهم** بقول الله عز وجل: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ﴾، والمحدث المخلوق، هكذا يقولون. فقيل لهم إنما سُمي محدث، من حيث أنه ينزل علىٰ حسب الوقائع، وينزل شيئًا بعد شيء، وليس بمعنىٰ أن الله عز وجل خلقه، فالقرآن كلامه ووحيه وتنزيله.

الشبهة الرابعة: أن نزول القرآن، كنزول الحيوان، وكنزول المطر وكنزول الحديد، وذلك حين احتج عليهم أهل السُنة، بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقال: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، قالوا إنزاله كإنزال الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وهكذا من بطون الأنعام أنزل الأجنة، فهو إنزال كالإنزال.

- **فقال لهم أهل العلم، أهل السُنة والجماعة**: نزول هذه الأشياء مقيد، بما نزلت منه، ونزول القرآن مقيد بأنه نزل من الله، فالمطر ينزل من السحاب، والحديد ينزل من رؤوس الجبال، والأنعام تنزل من أصلاب آبائها ومن بطون

أمهاتها، وأما القرآن فقد قال الله عز وجل: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾، ومِن للابتداء، فهو المتكلم به حقيقة، ثم إن الله عز وجل قد فرق بين الخلق والأمر، قال الله عز وجل: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾.

والخلق إنما يكون بالأمر الذي هو كلامه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فقد بين الله عز وجل أن الأمر غير الخلق، وأن الخلق إنما يكون بالأمر، حين يقول الله عز وجل: كُنْ يكون الخلق، فلو كان كلام الله عز وجل مخلوقًا كما يقولون؛ للزم أن هذا الأمر يأتي بأمر آخر، وذلك الأمر يأتي بأمر آخر، حتىٰ يقع التسلسل إلىٰ ما لا نهاية، لأن الخلق إنما يقع بالأمر كما قال الله عز وجل.

- وفي مناظرة سفيان بن عيينة، مع بشر المريسي:

قال له: يا دُويبة، تصغير دابة، ألم ترىٰ أن الله عز وجل قد فرق بين الخلق والأمر فقال: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ إلىٰ غير ذلك من الأوجه التي يذكرها أهل العلم في الرد علىٰ المبتدعة، ولهم شبه ربما غير هذه، لكن هذه أشهرها.

والقرآن علىٰ أي وجه تُصرف به فهو كلام الله، حُفظ في الصدور، أو كُتب في الألواح، أو قرأه إنسان أو علىٰ اي وجه كان، فهو كلام الله ووحيه وتنزيله أنزله إلىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

فلما فضح الله المعتزلة والجهمية ومن إليهم ممن قالوا بخلق القرآن، وصرحوا به، جاءت بدعة أخرىٰ وهي بدعة الأشاعرة، حيث لم يصرحوا بأن

القرآن مخلوق، وأنه عبارة أو هو حكاية عن كلام الله، **ومعنىٰ هذا**: أن هذا القرآن الذي تتلوه في نفسك، وتقرأه من المصحف ليس بكلام الله، وأن الله لم يتكلم به علىٰ الحقيقة، فالذي تكلم به هو جبريل أو محمد، **فرد عليهم**: أنه لا يُعرف في لغة العرب أن من حكىٰ عن أحد كلامًا يقال له تكلم فلان.

ومعنىٰ حكاية وعبارة أني مثلًا في نفسي شيء، فأتكلم مع بعضهم بهذا الأمر، وأقول: يا أخي رأيت شيئًا و ما أعجبني وكذا، فيقوم الأخ يتكلم.

فعندهم: أن الله عز وجل لم يتكلم بالقرآن، وإنما علم جبريل أو محمد ما في نفس الله عز وجل فتكلموا به، وهذا قول باطل، قال الله عز وجل: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، وهو قول كفري، يخالف المعقول والمنقول والثوابت والأصول، من أنه لا يعلم ما في نفس الله إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

الأمر الثاني: أنهم زعموا أن الكلام نفساني، وبنوا مذهبهم علىٰ بيت شعري منسوب إلىٰ الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلًا

والصحيح: أن الكلام النفسي لا يسمىٰ كلامًا، لأن رسول الله وسلم قد فرق بينهما، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»[١]، ففرق بين الحديث النفسي، وبين الفعل والكلام.

---

(١) أخرجه سلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- **ومثاله في الواقع**: لو أن رجلًا وسوس أنه يطلق امرأته هل يقع الطلاق بمجرد وسوستهِ؟

الجواب: أنه لا يقع إلا بالتلفظ.

- **ثم إن البيت قد وجد بلفظ**:

إن البيان لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلًا

فمذهب الأشاعرة من أسوأ المذاهب، وقولهم يستلزم أن القرآن مخلوق، وقد صرحوا به كما حكاه ابن قدامة المقدسي في رسالته "حكاية المناظرة"، **قال**: [وَلَقَد حكيت عَن الَّذِي جرت المناظرة بيني وَبَينه بعض مَا قَالَه فَنقل إِلَيْهِ ذَلِك فَغَضب وشق عَلَيْهِ وَهُوَ من أكبر وُلَاة الْبَلَد، وَمَا أفْصح لي بمقالته حَتَّىٰ خلوت مَعَه وَقَالَ: أُرِيد ان أَقُول لَك أقْصَىٰ مَا فِي نَفسِي وَتقول لي اقصىٰ مَا فِي نَفسك، وَصرح لي بمقالتهم علىٰ مَا حكيناه عَنْهُم، وَلما الزمته بعض الْآيَات الدَّالَّة علىٰ ان الْقُرْآن هُوَ هَذِه السُّور قَالَ: وَأَنا أَقُول إِن هَذَا قُرْآن وَلَكِن لَيْسَ هُوَ الْقُرْآن الْقَدِيم، قلت: وَلنَا قرآنان؟ قَالَ: نعم، وَأي شَيْء يكون إِذا كَانَ لنا قرآنان؟ ثمَّ غضب لمَّا حكيت عَنهُ هَذَا القَوْل، وَقَالَ لَهُ بعض أَصْحَابنَا: أَنْتُم وُلَاة الْأَمر وأرباب الدولة فَمَا الَّذِي يمنعكم من إِظْهَار مَقَالَتكُمْ لعامة النَّاس وَدُعَاء النَّاس إِلَىٰ القَوْل بهَا بَينهم فبهت وَلم يجب إِلَيّ وَلَا نَعْرِف فِي أهل الْبدع طَائِفَة يكتمون مقالتهم وَلَا يتجاسرون علىٰ إظهارها الا الزَّنَادِقَة والأشعرية].

ـ **فالشاهد**: أن قولهم باطل، ويرده ما تقدم إلا أن المعتزلة صرحوا بمذهبهم القبيح، وهؤلاء لم يصرحوا بهذا المذهب القبيح، وإنما تستروا بكلمة "حكاية" وبكلمة "عبارة" عن كلام الله عز وجل، وكله مردود علىٰ أصحابه، فإن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله.

وذهبت السالمية: أن كلام الله معنىٰ واحد في الأزل، **بمعنىٰ**: أنه لا يتكلم، فلا يثبتون الكلام بالمشيئة، ثم يقولون إن كان كلامه بالعبرية فهو توراة، وإن كان بالسريانية فهو إنجيل، وإن كان بالعربية فهو قرآن، وهذا من أقبح القول، فيلزم منه أن يكون قول الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ كقوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ ولا قائل به.

وأبعد الأقوال في هذا الباب قول الحلولية والاتحادية؛ **حيث زعموا**: أن كل كلام في الوجود هو كلام الله، حتىٰ نبح الكلاب، عندهم كلام الله، نعوذ بالله من الضلال، وكلام الفساق عندهم كلام الله، حتىٰ صرحوا بذلك نظمًا:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

- **ومن أعظم الفتن التي مرت بأهل الإسلام**: هي فتنة القول بخلق القرآن، وكانت في زمن الدولة العباسية أي: في حوالي المئتين وقليل، وسجن الإمام أحمد وضرب وقتل بعضهم وشرد بعضهم ومات بعضهم متخفيًا، فحصلت فتنة علىٰ العلماء عظيمة، نسأل الله عز وجل السلامة، والإمام أحمد سجن فيها قريب من سنتين، وضرب وجلد واستبيح دمه، إنما حفظه الله وإلا كان أحمد

بن أبي دؤاد، يقول: اقتله يا أمير المؤمنين ودمه في عنقي، اقتل هذا الكافر، اعتقدوا أن الإمام أحمد كافر.

ومحمد بن نوح مات، وهو مأخوذ علىٰ دابته إلىٰ السجن، وغيرهم مات في السجن، وغيرهم من العلماء تخفىٰ، وبعضهم ربما أجاب إلىٰ القول بخلق القرآن خوفًا علىٰ نفسه من الضرب والسجن والقتل، كما فعل علي بن المديني رحمه الله، مع أنه يعتقد أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق كما صرح بذلك في عقيدته.

فالشاهد: أنها فتنة عظيمة، حدثت وكان قائدها قاضي القضاة في عهد المأمون، وهو أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي.

وأول من قال بخلق القران الجعد بن درهم، ثم أخذ هذا المذهب الجهم بن صفوان، وبشر المريسي، ونَموه وَنشروه.

وما زال مذهبًا منتشرًا إلىٰ يومنا هذا، تجد الرافضة والإباضية، والمعتزلة، وأصحاب حزب التحرير، وكثير من الصوفية حيث أن أغلبهم أشاعرة علىٰ هذا المذهب.

قوله: (**وَمَن وصَفَ اللهَ بِمعنىً من مَعاني البَشَر فقد كَفَر**): أي: من زعم أن القرآن مخلوق أو أن يد الله كيد زيد أو وجه الله كوجه زيد، أو غضب الله كغضب المخلوق، فهذا يكفر؛ لأن الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فالله عز وجل له الكمال المطلق المقدس من كل وجه،

الكمال المطلق، ماذا عساك أن تقول، مهما وصفت، مهما تخيلت، مهما ظننت من الكمال، فالله عز وجل أكمل وأكمل وأكمل، وأنت غاية ما فيه عندك عقل، يتخيل الكمال، ويتصور الكمال بحسبه، الله عز وجل أعظم وأجل، وهو الكبير المتعال سبحانه وتعالىٰ، فلذلك نُهينا عن التفكر في الخالق، وجاء في الحديث: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ عز وجل»، وفي القرآن: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾؛ لأن التفكر في الخالق قد يؤدي إلىٰ التمثيل أو إلىٰ التكييف أو إلىٰ عدم معرفة ما يجب لله عز وجل من الكمال المطلق المقدس، ولكن فليكن فكره في المخلوق، في نفسه، في بصره، في سمعه، في وجهه، في كلامه، في ما يفعل ويذر؛ فإن أراد أن يتجاوز ذلك، فليتفكر في السماوات والأرضين، ويتفكر في الإبل وفي البحار، والأنهار، ويتفكر في غير ذلك من مخلوقات الله عز وجل. كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، وهكذا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، ومَن وصَفَ اللهَ بِمعنىً من مَعاني البَشَر فقد كَفَر، فالله عز وجل موصوف بالكمال المقدس.

قوله: (فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ): أي أن الله عز وجل له صفات تليق بجلاله، كما أن له ذاتًا تليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، كذلك سمعه بصره غضبه محبته فرحه إلىٰ غير ذلك، مما ذُكر في كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، فما نحن بأغير علىٰ الله من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟ إذ يقول: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبدِهِ»، ويقول: «يَغْضَبُ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ صلىٰ الله عليه

وسلم»، ويقول: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَماءِ الدُنيَا»، ويقول: «عَجِبَ اللَّهُ»، إلىٰ غير ذلك من الصفات، فنثبت ما أثبته الله لنفسه وأثبتهُ له رسوله صلىٰ الله عليه وسلم إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهه بلا تعطيل.

والرؤيةُ حَقٌّ لأهْلِ الجَنَّةِ بِغَيْرِ إحاطَةٍ وَلا كَيفيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وَتَفْسِيرُهُ عَلى مَا أَرَادَهُ الله تَعَالى وَعَلِمَهُ.

الشرح:

قوله: (**والرؤْيةُ حَقٌّ لأهْلِ الجَنَّةِ**): والرؤية من مسائل الإيمان باليوم الآخر، وليست من مسائل الصفات، وإنما تذكر في باب الصفات؛ لأنه متعلقة برؤية الله عز وجل يُرىٰ يوم القيامة؛ حيث يراه المؤمنون بأبصارهم عَيانًا.

❁ **والناس في الرؤية ثلاث مذاهب:**

المذهب الأول: الجهمية ومن إليهم ممن نفاها في الدنيا والآخرة، وهؤلاء كفار بإجماع السلف، لأنهم كذبوا القرآن والحديث.

والقسم الثاني: غلاة الصوفية ومن إليهم، الذين أثبتوها في الدنيا والآخرة، وهؤلاء كفار؛ لأنهم خالفوا دلالة القرآن والحديث في عدم رؤية الله عز وجل، ففي "صحيح مسلم": أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عز وجل حَتَّى يَمُوتَ»، وقد قال الله عز وجل في موسىٰ عليه السلام: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، فمُنِعَها موسىٰ فكيف ينالها الصوفي الخرف؟!.

القسم الثالث: **أهل السنة والجماعة**، وهم أنعم الناس، بكتاب الله وبسنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، الذين أثبتوها في الآخرة، ونفوها في الدنيا، لنفي القرآن والسنة لها في الدنيا، ولإثبات القرآن والسنة لها في الآخرة، وأدلة الرؤية متواترة؛ حتىٰ قيل:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنىٰ لله بيتًا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

❁ **ويُرَىٰ اللّه** عز وجل **في موطنين**:

الموطن الأول: **عرصات القيامة**، لهذه الآية التي ذكرها المصنف: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

الموطن الثاني: **في الجنة**، لقول الله عز وجل: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، قال الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

- **ومن أدلة القرآن علىٰ الرؤية**: جميع آيات اللُّقي كقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾، وما في بابها.

- **ومما يُستدل به قوله تعالىٰ**: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، فإن هذه الآية دالة علىٰ الرؤية؛ لأن المنفي الإحاطة لا الرؤية، فقد تقدم أن النفي في هذا الباب لا بد أن يتضمن كمال الضد.

فالله عز وجل يُرىٰ ولا يحاط به، لأنه العظيم الكبير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

- **ومنها قول الله عز وجل:** ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

قال الشافعي رحمه الله: (**فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ، دَلَّ علىٰ أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حالِ الرِّضَا**)، وهذا استدلال بالمفهوم، لا بالمنطوق، وهو استدلال وجيه عند أهل العلم.

- **ومما يستدل به أهل السُّنة:** قول الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، فلم يقل الله عز وجل: لا أُرىٰ أو لن أُرىٰ، وإنما قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾؛ لعجزه عن ذلك: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾، فقيده الله عز وجل، بممكن فلو أراد الله عز وجل لموسىٰ أن يراه لثبت الجبل.

- **وأما الأدلة في السُنة، فكثيرة**، ألفَّ فيها الدارقطني رحمه الله تعالىٰ كتابًا مستقلًا، وهكذا كتاب "النظر" للإمام الآجري، وألفَّ أبو شامة كتابًا مستقلًا، ولي فيها "**الجامع الصحيح في الرؤية**"، فأحاديثها كثيرة، مروية عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، من طريق الأثبات الثقات الذين لا مطعن في عدالتهم، ولا في روايتهم، ومن ذلك وهو أشهرها ما رواه إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم عن جرير رضي الله عنه، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ- فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ،

لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»[(١)].

- قال وكيع: (من رد حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير فهو جهمي).

وفي "الصحيحين": مثل حديث أبي سعيد وأبي هريرة: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ»، وفي رواية أبي سعيد: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

ومن دعاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»[(٢)]، وفسر النبي صلىٰ الله عليه وسلم قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ بأنها النظر، لحديث صهيب عند مسلم،

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه النسائي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

فقال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟»، قَالَ: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}.

وهو تفسير أبي بكر رضي الله عنه لها، فالحسنىٰ الجنة، والزيادة النظر إلىٰ الله عز وجل.

ونفىٰ أهل البدع رؤية المؤمنين لربهم، كما نفوا بقية الصفات وكثير من المغيبات، وأتوا بشبه من القرآن، لا تستسعفهم لنصرة بدعتهم.

- **منها**: **قالوا**: يقول الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، وقالوا: بأن (**لن**) تفيد التأبيد،

قال ابن مالك:

ومن يرىٰ النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

أي: أن هذا قولٌ باطل، يخالف المعقول والمنقول، **فلو قلت مثلًا**: لن أشرب، هل يعني أنه لا أشرب الدهر كله؟، وفي قوله تعالىٰ عن مريم: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، دليل علىٰ أنه لا يفيد التأبيد؛ وذلك لمَّا قيدته باليوم، دل علىٰ أنها ستكلم في الغد، وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾، فلما قيده بإذن الأب، دل علىٰ أنه سيبرح.

ولو كانت الرؤية ممتنعة ما قال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، وإنما كان يقول له: (لا أُرَىٰ).

ومن الأوجه: أن نوح عليه السلام لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، عاتبه الله عز وجل بقوله: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

بينما لما سأل موسىٰ ربه النظر إليه لم يقع له عتاب، وإنما بين الله له أنه عاجز عن رؤيته، فقيدها بممكن، فلو أراد الله أن يراه موسىٰ عليه السلام لثبت الجبل، فلما انساخ الجبل علم موسىٰ أنه عاجز وقال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال بعض السلف: بأني أراك أو بأنك تُرىٰ في الآخرة.

ومن ذلك: أن موسىٰ أعلم الناس بربه في زمنه، فسأل أمرًا ممكنًا.

- **واستدل المبتدعة علىٰ نفي الرؤية بقول الله عز وجل**: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾، قالوا: لا تراه الأبصار، والصحيح: أن لا دلالة لهم فيها؛ لأن الإدراك رؤية وزيادة، وهي الإحاطة.

فالله عز وجل يرىٰ ولا يحاط به؛ لأنه الكبير العظيم الواسع، واسع في ذاته وواسع في صفاته، وكبير في أسمائه وصفاته وذاته، وعظيم في ذلك كله، والدليل علىٰ هذا المعنىٰ من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأىٰ بعضهم بعضًا، ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ لمحاط بنا، ﴿قَالَ مُوسَى كَلا﴾، ما الذي نفاه موسىٰ؟ الرؤية أم الإحاطة؟ الإحاطة، **والمعنىٰ**: كَلا لن يحيطوا بكم: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ



﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾، فأنجىٰ الله عز وجل موسىٰ ومن معه، وأهلك فرعون ومن معه.

- **ويستدلون بقول خالد في شأن العُزىٰ**: إني رأيت الله قد أهانك.

قالوا: **يقولون** كلمة (رأىٰ) تأتي بمعنىٰ: علم، **والرد عليهم**: أن الرؤية قيدت بـ(إلىٰ) المفيدة لحقيقة النظر، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقوله: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾، وانظر الى السماء، انظر إلىٰ السقف، إذا قيد النظر بـ(إلىٰ) لا يفيد إلا نظر العين.

- **ومن شبههم**: أنهم فسروا الآية بمعنىٰ غير معناها، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قالوا: من النضارة، وهذا صحيح في الوجه الأول، أي: نضرة بسبب نظرها إلىٰ ربها: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

- **ومن شبههم**: أن النظر بمعنىٰ الانتظار، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ **قالوا**: منتظرة، فكان الرد عليهم أن النظر في القرآن يعدىٰ بنفسه ويعدىٰ بـ(إلىٰ)، ويعدىٰ بـ(في).

فما عدي بـ(في) فهو علىٰ التفكر والاعتبار، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، .

وإذا عديت بنفسها: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾، فهي دالة علىٰ الانتظار.

وإذا عُديت بـ(إلىٰ) فهي دالة علىٰ نظر العين.

هذا أشهر ما يأتون به من الشبه.

- ومن المسائل المهمة: أن الله عز وجل يرىٰ في العلو؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»، وفي رواية «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»، وفي رواية: «فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[(١)].

فدل علىٰ أن الله عز وجل يرىٰ في العلو، فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

وذهبت الأشاعرة كعادتهم إلىٰ قول مبتدع، في هذه المسألة، لم يسبقوا إليه، إذ أنهم لم يستطيعوا أن ينفوا الرؤية، فهم يثبتوا بالعقل فقالوا: كل موجود ممكن أن يرىٰ.

ومع ذلك هم لا يثبتون العلو **فقالوا**: بأن الله يُرىٰ لا في جهة، فشنع عليهم المعتزلة فضلًا عن أهل السُنة.

فقالوا: ما من موجود يُرىٰ إلا في جهة، وهذا قول باطل؛ لأن ما من مرئي إلا يرىٰ، إما أمام وإما خلف، وإما فوق، وإما تحت، وإما يمين وإما يسار، والله عز وجل يُرىٰ في العلو الذي يليق بجلاله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) متفق عليه.

مسألة: من هو الذي يَرىٰ الله عز وجل؟

اختلف العلماء: أما في الجنة فليس إلا المؤمنون، وأما في عرصات القيامة، فللعلماء ثلاث مذاهب - فالخلاف في من يرىٰ الله في الموقف خلاف سني، لا تبديع فيه ولا تفسيق، ولا هجر ولا تحذير، ولا شيء من ذلك؛ لأنه خلاف بين أهل السنة والجماعة-:

القول الأول: **قول الجماهير**: أنه لا يرىٰ الله في الموقف إلا المؤمنون، ويستدلون بقول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، وأحاديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ».

القول الثاني: **يراه المؤمنون والمنافقون وبعض أهل الكتاب**؛ لحديث أبي هريرة، وأبي سعيد في "الصحيحين": «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا، فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا».

وفي رواية: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تبارك وتعالىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ».



فذكر أنه يبقىٰ أهل الإسلام وغبرات من أهل الكتاب، وذكر منافقي هذه الأمة.

القول الثالث: **يراه جميع من في الموقف، ثم يحتجب عن الكفار**، وهذا هو القول الذي رجحه شيخ الإسلام، وابن خزيمة وغيرهم من أهل العلم، وهو الذي تدعمه الأدلة وتجتمع به.

أما قول الله عز وجل: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُ﴾، فهي دليل علىٰ رؤيتهم؛ لأن الحجب يكون بعد الرؤية، ومما يدل علىٰ ذلك عموم آيات اللُّقي، وحديث: «**فَيَقُولُ: "أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**»، هذا الكافر، يخاطبه ربه، فيلقونه ويرونه ثم يحتجب عنهم، لكن لا يتلذذون بالرؤية، كما يتلذذ بها أهل الإيمان، وإنما هي في حقهم سخط وحسرة، وشدة وخوف وغير ذلك.

مسألة: هل يرىٰ الله عز وجل في المنام؟

- **كثير من أهل السُنة والجماعة يرون ذلك**، وأنه لا محذور من الرؤية المنامية؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»، وذكر شيخ الاسلام أن الرؤيا المنامية رؤيا ولها تفسيرها وأحكامها وليست من رؤية يقظة حتىٰ تُمنع.

مسألة: **هل رأىٰ أحد ربه في الدنيا؟**

الجواب: لا، واختُلف في محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فذهب بعضهم كالإمام أحمد إلىٰ أنه رأىٰ ربه مستدلًا بما جاء عن ابن عباس: في تفسير قول الله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، قال: رأىٰ ربه، لكن هل قال ابن عباس رأىٰ ربه بعينيه؟ لأن المنقول عن ابن مسعود في: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ رآه بفؤاده، وقد وجدت رواية لابن عباس وهو يقول: **رآه بفؤاده**.

فحُمِلَ المطلق من قول ابن عباس علىٰ المقيد من قوله.

وذهب شيخ الإسلام: أن هذا الأمر كالإجماع أن الصحابة رضوان الله عليهم متفقون علىٰ أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم لم يرَ ربه.

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّتَاهْ، هَلْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ صلىٰ الله عليه وسلم رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ؟ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلىٰ الله عليه وسلم رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ»(١)، وفي حديث ابن مسعود قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.



وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم لَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»[(١)].

فالنور الحجاب، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[(٢)].

[وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَعَنْ أصحابِهِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ (وتفسيرُه) عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَعَنْ أصحابِهِ فَهُوَ كَمَا قَالَ): وهو أن نفسر كل ما جاء عن الله، كما أراد الله عز وجل، وكما أراد رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ومقتضىٰ ذلك أن يكون علىٰ طريقة السلف رضوان الله عليهم بدلالة القرآن والسُنة.

فيُجمع بين الأدلة، فلا تناقض ولا تعارض وما قاله الله عز وجل قلناه، وما قاله رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قلناه، مع جعلِنا لقول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

العمدة في هذا الباب، فإن الله عز وجل جمع بين النفي والإثبات، فالنفي تنزيه والإثبات لإثبات ماله من الصفات.

بينما أهل البدعة من المعتزلة أخذوا جانب التنزيه وغلوا فيه، حتىٰ عطلوا الله عز وجل من أسمائه وصفاته، والممثلة غلوا في جانب الإثبات، حتىٰ مثلوا الله عز وجل بمخلوقاته، وأهل السنة والجماعة أثبتوا من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي: نثبته ونمره كما مره السلف، كما قالوا أمروها كما جاءت بلا كيف.

ومعنىٰ: (**أمروها كما جاءت**) أي: أثبتوا لها المعاني التي تدل عليها، ومما يدل علىٰ هذا المراد أنه قال: بلا كيف؟ أي بلا كيف معلوم لنا، وإلا فالكيفية ثابتة لكل صفة. لكن لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالىٰ.

فإن الكيف لا يُعلم إلا بالنظر إلىٰ المكَيف أو إلىٰ مثيله أو يحدثك من رآه عنه، وكل ذلك منتف في حق الله عز وجل.

قوله: (وَمَعْنَاهُ (وتفسيرُه) عَلَى مَا أَرَادَ): أي: معناه علىٰ المعنىٰ الذي أراده الله، وأراده رسوله صلىٰ الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقرآن نزل بلغة العرب الفصيحة، ولغة العرب لها معاني، فإذا قال: (سميع) معلوم هذا المعنىٰ، وإذا قال (بصير)، معلوم هذا المعنىٰ.

فلا يأتي أحدهم ويقول: لا، (سميع) معناه كذا، و(بصير) معناه كذا، يفسره علىٰ تفسير يخالف الثوابت.

قوله: (**لا نَدْخُلُ في ذلك مُتَأَوِّلِينَ**) محرفين: (**بِآرائنَا**) المجردة عن الأدلة، (**وَلا مُتَوَهِّمِين**) من التوهم وهو: الظن، (**بِأَهْوائِنا**): بالهوىٰ، وفيه رد علىٰ الطائفتين **الممثلة والمعطلة**، **فقوله**: (**لا نَدْخُلُ في ذلك مُتَأَوِّلِينَ بِآرائنَا**): رد علىٰ المعطلة؛ إذ أنهم يعطلون الله عز وجل من صفات الإثبات، بدعوىٰ أنها تستلزم التمثيل أو التشبيه، وبدعوىٰ أن لها معاني أخرىٰ، فالسمع عندهم: العلم بالمسموعات، وليس سمع يسمع به المسموعات.

والبصر عندهم الإحاطة أو العلم بالمبصرات، وليس عندهم إثبات البصر الذي يرىٰ الله عز وجل به، وقد ثبت لله عز وجل عينان حقيقيتان تليق بجلاله.

والغضب عندهم الانتقام، والرضا الإحسان، واليد النعمة، والقدرة كذلك. وهكذا يعطلون الله عز وجل من صفاته بتأويلات فاسدة، وأراء كاسدة.

وقوله: (**وَلا مُتَوَهِّمِين بِأَهْوائِنا**): رد علىٰ الممثلة، الذين يتوهمون ويمثلون، حيث يزعمون أن صفات الله عز وجل كصفات المخلوقين، وكلاهما المعطل والممثل قد جنىٰ علىٰ نصوص الكتاب والسنة، وجنىٰ علىٰ ما يتعلق بالله عز وجل جناية عظيمة، فحرفوا دلالة الكتاب والسنة من المعاني اللائقة إلىٰ معاني فاسدة؛ فالله عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وهو يقول: يده كيد زيد، ووجهك وجه عمرو، وهكذا يعطلون الله عز وجل من صفاته.

وكذلك المعطلة حين يزعمون: أن الله لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، هم يمثلونه بالجمادات، ويمثلونه بغير ذلك من النواقص، نسأل الله السلامة.

وقوله: (**وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذلِكَ**): أي: في الصفات والغيبيات، (**مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ** صلىٰ الله عليه وسلم): أي: من الحديث الصحيح؛ لأن المرويات عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كثيرة منها الموضوع والضعيف والمطرح وغير ذلك، فلا يقبل في هذا الباب كغيره من الأبواب إلا ما صح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وثبت به النقل، فما ثبت عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فهو حجة كالقرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

- وأما حديث: "إذا جاءكم الحديث عني فأعرضوه علىٰ القرآن فإن وافق القرآن فاقبلوه وإلا فردوه"، قال يحيىٰ بن معين وغيره من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين: عرضنا هذا الحديث علىٰ القرآن فرده؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾، ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.



ويحيىٰ ابن أبي كثير يقول: السُنة قاضية علىٰ القرآن.

وبعضهم يقول: القرآن أحوج إلىٰ السُنة من السُنة إلىٰ القرآن.

نعم القرآن هو كتاب الله وحيه وتنزيله وكلامه ونوره، وشفاؤه وروحه، كما وصفه الله عز وجل بهذه الأوصاف العظيمة.

إلا أن القرآن أُجمل فيه كثير من الأحكام، فبينها الرسول **عليه الصلاة والسلام**، كالحج والصلاة والصيام وغير ذلك، ولعله يأتي في مسألة الرد علىٰ القرآنيين، الذين يقولون بالاكتفاء بالقرآن.

وهذا الذي يدندن به الحوثيون في هذا الزمن، ويقولون نحن المسيرة القرآنية، ويكتفون بالقرآن، فالقول بالاكتفاء بالقرآن كفرٌ أكبر مخرج من الملة؛ لأنه يؤدي إلىٰ تعطيل الشريعة، فلا يمكن أن يصلي مصل مكتفيًا بالقران، من أين له أن صلاة الظهر أربع، وصلاة الفجر تصلىٰ ركعتان، والعصر أربع، والمغرب ثلاث والعشاء أربع.

فلو بحثوا في القرآن من أوله إلىٰ آخره ما سيجدون، فعمدوا إلىٰ قول الله عز وجل: ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾، هذا في حق النساء، في شأن الزواج وليس في شأن الصلاة.

[فإنهُ مَا سَلِمَ فِي دينِهِ إلاَّ مَنْ سَلَّمَ للهِ عز وجل ولرسولِهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ].

الشرح:

قوله: (**فإنهُ مَا سَلِمَ فِي دينِهِ إلاَّ مَنْ سَلَّمَ للهِ** عز وجل **ولرسولِهِ** صلىٰ الله عليه وسلم): كما قال تعالىٰ: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾، فالإيمان بالله برسوله والإيمان بكتابه، يتضمن الإيمان بكل ما دل عليه من التوحيد، وغير ذلك من أمور الغيب، فلابد من الاستسلام لله ظاهرًا وباطنًا، وما سُمي المسلم مسلمًا إلا لهذا، ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

فمن استسلم لله عز وجل سلِم له دينه، وسلمت له عقيدته، وسلم له منهجه، أما من رد حكم الله وحكم رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، بهوىٰ أو ذوق أو غير ذلك ما سلم له دينه.

قوله: (**وَرَدَّ عِلْمَ ما اشتبَهَ عليهِ إلى عَالِمِهِ**): هذه مسألة أخرىٰ، فإن الله عز وجل أنزل القرآن تبيانًا لكل شيء، منه آيات محكمات، بينات واضحات جليات، يفهمها العامي، كما يفهمها العالم، ويفهمها الجميع. فهذه المحكمات، وجب الأخذ بها، والإيمان بما دلت عليه ظاهر وباطنًا، قال الله عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، فالمحكم البين الواضح.



- وأما التشابه فله معنيان:

الأول: أن التشابه في الكيفية، فهذا لا يعلمه إلا الله.

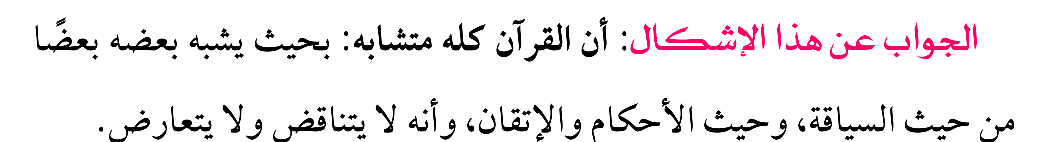
الثاني: أن التشابه في بعض المعاني وهذا لا يقع علىٰ جميع الأمة؛ فإن الله عز وجل أنزل القرآن للتدبر والتفكر والتعقل والعمل به، فقد يقع عند إنسان تشابه، بسبب الجهل فيرجع إلىٰ العالم ويسأله، كما قال الله عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، فالتشابه النسبي حاصل، بحيث أن أناسًا يعلمون وأناسًا لا يعلمون، لا يستطيع أحد أن ينكر هذا النوع من التشابه في القرآن أو السنة، وأما التشابه الكلي بحيث أن في القرآن من المعاني لا يعلمه إلا الله عز وجل فهذا باطل؛ لأن الله عز وجل أنزل القرآن للتدبر والتفكر والتعقل والتذكر، وهذا شيء معلوم.

إذ لو كلفنا بشيء لا نستطيعه؛ لكان ذلك من الطعن في حكمة الله عز وجل.

والتشابه في الكيفية ثابت، فإن كيفية صفات الله عز وجل لا يعلمها إلا الله وجل.

وقد جاء في القرآن المنع باتباع المتشابه، والتحذير منه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، وجاء وصف القرآن أنه متشابه، كما قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾.

وجاء أن بعضه متشابه وبعضه محكم، كما قال تعالىٰ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.



الجواب عن هذا الإشكال: **أن القرآن كله متشابه**: بحيث يشبه بعضه بعضًا من حيث السياقة، وحيث الأحكام والإتقان، وأنه لا يتناقض ولا يتعارض.

وما جاء كله أن محكم أي: أنه بين واضح متقن، وما جاء أن بعضه محكم، وبعضه متشابه علىٰ أن المحكم البين الواضح والمتشابه ما أشكل معناه علىٰ بعض الناس، أو أشكل العالِم بكيفيته كما في صفات الله عز وجل واليوم الآخر فإياك أن تتبع المتشابه، وتترك المحكم الواضح.

وإذا وجدت تشابهًا في آية وأشكل عليك معناها، فأرجع الآية المتشابهة إلىٰ المحكمة، فهذه طريقة السلف رضوان الله عليهم.

- **فمثلا**: قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، هذه محكمة عند أهل السُّنة؛ لأن المعية لا تقتضي اتحادًا ولا اختلاطًا، ولا شيء من ذلك.

لكن مع ذلك لو قيل بتشابهها، **نقول**: نرد هذه الآية إلىٰ الثوابت، من قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فمعنىٰ هذه يعود إلىٰ معنىٰ تلك أن الله عز وجل علىٰ عرشه، وهو معنا بعلمه وسلطانه وقهره.

[وَلا تَثْبُتُ قَدَمٌ في الإِسْلامِ إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْليمِ والاستِسْلامِ].

الشرح:

قوله: (**وَلا تَثْبُتُ قَدَمٌ في الإِسْلامِ**): أي: في قلب مسلم، (**إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْليمِ**): لأمر الله عز وجل ورسولهُ وعدم المعارضة، (**والاستِسْلامِ**) كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨].

[فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ: فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْرارِ وَالإِنْكارِ، مُوَسْوِسًا تائِهًا، شاكًّا زائغًا، لا مؤمنًا مُصَدِّقًا، ولا جاحِدًا مكذِّبًا].

الشرح:

هذا بيان لحال من ذهب في التنقيب عن أمر لم يأذن الله سبحانه وتعالىٰ به ولم يشرعه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وإنما يبحث عن علم ممنوع، كالتفكر في ذات الله، فهذا علم ممنوع، منع الله عز وجل منه، ومنع منه رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ عز وجل»، وفي القران: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.



فلم يأمرهم في آية واحدة أن يتفكروا في الله؛ لأن التفكر في ذات الله عز وجل سيؤدي بصاحبه إلىٰ الإلحاد، والشك.

والسبب في منع الفكرة في الله عز وجل: أن العقل له قدرة محدودة، فمهما أردت أن تتخيل من الكمال فإنك عاجز، فعند ذلك قد يصل إلىٰ حالة من الإلحاد والانحراف، نسأل الله السلامة.

والصحابة رضوان الله عليهم يقولون: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ - يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ - لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»[١]، وقالوا: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ»، وفي رواية: «ذَاكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»[٢].

قال العلماء: وصفه بمحض الإيمان، وصريح الإيمان؛ لأنهم رأوا أن التكلم بهذا يناقض التوحيد ويخالفه؛ فلذلك تمنىٰ أحدهم لو يكون حممة أي: فحمًا ولا يتكلم بما اختلجت به نفسه.

فقوله: (فَمَنْ رَامَ): أي: طلب: (عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ) كالتنقيب في باب القدر، والتنقيب في باب كيفية الذات والصفات، فهذا يؤدي إلىٰ الانحلال والانحراف عن دين الإسلام، كما أن التعطيل المحض يؤدي إلىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد.

(٢) أخرجه مسلم عن ابن مسعود.



قوله: (**وَلَمْ يَقْنَعْ**): يكتفي، (**بِالتَّسْلِيمِ**): كما في الكتاب والسُنة ومنهج السلف، (**فَهْمُهُ**): علمهُ، بل سَلِمْ وخذ ما أطلعك الله عز وجل عليه، وما غيبه الله عز وجل عنك آمن به كما آمن غيرك، من المرسلين، ومن تبعهم من المؤمنين.

قوله: (**حَجَبَهُ**): منعه، (**مَرَامُهُ**): طلبه، (**عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ**) توحيد الصفات القائم علىٰ الإيمان والتنزيه.

قوله: (**وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الإِيمَانِ**): وذلك بسبب الشكوك التي تطرأ عليه، فهذا أمر لا يتلقىٰ إلا بالإيمان المطلق بالغيب، وبما أظهره الله لنا نؤمن به كما أظهره، ونؤمن بمعانيه الحقة، لكن التنقيب بكيف في الصفات؟ ولما في القدر؟ هذا يؤدي إلىٰ الانحراف والعياذ بالله.

فهذان السؤالان بهما ضل المعتزلة والجهمية ومن إليهم، الذين فيهما الاعتراض علىٰ الله عز وجل وعلىٰ قدره وعلىٰ شرعه وحكمه.

قوله: (**فَيَتَذَبْذَبُ**): الذبذبة: عدم الاستقرار، أي: حين يحصل له الشك والريب في قلبه، يبقىٰ مضطربًا بينما الأخذ بالكتاب بثبات كما قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾.

قوله: (**فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ وَالإِقْرارِ وَالإِنْكارِ مُوَسْوِسًا تائِهًا زائغًا شاكًّا لا مؤمنًا مُصَدِّقًا ولا جاحِدًا مكذِّبًا**): أي: أنه لم يثبت علىٰ ما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، **بسبب أنه**: لم يأخذ العلم كما أمر

به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وإنما أراد أن يأخذ علم الكلام فزل من حيث أراد السلامة.

مع أنه معروف بتعظيمه للدليل وكلامه في الإيمان من أقوىٰ الكلام، في الرد علىٰ الخوارج والمرجئة ومن إليهم. وكلامه في الفقه قوي، وله حظ من النظر في كثير من المسائل، وإن كانت عنده ظاهرية شديدة مقيتة، في بعض المواطن، بينما كلامه في التوحيد لا سيما باب الأسماء والصفات، كما وصفه ابن عبد الهادي جهمي جلد؟

والسبب أنه أخذ علم الفلسفة، ثم أراد أن يجمع بينه وبين الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية؛ فانزلق إلىٰ حيث ألقت رحلها أم قَعشمِ، انزلاقة ليست بالسهلة، تعارض بالأقيسة الفاسدة كلام الله.

وهذا الذي سبب ضلال جهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وبشر المريسي، وأحمد بن أبي دؤاد، ومن سلك مسلكهم، لما عارضوا ثوابت الإسلام، وثوابت الأدلة بالآراء والعقول، وإلا فإن الله عز وجل أنزل القرآن علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ما وجدنا في حرف واحد، ولا في حديث واحد أن صحابي من الصحابة، قال: يا رسول الله ماذا يعني بكذا؟ مع أن القرآن من أوله إلىٰ آخره صفات، في أول سورة تقرأ في كل ركعة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فهذه صفات، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. صفة الغضب لله عز وجل، وهكذا في سورة البقرة، وغير ذلك من السور؛ تجد



أن الله عز وجل يخبر أنه يسمع ويغضب ويرضىٰ ويسخط ويكره ويحب، وأنه يخبر عنه نبيه صلىٰ الله عليه وسلم أنه ينزل وانه يضحك وأنه يفرح، وأنه إلىٰ غير ذلك من الصفات، يمروها كما جاءت بدون خوض، ولا رد ولا اعتراض.

حتىٰ يأتي المتأخرون ممن تتلمذ علىٰ أفراخ اليونان والهند وغيرهم من أهل الكلام فيقول: كيف يغضب؟ لما يفعل؟ أو لما يفعل؟ يعترض علىٰ قدر الله، وعلىٰ شرع الله، وعلىٰ صفات الله؛ فعند ذلك عاش تائهًا مذبذبًا، ظاهرهم مع الإسلام وباطن مع الكفر، منافقون زنادقة، كفرهم أهل الإسلام وقتل الأمراء بعضهم ردة لا حدًا، بسبب ما يقولونه ويفعلونه.

[ولا يَصِحُّ الإِيمانُ بالرؤيةِ لأهلِ دارِ السَّلامِ لمنِ اعتبرَها منْهُم بوَهْمٍ، لمنِ اعتبرَها منْهُم بوَهْمٍ، أوْ تأَوَّلَها بفَهْمٍ إذْ كانَ تأويلُ الرؤيةِ وتأويلُ كلِّ معنًى يضافُ إلى الرُّبُوبِيَّةِ: تركِ التأويلِ ولزومِ التَّسليمِ وعليهِ دِينُ المسلِمينَ].

الشرح:

قوله: (**ولا يَصِحُّ الإِيمانُ بالرؤيةِ**): أي: رؤية الله يوم القيامة، (**لأهلِ دارِ السَّلامِ**): أهل الجنة المؤمنون، (**لمنِ اعتبرَها منْهُم بوَهْمٍ**): فأن الرؤية ثابتة، وهي من مسائل الغيب، لكن لا نتوهم فيها توهمات تؤدي إلىٰ بطلانها.

قوله: (**أوْ تأَوَّلَها بفَهْمٍ**): مخالف للشرع، (**إذْ كانَ تأويلُ**): حقيقة (**الرؤيةِ**: النظر إلىٰ الله عز وجل.

قوله: (**وتأويلُ**): حقيقة (**كلِّ معنًى يضافُ إلى الرُّبُوبِيَّةِ**): كالوجه واليدين والغضب والرضا.

قوله: (**إلا بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ**): التحريف والتبديل، (**وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ**) الذي سلكه السلف: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، (**وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ**): من الاستسلام والقبول وعدم الرد والتكذيب.

وهنا فائدة: أن التأويل يأتي على عدة معاني:

الأول: التأويل بمعنى التفسير.

الثاني: بمعنى الحقيقة.

الثالث: بمعنى العمل.

الرابع: بمعنى التحريف.

وإن كان هذا النوع بقرينة تدل عليه، فليس بتأويل وإن قال بعضهم أنه تأويل، وإن كان بغير قرينة فهو تحريف، وقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾: إن كان الوقف على قوله: (إِلا اللَّهُ)، يكون المعنى: وما يعلم حقيقته إلا الله، وعلى الوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، يكون المعنى: وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم أيضًا يعلمون تفسيره.

وحديث عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»، أي: يعمل به، **قال جابر**: «وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ»، أي: يعلم معناه ويعمل به، والتأويل بمعنى التفسير، هو الذي يقوله السلف، وتأويل هذه الآية

كذا وكذا، والتأويل بمعنىٰ الحقيقة، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

ومعنىٰ **الصفة**: معلوم عند كل من يقرأ القرآن ويعلم معناه من المسلمين، وأما الكيفية فمجهولة.

[وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ، فإن رَبَّنَا جَلَّوَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ].

الشرح:

قوله:(**وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**): أراد بهذه الفقرة الإشارة إلىٰ أن الله عز وجل موصوف بصفات الجمال والجلال والعظمة والكبرياء، وله سبحانه وتعالىٰ الكمال المقدس، في كل صفة إلا أن الإنسان ينبغي له أن يثبت الصفات مع الحذر من التمثيل والتكييف، وينزه الله عز وجل مع الحذر من التعطيل والتحريف، لأن الناس ينقسمون في كل مسألة إلىٰ طرفين ووسط.

فالمعطلة غلو في النفي، حتىٰ عطلوا الله عز وجل من أسمائه وصفاته، والممثلة غلوا في الإثبات، حتىٰ مثلوا الله عز وجل بمخلوقاته، فكان كل واحد منهما علىٰ طرفي نقيض.

فقال نعيم بن حماد: من مثل الله بخلقه كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله عز وجل به نفسه، أو وصفه به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم. تعطيل ولا تمثيل.

ولذلك تجد أن الله يجمع بين النفي والإثبات، في كثير من المواطن، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هذا اثبات، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذا نفي، والنفي ينبغي أن يتضمن كمال الضد؛ لأن كماله في ضده، وإلا فإن النفي المحض عدم، والعدم ليس بشيء، فالتنزيه الحقيقي أن تثبت لله عز وجل أسماءه وصفاته من غير تمثيل، علىٰ الوجه الذي يليق به، والتنزيه الحقيقي أن يُنزه الله عز وجل عن المخلوقين مع إثبات الصفات.

قوله: (**فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحْدَانِيَّة، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَرْدَانِيَّة**):

معناه: علىٰ ما تقدم بيانه، لأن الله عز وجل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فهو واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، ويجب أن يكون كذلك في أفعال المكلفين، تُصرف له العبادات. وكلمة: (**مَوْصُوفٌ/ ومَنْعُوتٌ**) بمعنىٰ واحد؛ ولهذا ألفَّ النسائي رحمه الله "كتاب النعوت" ويريد به ما يتعلق بالأسماء والصفات.

وقوله: (**لَيسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ**): بمعنىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وقد تقدم الكلام فيها مرارًا.

- أن الكلام في هذا الباب، يقوم علىٰ ثلاث أوجه:

الأول: ما أثبته الله عز وجل ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم أثبتناه علىٰ الوجه الذي يليق بالله عز وجل، كالوجه والسمع والبصر والقوة والقدرة والرحمة والمحبة والسخط والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات.

الثاني: ما نفاه الله عز وجل ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم نفيناه مع إثبات كمال ضده، كالسِنة والنوم والظلم واللغوب والعجز وغير ذلك من الصفات المنفية التي كمالها في ضدها.

فالسِنة كمالها في الحياة والقيومية، والنوم كذلك كماله في الحياة والقيومية، والعجز كماله في العلم والقدرة، والظلم كماله في العدل والحكمة، واللغوب كماله في القوة والقدرة، وغير ذلك من الصفات.

الثالث: ما لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيًا ولا إثباتًا توقفنا في لفظه، واستفصلنا في معناه، كالحيز والجسم والجهة والغاية والتركيب، وغير ذلك مما يقوله المتأخرون، **والسبب في ذلك**: أن باب الأسماء والصفات توقيفي، فلا نثبت إلا ما أثبته الكتاب والسنة، والسبب في التفصيل في المعنىٰ إذ أن المعنىٰ قد يكون حقًا وقد يكون باطلًا، فإن كان حقًا استخدمنا الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة في التعبير عنه، وإن كان باطلًا رُد كما في لفظه، **فقول القائل**: الله جسم، يقال له لفظ الجسم هذا لم يرد في الكتاب ولا في السُنة.

ويقال له: ماذا تريد بالجسم؟ فإن قال: أريد ذاتًا تليق بجلاله؟ قلنا عبر بما ثبت في الكتاب والسُنة واترك لفظ الجسم للاحتمال الذي فيه، **فإن قال**: أريد بجسم أنه مثل الأجسام قلنا: هذا تمثيل، والتمثيل كفر في شرعنا وديننا، وهكذا إن قال الله ليس بجسم يقال له: ماذا تريد؟ بكلمة ليس بجسم بعد التوقف في لفظ الجسم.

يقول مثلًا ليس بجسم ليس كالأجسام، هذا معنىٰ حق، قل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فإن قال: أريد بأنه ليست له صفات، قلنا: هذا معنىٰ باطل.

[وَتَعَالَى عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ، لا تحويه الجهاتُ السِّتُّ كسائرِ المبتدعاتِ].

الشرح:

قوله: (**وَتَعَالَى عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ**): هذا كلام فيه إجمال وليس هو من طريقة السلف رضوان الله عليهم، وإنما هو طريق خلفي أخذ به المبتدعة، وقرروه وصاروا عليه، وكلام المصنف بما أنه من أهل السنة، يحمله علىٰ أنه أراد المعنىٰ الحق.

- قال العلامة عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز رحمه الله: [هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته. وليس لهم بذلك

حجة؛ لأن مراده رحمه الله تنزيه الباري سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتىٰ بعبارة مجملة تحتاج إلىٰ تفصيل، حتىٰ يزول الاشتباه].

فمراده بالحدود يعني: التي يعلمها البشر، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه لأن الخلق لا يحيطون به علمًا، كما قال عز وجل في سورة طه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ومن قال من السلف في إثبات الحدث في الاستواء وغيره، فمراده حد يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد.

وقد ألفَّ بعضهم كتابًا في إثبات الحد، ورد عليه بعضهم بمؤلف آخر؛ لأن الألفاظ المجملة يأتي منها فساد عريض.

وأما قوله: (**وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ، وَالْأَعْضَاءِ، وَالْأَدَوَاتِ**): فمراده رحمه الله تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم، ونحو ذلك فهو سبحانه موصوف بذلك، لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ؛ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها، وأثبتها لنفسه، حتىٰ لا يفتضحوا وحتىٰ لا يشن عليهم أهل الحق.

ولذلك تجد أنهم يُسمون أهل السنة مجسمة؛ لأنهم لو قالوا مثبتة، لقال لهم الناس هذا الذي أثبته الله ورسوله، لكن يسموهم مجسمة، وممثلة.

والممثلة بالعكس يسمونهم معطلة، كما أن الرافضة يسمونهم ناصبة، والناصبة تسميهم رافضة؛ لأن أهل السُنة يُعمِلون جميع الأدلة.

قال: وأهل البدع يطلبون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها، وأثبتها لنفسه حتىٰ لا يفتضحوا وحتىٰ لا يشن عليهم أهل الحق، والمؤلف الطحاوي رحمه الله، لم يقصد هذا المقصد، لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله، وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا ويفسر مشتبهه بمحكمه.

وهكذا قوله: (لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ): مراده: الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفي علو الله واستوائه علىٰ عرشه؛ لأن ذلك ليس داخلًا في الجهات الست، بل هو فوق العالم ومحيط به، وقد فطر الله عباده علىٰ الإيمان بعلوه سبحانه، وأنه في جهة العلو، ويجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان علىٰ ذلك، والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة والمتواترة كلها تدل علىٰ أنه في العلو فتنبه لهذا الأمر العظيم أيها القارئ الكريم، واعلم أنه الحق وما سواه باطل، والله تعالىٰ الموفق. اهـ

- نبين الآن وجه الإجمال في هذه الألفاظ:

قوله: (تَعَالَىٰ): أي: تعاظم وتقدس، وهذا مذكور في الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾، تعالىٰ سبحانه وتعالىٰ عن صفات النقص والعيب، وتعالىٰ لاتصافه بصفات الكمال والعظمة.

قوله: (**عَنِ الحُدُودِ**): لفظ الحد من الألفاظ المجملة، هل ورد الحد في الكتاب والسنة، إثباتًا أو نفيًا؟

لم يرد، إذًا نتوقف في هذا اللفظ، ثم نأتي إلىٰ المعنىٰ، فـ**الحد في عرفهم يحمل علىٰ معنيين**:

المعنى الأول: أن يكون محدودًا أي محاطًا به، وهذا معنىٰ باطل، لا يليق بالله عز وجل، فهو الكبير المتعال.

والمعنى الثاني: أن يكون بائنًا من خلقه، مستو علىٰ عرشه، فهذا معنىٰ حق، إلا أننا نتوقف في اللفظ كما تقدم.

قوله: (**وَالغَايَاتِ**): **الغاية**: هي النهاية، ومع ذلك، هذا اللفظ لم يرد في الكتاب والسنة في حق الله عز وجل، ويتوقف في اللفظ، ويَثبَت أن الله عز وجل مستو علىٰ عرشه، بائن من خلقه وهو الكبير العظيم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قوله: (**وَالأَرْكَانِ**): لفظة ركن، يعني لم ترد في الكتاب ولا في السُنة، فنتوقف فيها، ثم ماذا تريدون بالأركان؟ هل تريدون بالأركان: أن له صفات تليق بجلاله؟ فإن قالوا نعم، قلنا: هذا المعنىٰ ثابت بأدلة الكتاب والسنة، ولا يحتاج إلىٰ ذِكر، **فإن قالوا**: نريد بالأركان بأنه غير موصوف بالصفات، نقول: هذا معنىٰ باطل يخالف الكتاب والسُنة.

قوله: (وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ): كلاهما من الألفاظ المجملة، ماذا تريد بالأعضاء والأدوات، هل تريد أنه موصوف بالصفات التي تليق بجلاله، ليست كصفات المخلوقات؟ هذا معنىٰ حق.

أم تريد أنه ليس موصوف بشيء من الصفات، لا سيما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق والأصابع وغير ذلك؟ فهذا معنىٰ باطل، فهذه الألفاظ تحتوي معنىٰ حق ومعنىٰ باطل، فلهذا يتوقف في ألفاظها، ويستفصل في معناها.

قوله: (لَا تَحْوِيهِ): أي: تحيط به، (الْجِهَاتُ السِّتُّ): وهي: فوق، وتحت، ويمين، ويسار، وأمام، وخلف، **أما من حيث اللفظ فَعليه تعقب من جهات:**

أولا: **لفظ الجهة** في حق الله عز وجل لم يرد في الكتاب ولا السُنة.

ثانيًا: إنه يحمل علىٰ معنىٰ باطل ومعنىٰ حق، فإن قال: الله ليس في جهة، وأراد بالجهة المخلوقات فهذا معنىٰ حق، عال علىٰ خلقه، بائن منهم مستو علىٰ عرشه، وإن قال أريد الله ليس في جهة أي ليس في العلو، قيل هذا معنىٰ باطل، فالله عز وجل قد أثبت لنفسه العلو.

وإن قال: الله في جهة، يقال: ماذا تريد بالجهة؟ هل تريد أنه في العلو؟ فهذا معنىٰ حق، أم تريد أنه محاط بمخلوقاته؟ فهذا معنىٰ باطل.

فالألفاظ المجملة فيها معنىٰ حق، ومعنىٰ باطل؛ ولهذا توقف السلف في إطلاقها ونفيها، وإنما يثبتون ما أثبته الله ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وينفون ما نفاه الله عز وجل ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

قال ابن القيم:

فَعَلَيْك بالتفصيل والتمييز فال ❁❁ إِطْلَاق والاجمال دون بَيَان

قد أفسدا هَذَا الْوُجُود وخبطا ❁❁ الأذهان والآراء كل زمَان

[والمِعْرَاجُ حَقٌّ، وقدْ أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ في اليَقَظَةِ إلى السَّماءِ، ثُمَّ إلى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ العُلى، وأَكْرَمَهُ اللهُ بِما شَاءَ وَأَوحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، فَصلى الله عليه وسلم في الآخِرَةِ والأُوْلى].

الشرح:

قوله: (والمِعْرَاجُ حَقٌّ..): هذه الفقرة ذكرها لبيان عقيدة أهل السُّنة في الإسراء والمعراج.

والإسراء: هو السري من مكة إلىٰ بيت المقدس؛ حيث ركب النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ البراق، وكان البراق يضع قدمه حيث ينتهي بصره، ثم إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما جاء بيت المقدس ربط البراق ثم عرج به إلىٰ حيث شاء الله عز وجل من العلا.

وكان المعراج والإسراء يقظةً لا منامًا؛ لأنه لو كان منامًا لَمَا أنكرَ كفار قريش علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم قوله؛ لأن المنامات يقع فيها ما لا يقع في الواقع.

فقد يرىٰ الإنسان أنه وصل إلىٰ السماوات ورجع أو قد يرىٰ أنه قُتِلَ وعاد إلىٰ الحياة، أو يرىٰ في منامه أنه ضرب رأسه إلىٰ غير ذلك مما يراه النائم. لكن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما حدثهم أنه أُسري به، وكان إسراؤه يقظةً لا منامًا هذا الذي جعلهم يكذبون.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، فالعبد دل علىٰ أن الإسراء كان بالروح والجسد

وكان الإسراء والمعراج مرة واحدة بعد موت خديجة رضي الله عنها، وقبل هجرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وأما من جعله عدة مرات فهو علىٰ حديث أخرجه البخاري رحمه الله، من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وقد أخطأ في هذا الحديث أكثر من عشرة أخطاء، ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في الزاد، وذكرها الحافظ بن حجر وزاد علىٰ ما ذكره ابن القيم في شرحه علىٰ "صحيح البخاري" في كتاب التوحيد.

- **ومن هذه الأخطاء**: أنه خالف بين الأنبياء في منازلهم في السماء.

- **ومن هذه الأخطاء**: أنه جعل التدلي في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ للجبار.

- **ومن هذه الأخطاء**: أنه جعل الإسراء بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم من المسجد والإسراء كان من بيت أم هاني إلىٰ غير ذلك.



وحديث الإسراء والمعراج مذكور في "الصحيحين" من حديث أنس رضي الله عنه، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي ذر، ومن حديث مالك بن صعصعة، ولقي النبي صلىٰ الله عليه وسلم الأنبياء، ولقيهم حياةً تليق بذلك الموطن، ليست حياة دنيا، كما يُظن.

ففي حديث الإسراء عند البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: «..ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ: قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لاَ يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ، وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نِعْمَ الِابْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟، قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الأُولَى مَنْ هَذَا، قَالَ جِبْرِيلُ: قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ



السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ، فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلاَمِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلاَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى..»، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام، كما في حديث ابن عباس وأبي حَبَّةَ الأنصاري رضي الله عنهم، فأوحىٰ الله عز وجل إليه خمسين صلاة، قال عليه الصلاة والسلام: «فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَخَبَرْتُهُمْ»، فيرجع النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ ربه فيسأله التخفيف، حتىٰ يقول الله عز وجل: «هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ؛ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ».

فينزل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بيت المقدس مرة أخرىٰ، فيؤتي الله عز وجل بالأنبياء فيصلي بهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وبعضهم جعل أن الصلاة صلاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالأنبياء كان قبل المعراج، **وهذا لا يصلح لأمور:**

الأول: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لو كان صلىٰ بهم قبل المعراج لما احتاج أن يسأل في السماء من هذا، وهكذا لما احتاجهم أن يسألوا عنه.

الثاني: أن أراد الله عز وجل أراد أن يكرم النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ويبين فضله علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، بعد رجوعه من الحضرة الإلهية وبعد أن أوحىٰ الله عز وجل إليه ما أوحىٰ، وكلمه سبحانه وتعالىٰ.

والمعراج دليل علىٰ علو الله عز وجل؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه عرج به إلىٰ حيث شاء الله عز وجل من العلا.

وفيه: إثبات كلام الله عز وجل؛ لأن الله كلمه وأوحىٰ إليه ما أوحىٰ.

وفيه: دليل لما جاء في إثبات الحياة البرزخية، وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ»[1].

ويدل عليه: مثل حديث أنس رضي الله عنه: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»، وهي حياة برزخية، ليست حياة كالحياة الدنيا، فإنهم قد قبضوا وماتوا كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

ومما أكرمه اللّه عز وجل به: أن رفعه إلىٰ حيث شاء من العلا، هذه منزلة عظيمة. ومما اكرمه الله عز وجل به أن كلمه تكليمًا، ومما أكرمه الله عز وجل به أن خفف عليه الصلاة، بعد أن كانت خمسين وضاعف له الأجر، ومما أكرمه الله به أنه رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

---

(١) أخرجه البيهقي، جاء من حديث أنس ويحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.



[والحَوضُ الذي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالى بِهِ غِيَاثًا لأُمَّتِهِ حَقٌّ].

الشرح:

قوله: (والحَوضُ الذي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالى بِهِ غِيَاثًا لأُمَّتِهِ حَقٌّ): أي: ومن عقيدة أهل السُنة والجماعة الإيمان بالحوض، وأن الله عز وجل اختص نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم به، هذا علىٰ القول الصحيح، وهو ثابت بالكتاب والسُنة والإجماع، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فسرها النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث أنس عند الإمام مسلم: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟» فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ».

وقد ذكر الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ أحاديث الحوض في كتاب فضائل النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ذكر منها حديث جندب: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»[١].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عند مسلم: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»، وفي لفظ ابن عمر رضي الله عنه عند مسلم: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»، وحديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم أيضًا: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال:

---

(١) متفق عليه.

«إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ»، وهكذا حديث أسماء وحديث أم سلمة وأحاديث كثيرة في الباب، وأحاديث الحوض متواترة:

مما تواتر حديث من كذب	**ومن بنىٰ لله بيتًا واحتسب**
ورؤية شفاعة والحوض	**ومسح خفين وهذي بعض**

ولبقية بن مخلد رحمه الله جزء في أحاديث الحوض، وذكر الحافظ ابن حجر أن الذين رووا أحاديث الحوض فوق ثمانين صحابيًا، ولا يمنع ذلك أن تكون أحاديثهم فوق المئة، لأن بعض الصحابة له حديثان أو أكثر في الباب.

- ومن الإيمان بالحوض: الإيمان أنه موجود الآن.

ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»، وفي "الصحيحين" عن عقبة بن عامر: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ».

وزواياه سواء، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»، وفي رواية: «آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ»، أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

- **ويطرد من الحوض ممن يُظهر الإسلام طائفتان، أما الكفار فمعلوم:**

الطائفة الأولى: **المبتدعة**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**»، وفي رواية: «**فَيُقَالُ: "إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا**»، وفي رواية: «**فَأَقُولُ: "يَا رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ**»، وفي رواية: «**هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»، زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ: «**وَقَالَ: مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**»، أخرجه مسلم.

الطائفة الثانية: بعض العصاة، لما أخرج أحمد من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «**أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**». قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي**».

وقد أُنكِرَ الحوض قديمًا، وكان ممن أنكره عبيد الله بن زياد، وكان إذا جاءه الرجل يحدثه عن الحوض يرد حديثه، حتىٰ جاء أنس بن مالك رضي الله عنه، فسأله عن الحوض، فقال ما كنت أظن أن أحدًا ينكر الحوض، وقد تركت



عجائز المدينة وإحداهن تقول: اللهم اسقنِ من حوض نبيك محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

وهنا مسألة يطرقها بعضهم: فلو قدر أن من شرب من الحوض دخل النار، فكيف والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا»، **قيل**: يُعذب بما دون العطش، والله أعلم.

فائدة: الترتيب بين الحوض والصراط والميزان: فقد جاء عند الترمذي، وهو في "الصحيح المسند" للشيخ مقبل **رحمه الله**: أن أنس بن مالك **رضي الله عنه** قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ**»، **ومعلوم**: أن الصراط من آخر ما يكون.

فكان الجواب: أن الحديث لا يدل علىٰ الترتيب، وإنما ذكر له النبي صلىٰ الله عليه وسلم المواطن التي سيجده فيها، وإلا فأول هذه الأمور الحوض حيث يخرج الناس عطاشىٰ من قبورهم فيتوجهون إلىٰ طلب الشراب.

مسألة: **هل لكل نبي حوض؟**

هذه المسألة طرقها أهل العلم، والحديث فيها لا يثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهو في الترمذي من حديث سمرة: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم

قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا»، ولكنه من طريق الحسن البصري عنه، ولم يسمع منه إلا حديث العقيقة، ثم إن الحديث قد أُعِلَّ؛ بأنه من مراسيل الحسن البصري، ومراسيله من أضعف المراسيل، فنبقىٰ علىٰ الخصوصية، وهذا الذي يظهر من صنيع المصنفين، بل والخطباء يقول أحدهم صاحب الحوض والشفاعة.

ويقول أحدهم: (وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود)، إشعارًا أنهم يرون أن الحوض من خصائصه صلىٰ الله عليه وسلم.

[والشَّفَاعَةُ التي ادَّخَرَها لَهُمْ حَقٌّ كما رُويَ في الأخبارِ].

الشرح:

قوله: (**والشَّفَاعَةُ التي ادَّخَرَها لَهُمْ حَقٌّ كما رُويَ في الأخبارِ**): أي: ومما نؤمن به: **الشفاعة**، والشفاعة من الشفع، ضم الشيء إلىٰ الشيء، وقد جاءت في القرآن **(مثبتة، ومنفية)**.

- فأما المنفية: فما كانت للكفار، قال الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، أو ما كانت تطلب من المقبورين، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣].

- **وأما الثابتة: فما تضمنت شروطًا ثلاثة:**



الأول: **إِذْن الله عز وجل للشافع**، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾.

والثاني: **رِضا الله عز وجل عن الشافع**.

الثالث: **رضىٰ الله عز وجل عن المشفوع له**، قال الله عز وجل: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.

ومن الشفاعات المنفية أيضًا: **الشفاعة المطلوبة من الأصنام والأنداد**، كما بينها ربنا عز وجل في كتابه الكريم، فإن عباد الأصنام والأنداد والأوثان إنما عبدوها لتشفع لهم عند الله، قال تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

وقد قطع الله عز وجل عن أصحاب القبور، كل من تعلق بالقبور، فأخبر أن الذين يدعونهم لا يملكون شيئًا، ولم يتخذهم الله عز وجل ظهراء، ولا هم شركاء في المُلك، فبقيت من متعلقات الشفاعة، فأخبر أنها لا تنفع عنده إلا لمن إذن له، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

❁ أنواع الشفاعة:

الأولى: **الشفاعة العظمىٰ**، وهي التي تسمىٰ بالمقام المحمود، وقد غلط من فسر المقام المحمود بالجلوس علىٰ العرش، **لأمور**:

- **أولًا**: لم يأتِ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم دليل في ذلك، (بل ولا عن الصحابة).

- **ثانيًا**: أن الذي ورد عن الصحابة في تفسير المقام المحمود هو الشفاعة، كما في حديث جابر عند الإمام مسلم أن يَزِيد الْفَقِيرُ، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَىٰ النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَالِسًا إِلَىٰ سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ، وَاللهُ يَقُولُ: {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}، وَ {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا}، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي: الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ. قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ. قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ، قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا. قَالَ: يَعْنِي: فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ، فَرَجَعْنَا، قُلْنَا: وَيْحَكُمْ، أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم؟ فَرَجَعْنَا، فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ".



والشفاعة العظمىٰ يثبتها حتىٰ الخوارج والمعتزلة ومن إليهم.

وهذه الشفاعة تكون في فصل القضاء بين العباد، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وجاء عن أبي هريرة وأبي سعيد، وجمع من الصحابة رضوان الله عليهم ولفظه: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا»، ويسجد لله عز وجل، ويثني عليه بحامد يعلمه الله إياها في ذلك الحين، لا يعلمها الآن، ثم يقال الله عز وجل له: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، والحديث بعد قوله: «أمتي أمتي» مختصر؛ لأن الحديث لم يتطرق إلىٰ إثبات الشفاعة العظمىٰ، وإنما ذكر الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

قال العلماء: والسبب في ذلك: أن الشفاعة التي هي المقام المحمود معلومة عند الناس، والتي ينكرها الخوارج والمعتزلة هي الشفاعة في أصحاب الكبائر، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ

بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

قال **الحسن البصري**: أما أحدثكم بالرابعة؟ قالوا وما هي يا أبا سعيد؟ قال لقد حدثني قبل عشرين سنة الحديث، وفيه: **قال**: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

الثانية: **الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد** صلىٰ الله عليه وسلم، وهي التي ينكرها الخوارج والمعتزلة، بل قد وضعوا لها حديثًا ليس له أصل، **وهو: "ليست شفاعتي في أهل الكبائر من أمتي"**.

مع أن الحديث الثابت عند الترمذي وغيره. وخرج طرقه شيخنا مقبل رحمه الله تعالىٰ في كتابه "الشفاعة" (٥٦): قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، أخرجه الترمذي عن غير أنس رضي الله **عنهم**.



وفي حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه عند أحمد وهو في "الصحيح المسند": قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ».

فالشفاعة في أهل الكبائر ثابتة بالكتاب والسُنة والإجماع.

أما الكتاب فلدلالة النصوص علىٰ وجوب أخذ خبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم، والإيمان به وتصديقه.

وأما السُنة فهي كثيرة متواترة كما ترىٰ، وأما الإجماع فهو قائم علىٰ ذلك.

- **ومن الشفاعات الخاصة بالنبي** صلىٰ الله عليه وسلم:

الأولى: الشفاعة العظمىٰ.

الثانية: الشفاعة في تخفيف العذاب؛ عن عمه أبي طالب كما في حديث الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ، قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[1].

الثالثة: الشفاعة في فتح باب الجنة؛ كما حديث أنس في "صحيح مسلم" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

---

(١) أخرجه مسلم.

وأما الشفاعة في أهل الكبائر فهي عامة، يشفع النبيون، ويشفع الملائكة، ويشفع المؤمنون، ثم يتفضل الله عز وجل علىٰ من شاء من خلقه، أي: من المؤمنين.

وجاء في بعض الروايات: ويشفع أرحم الراحمين.

الرابعة: الشفاعة في قوم بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما شفع لعكاشة بن محصن كما في "الصحيحين": عن أبي هريرة **رضي الله عنه**: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»**.

وفي رواية: عن ابن عباس **رضي الله عنه فَقَالَ عُكَّاشَةُ** بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**.

وفي رواية عن عمران بن حصين: فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: **«أَنْتَ مِنْهُمْ»**.

الخامسة: **الشفاعة في رفع درجات بعض المؤمنين في الجنة**، وهذه لا ينكرها الخوارج المعتزلة، وأكثر ما ينازعون في الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وقد ألفَّ الذهبي **رحمه الله** تعالىٰ كتابًا في الشفاعة، وهكذا من أجمع ما رأينا كتاب شيخنا **رحمه الله** تعالىٰ في الشفاعة.

[والمِيثَاقُ الذي أَخَذَهُ اللهُ تعالى مِنْ ءادَمَ وَذُرِيَّته حَقٌّ].

الشرح:

قوله: (والمِيثَاقُ الذي أَخَذَهُ اللهُ تعالى مِنْ ءادَمَ وَذُرِيَّته حَقٌّ): لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

وهذه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اختلافًا كبيرًا، وما هو الميثاق الذي أخذ عليهم؟

فقال جمهورهم: بأنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقال غيرهم: بأن الله عز وجل أخرج رية آدم كأمثال الذر، ثم أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، والقول الأول نصره ابن القيم رحمه الله تعالىٰ، ونقله عنه مقرًا وناصرًا ابن أبي العز في شرحه علىٰ "الطحاوية".

والذي يظهر والله أعلم أن الصحيح في المسألة: أن الله أخرج ذرية آدم وأخذ عليهم العهد والميثاق، ويدل عليه ظاهر القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، ويدل عليه أحاديث في الباب، مثل حديث عمر وجاء عن غيره: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلىٰ الله عليه وسلم -: «أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ

كَلَّمَهُمْ قُبُلًا فَقَالَ: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}.

حتىٰ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ لمَّا ذكر المسألة بطولها، قال بمعنىٰ كلامه: فقد جاءت أحاديث وآثار قد لا تدفع.

ورأينا ما يدل علىٰ هذا القول وهو: ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ؛ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ»، فهذا حديث صحيح يدل علىٰ هذا العهد والميثاق.

والذين أنكروا هذا القول قالوا: هذا يتعارض مع الأدلة، إذ كيف تثبتون التأثيم علىٰ الناس، بمجرد العهد الذي أخذه الله عز وجل عليهم، والجواب أن هذا لا نقوله، وإنما أرسل الله عز وجل الرسل، وأنزل الله عز وجل الكتب، مذكرة بهذا العهد والميثاق، فلم يؤاخذ الله عز وجل الناس بما أخذ عليهم في العهد السابق، وإنما أخذهم بردهم لمَّا ذكرهم به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من العهد والميثاق، الذي أخذه الله عز وجل عليهم.

مع ذلك هذه مسألة الخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة، لكن رأيت أن هذا القول هو أقرب من القول بأن المراد بالعهد والميثاق هو الفطرة فحسب، والله أعلم.

[وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعالى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُزادُ فِي ذلِكَ العَدَدِ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوه، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالى].

الشرح:

قوله: (**وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعالى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُزادُ فِي ذلِكَ العَدَدِ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوه، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالى**): أشار بهذه الفقرة إلىٰ عقيدة أهل السُنة والجماعة، في الإيمان بعلم الله عز وجل الأزلي الأبدي، العلم الذي لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان، العلم المحيط بكل شيء، قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، وقال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ﴾، وقال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

وعلمه تعالىٰ بالكليات والجزئيات، قال الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وأصرح منها: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، وعليم بها في الأزل، وهذا رد علىٰ القدرية، الذين ينفون علم الله، ويزعمون أنه لا يعلم إلا بعد وقوع الأمر، ويقولون الأمر أنف، نعوذ بالله من الخذلان، ومعنىٰ الأمر أنف، أن الله لم يعلمه إلا بعد أن وقع. وهذا خلاف أدلة القرآن والسنة والعقل والفطرة، فإن القرآن والسنة، دالة علىٰ علم الله الأزلي الأبدي، وهكذا العقل دال علىٰ علم الله الأزلي الأبدي: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

وهكذا الفطرة التي فطر الله عز وجل الناس عليها، تدل علىٰ ذلك، فإن الإنسان المتميز بالبعد عن الشبه، يشعر أن الله عز وجل به وبما هو قادم عليه عالم.

وأشار إلىٰ مسألة دخول الجنة والنار وهذا يدل عليها، حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الترمذي: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا. فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي

شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا؛ فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}، ومع ذلك لا يجوز لإنسان أن يترك العمل، معتمدًا علىٰ ما في علم الله، وما في قدر الله فان الله عز وجل لم يكلفنا، ولم يأمرنا بذلك، ولو كان كلف بذلك فإما أن يطلعنا علىٰ ما في علمه وهذا غير صحيح، وإما أنه كلفنا بما لا يطاق، وهذا يخالف شرع الله، ويخالف عدل الله، قال تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا﴾، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

فنحن مطالبون بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر علىٰ المقدور.

ولو تأملت سبب ضلال المبتدعة، من الجبرية والمعتزلة في هذا الباب، لوجدت أنهم خالفوا هذا الأمر، فالجبرية عظموا القدر، وأهملوا الأمر والنهي تمامًا، فلو فعل بعضهم أقبح القبائح من الشرك فما دونه، فإنه يرىٰ نفسه مصيبًا؛ لأنه كالريشة في مهب الريح، أو كالميت بين يدي المغسل، يعني أنه لا قدرة له ولا استطاعة، ولا فعل ولا شيء، وعطل الأمر والنهي تمامًا.

والنفاة عظموا باب الأمر والنهي، وعطلوا القدر، فضلوا.

وأهل السُنة أثبتوا لله عز وجل، ما أثبت من العلم والكتابة والخلق والمشيئة، وهكذا عظموا باب الأمر، ففعلوا المأمور وتركوا المحظور، وصبروا علىٰ المقدور.

قوله: (**وَكَذلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوه**): **يعني**: أفعالهم أيضًا من المعلوم، وهذا رد علىٰ من تقدم بيانه، فالله عز وجل هو الذي خلق الإنسان وخلق فعله، قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ومع ذلك فهو عليم بما يفعل العباد، وكل ميسر لما خلق له، هذا جواب من النبي صلىٰ الله عليه وسلم، لما قيل له يا رسول: «**أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ**»، **يعني**: اعتمادًا علىٰ الكتب؛ لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أخبرهم أن الله كتب مقادير الخلائق، وأن الله قد فرغ من العباد، فقالوا: «**أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ**»، قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**». وهو في "الصحيحين"، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ثم، قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}، فهذا هو، فيجب علينا أن نعمل.

قوله: (**وَالأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**). قد ثبت هذا عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، كما في حديث سهل بن سعد عند البخاري.

- وعليه أدلته، منها: حديث رضي الله عنه: « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[(١)].

- ومنها حديث: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٢)].

ومنها ما في "الصحيحين": عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

وفي قصة الرجل الذي وقصته الناقة كما في "الصحيحين": عن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّدًا»[(٣)]، أي: علىٰ ما ختم له.

قوله: (وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ): كما في "صحيح مسلم": عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في مسلم- السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه- وذلك حين تلىٰ ذلك الحديث: «ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٨٣-(٢٨٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣١١٦)، وهو عند الحاكم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه.

وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»، والسعداء هم أهل الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، والأشقياء هم أهل النار، أصحاب الشقاوة الأبدية، قال الله عز وجل: ﴿لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

والشاهد: أن السعادة بقضاء الله عز وجل وقدره، والشقاوة بقضاء الله عز وجل وقدره، لكن مربط الفرس، هل ظلم الله عز وجل الأشقياء، هل أخذ الله عز وجل حقهم، هل هضمهم ما هو لهم؟

الجواب: لا؛ فإن الله عز وجل يقول عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، ويقول: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، في الحديث: «لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ»[(١)].

الشاهد: أن الله عز وجل امتن علىٰ من شاء من عباده ووفقه للخير فضلًا منه. وخذل من شاء من عباده عدلاً منه، هذا هو الذي ينبغي أن نكون عليه ونعتقده، كما قيل:

ما للعباد عليه حق واجب	كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا	بفضله وهو الكريم الواسع

فلهم حق أوجبه علىٰ نفسه تفضلًا، ليس كما يقول المبتدعة: أن الذي أوجب علىٰ الله هو فعل العبد.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣٩).



ومن ذلك ما جاء في "الصحيحين" عن معاذ رضي الله عنه: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، هذا حق أوجبه علىٰ نفسه تفضلًا وكرمًا.

- فتنبه من هذه الزلقة العظيمة التي انتحلها المعتزلة، وأن علىٰ الله وجوبًا فعل الأصلح للعبد، فهذا قول مطَّرح يخالف المعقول والمنقول والثوابت والأصول.

[وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلان، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فإن اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ].

الشرح:

قوله: (وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ): وسر الله عز وجل مغيب لا يجوز البحث، ولا التنقيب عنه، وإنما علينا أن نبحث عن أدلة القرآن والسنة، فنعمل بها.

قوله: (لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ): وهذا لبيان أنه لا يعلم ما في علم الله عز وجل إلا الله عز وجل فإن شاء أن يطلع أحد من خلقه أطلعه، كما قال تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.

- **قد يقول قائل**: كيف والملائكة تكتب؟ ما يتعلق بأعمال بني آدم، يُقال تكتب ما أعلمهم الله سبحانه وتعالىٰ وأطلعهم عليه.

قوله: (وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذلِكَ): في القدر؛ من حيث الاعتراض بـ(لماذا)، (ذَرِيعَةُ): سبيل إلىٰ: (الخِذْلانِ): وعدم التوفيق، (وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ فَالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً:) انظر إلىٰ هذه النصيحة، التعمق والبحث في باب القدر عن العلل والأحكام قد يؤدي بالإنسان إلىٰ الانحراف البعيد، نعوذ بالله من الضلال.

فعلينا أن نؤمن بما دلت عليه المراتب الأربع، التي يذكرها أهل السنة، بدون تعمق، لأنك إذا استطردت مع الشيطان سيأتي بك إلىٰ نقطة قد تسبب لك مرض في قلبك، أنت الآن تقول الله عز وجل بكل شيء عليم، ثم يجرك إلىٰ أن يصل: إذًا لماذا وفق هذا ولم يوفق هذا؟ ولماذا خلق هذا وقد علمه للنار وبئس القرار؟.

وهذا من تلبيسات الشيطان واعتراضاته، فإن الله عز وجل له أسماء وصفات، وأسماؤه وصفاته لها آثار، لا بد أن تقع، فله الحكمة، وله العلم.

فخلق عباده بعلمه، وحكمته، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، عصاه معصية الكفر، والعياذ بالله، وأما دون ذلك فهو تحت المشيئة، فتتحقق مصالح وحكم، في هذا الباب، لكن علىٰ الإنسان أن يقطع الوسوسة، وأن يؤمن بالله.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»، وفي رواية: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ»[(١)].

قوله: (فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ): عن مخلوقاته هنا، (وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ): عن التنقيب عنه والبحث فيه.

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾): لا يسأل عما يفعل لكمال عدله، وحكمته وعلمه.

وأما الجبرية فيجوزون عليه الباطل، ويستدلون بهذه الآية، علىٰ أنه يفعل ما شاء وقد يُعذب البريء؛ حتىٰ قال السفاريني رحمه الله، وهذهِ زلة منه:

وجـاز للمـولىٰ يعـذب الـورىٰ ... من غير مـا ذنـب ولا جـرم جـرىٰ

فهذه عقيدة الجبرية؛ وذلك أنهم يجوزون لله عز وجل أن يعذب من شاء من عباده بغير ذنب ولا جرم، وعمدتهم قوله تعالىٰ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ

---

(١) متفق عليه.

يُسْأَلُونَ﴾، ويتناسون مثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، ومثل ما جاء في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»[1]، فهو سبحانه: ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ﴾؛ لكمال عدله، وقيوميته وحكمته. والعباد عبيده.

وأما حديث حذيفة وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وجاء عن غيرهم: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»، فليس فيه أن عز وجل يعذب بغير ذنب وجَريرة.

إذ أن لله عز وجل حقوقًا **منها**: فعل الطاعات، واجتناب المعاصي والسيئات.

فلو قُدِرَ أن الانسان فاعل للطاعات، فمهما كان اجتهاده فإنه لن يصل إلىٰ أن يؤدي حق الله علىٰ أكمل ما يكون من الأكملية؛ لأن حق الله عظيم، وإنما يؤدي حق الله علىٰ حسب ما أقدره الله، علىٰ الضعف في الإنسان، وإلا فإن لله عز وجل عليك نعمًا كثيرة، **منها**: نعمة السمع والبصر، فلو وزنت هذه الطاعات، وهذه العبادات التي تقوم بها بنعمة السمع ما أدت حق ذلك النعمة أو نعمة البصر ما أدت حق ذلك النعمة، فما بالك ببقية النعم؟ فهذا معنىٰ الحديث، وليس معناه أن الله يعذب من لا يجب عليه العذاب، فإن الله عز وجل لا يفعل ذلك؛ لكمال

---

(١) أخرجه مسلم.

حكمته ورحمته وعدله، وبنحو هذا الجواب أجاب الشيخ الفوزان رحمه الله تعالىٰ، في شرحه علىٰ "السُنة" للبربهاري.

قوله: (فَمَنْ سَأَلَ لِمَ فَعَلَ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ كانَ منَ الكافِرِينَ): إلىٰ اعتراضًا علىٰ القدر؛ لقوله: لما فعل كذا؟ وكيف فعل كذا؟ فهذا ردٌ لحكم الكتاب، ردٌ لخبر الله ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ومن كان هذا حاله كان من الكافرين، نسأل الله السلامة.

فالواجب علينا: الإيمان بالقدر وما تضمنه من مراتب، وأن نبتعد كل البعد عن الخوض فيما لا يجدي ولا ينفع، فإن ذلك كما أشار المصنف سُلم الحرمان، ودرجة الطغيان، وذريعة الخذلان، وما ضل من ضل، إلا لما فتحوا علىٰ أنفسهم هذه الأبواب الخطرة، ففتحت أبواب ما استطاعوا أن يغلقوها، فباب التفكر والتعمق في القدر فكرًا ووسوسة، ما هو إلا الانحراف البعيد، والكفر السحيق إلا أن يتداركه الله عز وجل برحمة منه وفضل؛ فإن الشيطان حريص كل الحرص علىٰ إغواء بني آدم.

[فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، لأن الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَصح الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ].

الشرح:

قوله: (**فَهذِهِ جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنوَّرٌ قَلْبُهُ منْ أَوْلياءِ اللهِ تَعَالى**): يعني هذا الكلام في القدر جملة، تكفي من أراد الله له الخير، وكان سالكًا لسبل الهداية.

قوله: (**وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ**): الذين يقولون: كل من عند ربنا؛ (**لأَنَّ العِلمَ عِلْمانِ: عِلمٌ في الخَلْقِ مَوْجُودٌ**) وهو علم الكتاب والسنة، فهذا الذي نحن مطالبون به فعلًا وتركًا، فالمأمور يُفعل، والمنهي عنه يُترك.

قوله: (**وَعِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَفْقُودٌ**): وهذا هو علم الغيب، فلا يجوز البحث عنه، ولا التنقيب، لا شرعًا ولا قدرًا، ولا هو في وسعنا، إذ لا يعلم ما في نفس الله إلا الله، ولا يعلم الغيب إلا الله لا سيما مفاتيح الغير الخمسة المذكورة في أواخر سورة لقمان، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾، وقد جاءت هذه الخمسة من حديث ابن عمر عند البخاري.

قوله: (**فإِنكارُ العِلْمِ الموجودِ كفرٌ**): من أنكر دلالة القرآن ودلالة السنة كفر.

قوله: (**وادِّعاءُ العِلْمِ المفقودِ كفرٌ**): من ادعىٰ أنه يعلم ما في علم الله أو يعلم الغيب فهو كافر كفر أكبر، قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾؛ ولهذا كفر العلماء الساحر والكاهن، وهذه أحد أوجه تكفيره: أنه يدعي علم الغيب.

قوله: (**ولا يَثْبُتُ الإِيمانُ إلا بقَبولِ العِلْمِ الموجودِ**): لا يثبت إيمان العبد ويستقر إلا بقبول العلم الموجود اعتقادًا، وقولًا وفعلًا، وهو الكتاب والسنة.

قوله: (وتَرْكِ طَلَبِ العِلمِ المفقودِ): وهو التنقيب في باب القدر.

[وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ والقَلَمِ وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ، فَلَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، ولوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالى فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ القَلَمُ بمَا هُو كَائِنٌ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ العبدَ لمْ يَكُنْ لِيُصيبَهُ وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَهُ، وَعلَى العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ في كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدَّرَ ذلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلا مُعَقِّبٌ وَلا مُزِيلٌ ولا مُغَيِّرٌ وَلا مُحَوِّلٌ ولا نَاقِصٌ وَلا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ في سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمانِ وَأُصُولِ المَعْرِفَةِ والاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالى وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعالى في كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، وقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَى في القَدَرِ خَصِيمًا، وأَحْضَرَ للنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ التَمَسَ بِوَهْمِهِ في فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا وَعَادَ بِمَا قَالَ فيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا].

الشرح:

- هذه الفقرة تتمة لما قبلها في الكلام على القدر، وركز فيها المصنف على أمور:

الأول: وجوب الإيمان باللوح والقلم، واللوح المحفوظ: هو الكتاب الذي كتب الله عز وجل فيه ما يتعلق بمقادير الخلائق إلى القيامة، كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند "مسلم": قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عند أبي داود وغيره: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، وفي رواية: «قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»، وقال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، فنؤمن به لأنه خبر الله، وخبر رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

والقلم المراد به: (الْقَلَمِ) العام، كما قال تعالىٰ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، **فهو القلم الذي كتب مقادير الخلائق**، وهو من أوائل المخلوقات، حتىٰ ذهب جمع من أهل العلم، إلىٰ تقديم القلم في الخلق علىٰ العرش استدلالًا بما تقدم من حديث عبادة عند الترمذي وغيره، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ».

والصحيح: أن تتمة الجملة أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، كما تقول: أول ما دخل زيد من الباب قلت له: اجلس.

وليس المراد أن أول مخلوق هو القلم، **والدليل**: ما ذكرته من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، فكانت الكتابة والعرش علىٰ الماء، فتقدم خلق العرش علىٰ خلق القلم.

۞ والأقلام مجموعة:

أولها: القلم العام، وهو المراد هنا.

ثانيها: **القلم البشري**، ويستدل له العلماء بقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

ثالثها: **القلم العُمرِي**، وهو المذكور في حديث عبد الله بن مسعود وغيره: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»(١)، كل ذلك وهو في بطن أمه، وهو المشار إليه أيضًا بقوله: «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

رابعها: **قلم التكليف**، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ»(٢).

خامسها: **القلم السنوي**، وهو المشار إليه، بقول الله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد عن عائشة وعلي رضي الله عنهم جميعًا.

قوله: (**وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ**): نؤمن باللوح، ونؤمن بالقلم، ونؤمن بجميع ما في اللوح قد كتب ورُقم من مقادير العباد، ومما هو من علم الله عز وجل كتبه في ذلك اللوح المحفوظ، لا يزاد فيه ولا ينقص منه.

قوله: (**فَلَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، ولوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلى شَيءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالى فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ**): **معناه علىٰ ما تضمنه**: حديث عبدالله بن عباس عند الترمذي وغيره أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال له: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

فالأمر عائد إلىٰ الله عز وجل إعطاء ومنعًا وأخذًا ودفعًا، فهو الذي بيده تصريف الأمور، وهو الذي قد كتب ما كان وما يكون إلىٰ قيام الساعة، فلا يستطيع الناس أن يغيروا شيئًا قد كتبه الله عز وجل في ذلك اللوح المحفوظ.

ومنه: ما أُثر عن عمر: (**اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فاجعلني سعيدًا**)، فهذا يتعلق بالكتابة، بما في أيدي الملائكة، أما اللوح المحفوظ فما فيه إلا شيء واحد، وهو ما يصير إليه العبد، فليس فيه تغيير ولا تبديل، وأما ما في يد المَلك،



فقد ينزل الله عز وجل إليه أن هذا العبد إن فعل كذا فأمره كذا، وإن لم يفعل كذا فأمره كذا، مع أنه في علم الله واحد.

قوله: (جفَّ القَلَمُ بمَا هُو كَائِنٌ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ): كناية أن الله عز وجل قد فرغ من أمر العباد: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

قوله: (وَمَا أَخْطَأَ العبدَ): من الأرق، أو المصائب والمعاتب وغير ذلك، (لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَهُ): ليحصل له، (وَمَا أَصَابَهُ) من الأرق، أو المصائب والمعاتب وغير ذلك: (لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَهُ): ويفوته وهذا أيضًا من العقيدة الصحيحة في باب القدر، أن ما أصابك لم يكن ليتخلف عنك، وما أخطأك لم يكن ليأتيك، وإلا لو اجتمعوا علىٰ أن يمنعوه ما منعوه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، وذلك لمَّا قالوا وانتقدوا لماذا خرجوا مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

قوله: (وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ): وهذه عودة إلىٰ مسألة إثبات العلم ردًا علىٰ القدرية النفاة، الذين يزعمون أن الله لا يعلم إلا بعد حصول الشيء، ويقولون: أن الأمر أنف أو يزعمون أن الله عز وجل يعلم الكليات، ولا يعلم الجزئيات، فيقول: علىٰ العبد أن يعلم ويعتقد أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، سواء من الكائنات العلوية أو السفلية المرئية أو المستترة الكبيرة أم الصغيرة، فـ"كل" من ألفاظ العموم، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾.

قوله: (فَقَدَّرَ ذلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا): خلق كل شيء فقدره تقديرًا، قدر ما يصلحه وما يسبب فساده، وقدر ما يكون من شأنه التعلق بحياة ذلك المخلوق، وذلك الموجود صلاحًا وفسادًا وأمرًا ونهيًا وأكلًا وشربًا ونومًا وصحوًا وصحة ومرضًا وغير ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ أي: كله مقدر من عند الله عز وجل.

قوله: (لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ): ليس فيه: تقديره ناقض عما أراده الله عز وجل، (ولا مُعَقِّبٌ) معترض علىٰ الله عز وجل.

قوله: (وَلا مُزِيلٌ [وَلا مُحَوِّل] وَلَا مُغَيِّرٌ): لا يتغير شيء مما قد قدره الله سبحانه وتعالىٰ، ولو اجتمع من بأقطارها.

قوله: (ولا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ): كل شيء علىٰ ما أراد الله وكتبه وعلمه سبحانه وتعالىٰ؛ فهو المتصرف في هذا العالم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّه قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلّه قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّه قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، فالأمر أمره، والنهي نهيه.

قوله: (وَذلِكَ مِنْ عَقْدِ): أصول: (الإِيمانِ وَأُصُولِ المَعْرِفَةِ) يعني: الاعتراف بالقدر من عَقْدِ الإيمان الذي يجب أن يعتقده المسلم، ويعقد عليه قلبه، وينطق به لسانه.

وأصول **المعرفة** من أصول الإيمان التي ينبغي أن تُعرف وتستيقن.

قوله: (**وَالاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ**): لأن باب القدر من باب الإيمان، من حيث أنه يتعلق بأفعال الله عز وجل علمًا وإيجادًا وتقديرًا وخلقًا ومشيئة.

ولمَّا قسم شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ التوحيد في كتابه التدمرية، **قسمه إلىٰ قسمين: الأول**: توحيد الطلب، **والثاني**: توحيد العلم والمعرفة، وأدخل فيه.

قوله: (**كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾**): و"كل" من ألفاظ العموم فكل مخلوق خلقه الله عز وجل قد قدره تقديرًا محكمًا لا نقض فيه ولا زيادة، وقد قدر ما يكون من شأنه وما لا يكون.

قوله: (**وقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾**): فأمر الله كائن لا محالة، والشقي السعيد من لا محالة.

[فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا].

الشرح:

قوله: (**فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا**): هذا إخبار ودعاء، علىٰ من خاصم الله عز وجل في القدر، لما فعل؟ ولما لم يفعل؟ بل إنهم قد أوجبوا علىٰ الله وجل أن يفعل الأصلح للعبد، وهذا قول لم تُسبق إليه المعتزلة، فإن حديث



ابن مسعود رضي الله عنه في "الصحيحين" ردٌ عليهم ففيه: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ».

وفي رواية سهل بن سعد رضي الله عنه: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، أي: صلاح للعبد في هذا الحال؟ وأي دليل علىٰ أنه يجب علىٰ الله عز وجل أن يفعل الأصلح للعبد.

فالله عز وجل خلق الخلق علىٰ مقتضىٰ علمه وحكمته، فقدرهم علىٰ ذلك، فلا يجوز أن يخاصم الله عز وجل في قدره، لما هدىٰ فلان؟ ولماذا لم يهدِ فلان؟ كل هذه يذكرونها، للاعتراض علىٰ الله عز وجل.

فالذي يرد القدر كالمخاصم لله عز وجل. وفي حديث أبي هريرة في مسلم: قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}، وقال: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}.

❁ وخصام القدرية من عدة أوجه:

الأول: نفي العلم.

الثاني: نفي الكتابة.

الثالث: نفي المشيئة.

الرابع: نفي الخلق.

الخامس: الاعتراض علىٰ ما قدره الله عز وجل وقضاه، سواء كان بـ(لِمَ) وهو التعمق والسؤال، فيما لا يعني، أو إيجاب فعل الأصلح للعبد، أو غير ذلك من الفتن التي أحدثها المعتزلة ومن إليهم.

قوله: (**وأَحْضَرَ للنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا**): يعني: أنه ما خاض في هذا الباب، باب القدر إلا لما كان قلبه فاسدًا سقيمًا، وإلا لو كان قلبه مستيقنًا بخبر الله، مؤمنًا ممتثلًا لأمر الله، ما كان منه إلا أن يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

قوله: (**لَقَدِ التَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا**): أي: حين دخل هذا المبطل في باب القدر تعمقًا، وأراد أن يوجب علىٰ الله ما لا يجب عليه، وأراد أن يعترض علىٰ الله عز وجل فأصبح مخاصمًا (**التَمَسَ**) طلب: (**بِوَهْمِهِ**): توهمه وظنه (**فِي فَحْصِ الغَيْبِ**): والبحث عنه والاعتراض عليه: (**سِرًّا كَتِيمًا**) بحث عن سر مكتوم فعجز أن يصل إليه.

وهذا السر هو علىٰ مقتضىٰ علم الله، وحكمة الله، فأنت عقلك قد لا يصل إلىٰ كل، ما يجوز وما يجب في هذا الباب، وإنما علىٰ الإنسان الإيمان بأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد، وأن الله عز وجل: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، وأن أفعال الله عز وجل علىٰ مقتضىٰ حكمته وتقديره، وغير ذلك مما يذكر في هذا الباب.



فالخائض بغير حق يرجع أفاكًا أثيمًا كذابًا متحملًا للإثم العظيم، الذي لا ينفك عنه إلا بتوبة صادقة، إلىٰ الله عز وجل.

هذا ملخص كما يتعلق بهذا الباب العظيم باب القدر الذي زلت فيه أقلام وزلقت فيه أقدام.

ومما يذكر: أن غيلان الدمشقي كان قدريًا، فكان ينفي العلم والقدر وأفعال الله عز وجل، فدخل علىٰ عمر بن عبد العزيز، فقال له: عمر بن عبد العزيز ما بلغني عنك يا غيلان أنك تتكلم في القدر؟ قال يا أمير المؤمنين وجعل يعتذر، فقال له اقرأ صدر سورة "يس" أي: لتعلم أن ما أنت فيه من الأمر ضلال، فقرأ منها مثل قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ حَقّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الآيات، قال: والله يا أمير المؤمنين ما كأني قرأتها إلا اليوم.

ووجد فيها ما يتعلق بهذا الباب، وأنه باب مقرر في القرآن والسنة، فقال عمر رحمه الله: (إن كنت كاذبًا صلبك الله علىٰ باب دمشق)، فجعل هذا الرجل يتزين بزي أهل الإسلام حتىٰ كان موت عمر بن عبد العزيز وإذا به يعود إلىٰ مذهبه الرديء، فأخذه هشام بن عبد الملك، وصلبه علىٰ باب دمشق، وقطع يده ورجله من خلاف، فجعل الناس يمرون عليه، والذباب علىٰ يده ويقولون يا غيلان هذا بقدر؟ فيقول: لا، أي: وقع بتقدير الله عز وجل، وقد علمه الله عز



وجل وكتبه، فمن أعظم المخاصمين القدرية؛ حتىٰ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ.

وفي "مسلم" أنهم تماروا في القرآن، فأنكر عليهم ذلك، لكن زيادة عند ابن ماجة وغيره: انهم تخاصموا في القدر، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ»، فنهاهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الخوض في القدر.

[وَالْعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ حَقٌّ، كَما بَيَّنَ الله فِي كِتَابِهِ، وَهُوَ [جَلَّ وَعَلَا] مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلقَهُ].

الشرح:

قوله: (**وَالْعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ حَقٌّ، كَما بَيَّنَ الله فِي كِتَابِهِ**): هذه مسألة مهمة، وهي: **الإيمان بالعرش**، وأنه أكبر المخلوقات وأعلاها وأولها علىٰ الصحيح، وهو عرش عظيم كبير كما قال تعالىٰ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وسماه الله كريم: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، وواسع كما قال: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، بقراءة الكسر.

وهذا العرش علىٰ السماوات؛ فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه قَالَ: «**مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ**

إِلَىٰ الْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»[(١)].

وقد استوىٰ الله عز وجل عليه استواء يليق بجلاله، كما قال تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، مع استغنائه عنه.

ونؤمن بالكرسي العظيم الواسع، والعرش والكرسي جُرمان، مخلوقان عظيمان، وذهب المبتدعة إلىٰ أن الكرسي هو المُلك، وقال بعضهم: العلم، والعرش الملك، وهذا يُرد عليهم بمثل حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنه في "الصحيح"، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»، فأثبت النبي صلىٰ الله له قوائم وأثبت له ظلًا، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ»، وأثبت أنه محمول، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾، وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»[(٢)].

والعرش سقف للجنة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا

---

(١) "الرد علىٰ الجهمية" للدارمي حديث رقم: (٨١).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٢٧).



سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[١]، كل هذا يدل دلالة صريحة علىٰ أنه جرم عظيم، خلقه الله عز وجل.

والكرسي في العرش كحلقة في فلاة، ثم الكرسي أيضًا من أكبر المخلوقات، وهو غير العرش علىٰ "الصحيح"، فإن الكرسي كالمرقاة بين يدي العرش، وفسره ابن عباس رضي الله عنه، وأبو موسىٰ الأشعري بقوله: **"والكرسي موضع القدمين"**. وهذا مما لا مجال للرأي فيه، فله حكم الرفع، قال الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

وجاء أن السماوات والأرض في الكرسي كحلقة في فلاة، فنؤمن بذلك كله، ومما ينبه عليه أن في "صحيح البخاري"، تفسير الكرسي بالعلم، وهذا تفسير غير محفوظ عن السلف رضوان الله عليهم، وهو من الأخطاء والبخاري رحمه الله أخذ التفسير عن معمر بن المثنىٰ، ولعل عنده شيء من ذلك، ولم ينتبه لمثل هذا، وإلا فالبخاري يثبت العرش والكرسي علىٰ طريقة أهل الحديث.

قوله: (**وَهُوَ جَلَّ وَعَلَا مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُونَهُ**): أي: أن الله عز وجل لما استوىٰ علىٰ العرش، استوىٰ لحكمة أرادها، وليس أنه بحاجة إلىٰ العرش، فمن ظن أن الله عز وجل استوىٰ علىٰ العرش لحاجته علىٰ العرش فقد كفر؛ لأن العرش وحملة العرش محتاجون إلىٰ الله عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٢٣).



ثم إن الذي يحفظهم ويمسك العرش أن يزول ويتغير هو الله عز وجل، والذي قواهم علىٰ حمله هو الله عز وجل، فالله عز وجل هو الغني الحميد.

قوله: (**مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَفَوْقَهُ**): ونؤمن أيضًا أن الله عز وجل محيط بكل شيء، فهو الكبير العظيم، وفوقه وفوق العالم، قال تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، قال الله عز وجل: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾. وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أدلة غير هذه كثيرة.

والأحاديث كثيرة، منها: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم للجارية «**أَيْنَ اللَّهُ ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ"[١]، **ومنها**: حديث جابر عند مسلم في صفة الحج وأنه كان يشير بيده إلىٰ السماء ويقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، يرفع يده إلىٰ السماء ثم ينكتها إلىٰ الأرض.

قوله: (**وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلقَهُ**): قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، وقال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، أي: لا يحيطون بصفاته ولا بأسمائه ولا بذاته، بينما هو قد أحاط بهم سبحانه وتعالىٰ، لا يفوته منهم فائت ولا يعزب عنه شيء.

---

(١) أخرجه مسلم.

وقد ذكر ابن أبي العز من أدلة العلو عشرين نوعًا من الأدلة، فكل أدلة الفوقية والعروج والاستواء والنظر والنزول والرفع إليه والعلو وما إلىٰ ذلك دالة علىٰ علو الله عز وجل علىٰ عرشه.

والمبتدعة كعادتهم عطلوا هذه الصفة تعطيلًا عظيمًا، حتىٰ زعم بعضهم أنه في كل مكان بذاته، وزعم بعضهم أنه كل شيء، **والفرق بين القولين:**

- أن **الحلولية** جعلوا لله ذاتًا حلت في مخلوقاته.

- **والاتحادية** لم تجعل له ذاتًا مباينة لمخلوقاته، بل زعمت أنه متحد بمخلوقاته كاتحاد الماء باللبن، بحيث لا يتمايز الذات الإلهية عن الذات المخلوقة، وكلا القولين كفر، ومأخوذ من النصارىٰ النسطورية واليعقوبية، الذين يزعمون أن الله اتحد أو حل في عيسىٰ عليه السلام، وربما جاءوا لبدعتهم ببعض ما يظنونه أدلة وليس كذلك، فمن ذلك آيات المعية، كما قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّه يَعْلَمُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنّ اللّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]، **فقالوا:** الآية صريحة؛ بأنه معهم، لكن يقال لهم: ماذا تعني كلمة (معهم) في لغة العرب، وفي سياقة كلامهم؟ فإن القرآن يفسر بدلالة اللغة العربية، مع الدلالة الشرعية، فإن

كلمة "مع" لا تدل علىٰ اختلاط ولا اتحاد وإنما تدل علىٰ مطلق مصاحبة، وكل شيء بحسبه، فتقول القلم معي وهو في جيبك، وتقول زوجتي معي وهي في البيت وأنت في المسجد، وتقول: القمر معي، والقمر في السماء، فهو معنا وهو علىٰ عرشه، فإذا كان القمر من مخلوقات الله عز وجل يقال فيه القمر معي، وهو في السماء وأنت في الأرض، ولم يلزم شيء من اللوازم الباطلة؟.

فمن باب أولىٰ التباين الحاصل بين الخالق والمخلوق.

❁ ثم إن المعية من حيث هي تنقسم الى قسمين:

القسم الأولى: **معية عامة**، وهي المذكورة في هذه الآية.

وأيضًا مما رد به الآجري وغيره من أهل العلم: أن هذه الآية افتتحها الله بالعلم، وختمها بالعلم، فدلّ علىٰ أن المعية معية علم، وآية الحديد، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فدلَّ علىٰ أنها معية علم وبصر، إذ ختم الآية بالبصر، وذكر في سياقها العلم، فهذه هي المعية العامة: معية الله عز وجل لعباده بعلمه، وبصره، وسمعه، وإحاطته، وسلطانه، وقهره وغير ذلك من خصائص ربوبيته.

وإذا فسَّر أهل السُنة المعية العامة بالعلم، إنما للرد علىٰ المبتدعة، وإلا فهي تقتضي أكثر من ذلك، تقتضي ما يتعلق بربوبية الله عز وجل من علم وسمع وقدرة وسلطان، وغير ذلك من الخصائص.

القسم الثاني: **معية خاصة**، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، وهذه تقتضي مع علم الله عز وجل بعباده، النصر والتأييد وغير ذلك من خصائص المعية الخاصة، وقد ذكر الله عز وجل في القرآن **منها نوعين**:

النوع الأول: **معية خاصة بوصف**.

النوع الثاني: **معية خاصة بشخص**.

- **أما المعية الخاصة بالوصف**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، هذه خاصة بمن صفته هذه.

- **وأما المقيدة بشخص** فمعية الله عز وجل لموسىٰ وهارون، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، ومعية الله عز وجل لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، ولأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

واستدل المبتدعة بأدلة زعموا أنها لهم وهي عليهم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، **قالوا**: الله عز وجل في السماء بذاته، وفي الأرض بذاته، وللعلماء في هذه الآية جوابات:

الأول: أن (إله) بمعنىٰ: معبود فيكون معنىٰ الآية: وهو الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود.

الثاني: أنه في السماء إله موجود، وفي الأرض إله معبود كما في قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ **قالوا**: يوقف علىٰ السماوات وهو الله، في السماوات أي: علىٰ السماوات، ثم جملة استئنافية وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، فتكون الآية رد عليهم.

المهم: لن تجد المبتدعة دليلًا لهم علىٰ ما ذهبوا إليه، من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا لغة، ولمَّا عجزوا عمدوا إلىٰ تأويلات فاسدة وأراء كاسدة، قالوا نحن ما ننفي علو الله، وكيف ننفي قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، وننفي فوقية الله عز وجل، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

لكن معنىٰ العلو هنا؛ علو القدر والقهر، أي: أن الله عز وجل قاهر لعباده، وقدره أعلىٰ منهم، فكان الجواب أن أهل السنة والجماعة، يثبتون جميع أنواع العلو الثلاثة: علو القدر والقهر وعلو الذات.

ثم إن قولهم: (الله فوق مخلوقاته)، **بمعنىٰ**: أنه أعلىٰ قدر منهم، هذا فيه تنقص لله عز وجل، لو قيل محمد صلىٰ الله عليه وسلم أفضل من اليهودي هذا مدح و إلا ذم؟

هذا ذم وتنقص إذ كيف يقارن بين محمد صلىٰ الله عليه وسلم الذي هو أفضل البرية وأزكىٰ البشرية بيهودي.

أو لو قيل: بأن الذهب فوق قشر البصل لكان ذمًا، وقد قيل: **(ألم ترَ أن السيف ينقص قدره) إذا قيل**: أن السيف أمضىٰ من العصا.

فكيف يقولون الله فوق مخلوقاته، بمعنىٰ أنه أفضل منهم وأعلىٰ منهم من هذه الناحية؟ فالله عز وجل لا يقارن بمخلوقاته، فالفوقية هنا علىٰ ظاهرها، وأنه فوقهم بذاته سبحانه وتعالىٰ.

ومن **شُبههم**: لمَّا استدل عليهم أهل السُنة والجماعة بأن الإنسان يرفع يديه إلىٰ السماء حال الدعاء، دليل علىٰ أن الله عز وجل في العلو، قالوا لا، السماء قبلة الدعاء، كما أنك عندما تقوم تصلي أين تتجه؟ تتجه إلىٰ الكعبة قالوا: إذًا الدعاء يكون الأيدي مرفوعة إلىٰ السماء، فكان لأهل السنة علىٰ هذا عدة أجوبة:

الجواب الأول: أن قبلة الدعاء هي الكعبة، وقد ثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، في أحاديث متكاثرة أنه كان إذا أراد أن يدعو توجه إلىٰ الكعبة ودعاء.

الثاني: أن لو كانت السماء قبلة الدعاء للزم الداعي أن يستلقي علىٰ ظهره ثم يدعو، وهذا لا قائل به.

الثالث: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»، وفي رواية: «**وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[1].

فرغبَّ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الدعاء في حال السجود، مع أن المصلي مستدبرًا للسماء فسد عليهم هذا الاستدلال.

---

(١) أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه.

ويُذكر: أن أبو جعفر الهمداني رحمه الله، جاءه رجل من الأشاعرة وهو الإسفراييني، فجعل يذكر تأويلات فاسدة لرد مسألة العلو، فقال له: دعني منك يا إسفراييني وأخبرني بالضرورة التي يجدها كل إنسان في نفسه إذا أصابه شيء تعلق قلبه بالسماء.

يعني: أخبرني بما فطر الله عز وجل الناس عليه: من أن قلوبهم تتعلق بالسماء، حتىٰ الحيوان عند حصول الزلازل يصيخ برأسه إلىٰ السماء، كأنه ينتظر الفرج من السماء، فهكذا الإنسان إذا ضاق حاله يشعر أن الفرج يأتيه من السماء، فعند ذلك جعل الإسفراييني يضرب في رأسه ويقول: حيرتني يا همداني حيرتني يا همداني.

نعم فأدلة العلو (شرعية، وعقلية، وفطرية): أما الدليل العقلي: ما هو إلا علو وسفل، والعلو كمال والسفل نقص، فأيهما أحق أن يكون ثابتًا لله عز وجل ؟

الجواب: العلو فهذا دليل العقلي.

- **والدليل الفطري**: ما تقدم بيانه في قصة الهمداني مع الإسفراييني.

والدليل الحسي؛ أننا نحس ونجد أن الفرج وأن النصر وأن التمكين يأتي دائمًا من جهة السماء، فينزله الله عز وجل من عنده، وقد رددنا علىٰ قولهم: بأن السماء قبلة الدعاء ولهم غير ذلك.

ومن الأدلة علىٰ العلو: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»(١).

وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول في سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»؛ وذلك أن هذا الموطن موطن سفل بالنسبة للإنسان، فناسب أن ينزه الله عز وجل عن هذا الأمر، كما قال الله عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾.

وذُكِرَ: أن بِشر المريسي لعنه الله كان إذا صلىٰ يقول: سبحان ربي الأسفل، فِرارًا من إثبات العلو، قاتله الله.

فهذه مسألة من مهمات الدين، والمخالف فيها كافر، فمن زعم أن الله عز وجل في كل مكان بذاته أو زعم أن الله اتحد بشيء من مخلوقاته أو حل في شيء من مخلوقاته فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة، حلال الدم، يجب علىٰ أولياء الأمور أن يقيموا عليه حد الردة حتىٰ يتوب إلىٰ الله عز وجل من هذه الأقوال الردية السيئة.

بقي مسألة: وهي الكلام علىٰ قول الله عز وجل: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، فلا يظن الظان أن السماء تظله أو تقله أو كذلك حين يقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»؟

---

(١) متفق عليه.

ينبغي أن يصان عن الفهم السقيم، وهو أن يعتقد الإنسان: أن السماء تظله أو تقله، فالله عز وجل أعظم وأجل، إذا كان كرسيه وسع السماوات والأرض، والكرسي ما هو في العرش إلا كحلقة في فلاة، فكيف يُظن هذا الظن؟ ولكن معنىٰ ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾: من علىٰ السماء أو يقال للعلماء **فيها قولان**:

الأول: أن في بمعنىٰ علىٰ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: من علىٰ السماء، مع أنني وجدت بعض أهل العلم ينفي أن أحرف الجر تتناوب، لكن هذا هو المعنىٰ. قال الله عز وجل: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، أي: علىٰ مناكبها، وقول الله عز وجل مخبراً عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: علىٰ جذوع النخل.

الثاني: أن السماء بمعنىٰ العلو.

وقوله: (**وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلقَهُ**): كقوله تعالىٰ: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، كما لا يحيطون به ذاتًا، قال تعالىٰ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾، وقال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ﴾، فالله عز وجل موصوف بصفات الجلال والكمال والعظمة والكبرياء، فمهما قال الإنسان فإنه عاجز.

وهذه المسألة من أمهات المسائل، ويخالف فيها الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والخوارج والروافض، ومن نحىٰ نحوهم، حتىٰ أن الأشاعرة لا يثبتون العلو، ولذلك يثبتون الرؤية يوم القيامة، وقالوا: لا في جهة، كما تقدم.

[وَنَقُولُ بِإنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبراهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيمًا، إيمانًا وتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا].

الشرح:

قوله: (وَنَقُولُ بِإنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبراهِيمَ خَلِيلاً): أي نقول: بما قال الله عز وجل به، وبما قال به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، فيجب أن نؤمن بهذا، والخلة أعلىٰ درجات المحبة، وهي صافي المحبة حتىٰ قال بعضهم:

قد تخللتَ مسلك الروح مني وبذا سُمي الخليل خليلًا

والله عز وجل موصوف بالمحبة والخلة والود، وغير ذلك من الصفات، وقد اتخذ الله عز وجل محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، كما في الحديث الذي هو مخرج في "صحيح مسلم"، عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبل موته بخمس: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا».

وقد كفَّرَ السلف الجهم بن صفوان حيث زعم: أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسىٰ تكليمًا، وهذا منه طعن في الله عز وجل، إذ أنه يعطله مما دلت عليه النصوص الشرعية، التي قالها ربنا سبحانه وتعالىٰ، وقالها نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، ويعبر عن محمد صلىٰ الله عليه وسلم وإبراهيم بالخليلين.

وأما ما تقدم من وصفه محمد صلىٰ الله عليه وسلم بأنه حبيب رب العالمين، فقد انتُقدت عليه، لأن مبناها علىٰ حديث ضعيف.

وهذا مؤداه إلىٰ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أدنىٰ رتبة من إبراهيم عليه السلام مع اعتقادنا أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والمرسلين.

قوله: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيمًا): الكلام في لغة العرب معروف، وقد سلك أهل البدع مسالك عدة، في تحريف هذه الآية، حتىٰ طلب بعضهم من أبي عمرو بن العلاء أن يقرأها: (**وَكلمَّ اللهَ موسىٰ تكليمًا**)، بفتح لفظ الجلالة، حتىٰ يكون مفعول به مقدم، ويكون موسىٰ هو المكلِم، والله عز وجل هو المكلَم، فكان الرد عليهم من أوجه:

- منها: أن الله عز وجل أكد الكلام بالمصدر فقال: ﴿تَكْلِيمًا﴾، حتىٰ لا يدخله المجاز علىٰ حد قولهم في هذا الموطن، ثم هب أن هذه الآية قُرأت علىٰ هذا الوجه، فما القول في قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فهذا دليل صريح ليس فيه لبس أن المكلِم هو الله سبحانه وتعالىٰ، وكم هي الآيات التي بين الله عز وجل فيها أنه كلم موسىٰ فناداه وناجاه، قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

والمناداة بصوت مرتفع، والمناجاة بصوت خافت، والأدلة علىٰ كلام الله عز وجل لموسىٰ كثيرة: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

وذكر المصنف رحمه هذين الأمرين في موطن واحد للرد علىٰ الجهمية الذين يعطلون الله عز وجل من صفاته.

- **ومن أعجب ما ذُكر في هذا**: أن بعضهم كان يقرأ سورة القصص، فلما أتىٰ علىٰ ذكر ما قصه الله عز وجل من تكليمه لموسىٰ ركل المصحف، فقال: وهنا أيضًا، فكانوا يكرهون، الأحاديث والآيات التي فيها وصف الله عز وجل، حتىٰ رؤي بعضهم في المنام، وهو يقول: لوددت أني أحك هذه الآية من المصحف، بحيث لا توجد ولا تقرأ، حتىٰ يعطل الله عز وجل من صفاته، ولا يوجد من يرد عليهم، وقد حرفوا قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، **قالوا**: المراد بـ(كلم) جرح بأظافير الحكمة، وهذا كلام مبني علىٰ التأويل الباطل.

قوله: (**إيمانًا**): والإيمان هو الإقرار علىٰ القول الصحيح من أقوال أهل العلم وليس هو التصديق المجرد، فالتصديق المجرد لا يكفي، ولا ينفع علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله.

وقوله: (**وتَصْدِيقًا**): بما أخبر الله عز وجل به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، (**وَتَسْلِيمًا**): أي: انقيادًا لخبر الله عز وجل وخبر رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، بغير معارضة ولا رد.

[وَنُؤْمِنُ بالمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الحَقِّ المُبِينِ].

الشرح:

بعد أن تكلم رحمه الله علىٰ كثير من المسائل المتعلقة بالإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ، ثنىٰ بالإيمان بالملائكة، والإيمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة واليوم الآخر والقدر، مع ما تقدم من الإيمان بالله هي أركان الإيمان الستة، المذكورة في حديث عمر بن الخطاب الذي انفرد به مسلم، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فهذه مراتب الدين، إذ أن في آخر الحديث، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ، يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».



قوله: (**وَنُؤْمِنُ بالمَلَائِكَةِ**): أي: نقر بوجودهم وبما لهم من الصفات والأحوال، **والإيمان بهم يكون علىٰ أوجه:**

الأول: أن نؤمن بأنهم خلق من خلق الله عز وجل، وليست قوىٰ خير كما يقول الفلاسفة ومن إليهم، بل هم خلق خلقهم الله عز وجل من نور، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**». أخرجه مسلم في "صحيحه" عن عائشة رضي الله عنها.

الثاني: أن نؤمن بما وصفهم الله عز وجل في كتابه الكريم من صفات عظيمة جليلة، ومنها أنهم عباد مكرمون، وأنهم ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وأن منهم الصافون ومنهم المسبحون، ومنهم: ﴿الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، ومنهم: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾.، ومنهم: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾، ومنهم: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إلىٰ غير ذلك، مما ذكره العلماء.

وهذه أحد الأوجه في تفسير هذه الآيات علىٰ أن المراد بهم ملائكة الله سبحانه وتعالىٰ، وهم خلق عظيم لا يعلمه إلا الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾، فجنود الله عز وجل لا يعلمهم

إلا الله حتىٰ جاء في حديث المعراج: «هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ».

ومنهم الأملاك العظيمة المسخرة والمهيأة لِما هو من أسباب الحياة، والمقدم عليهم جبريل عليه السلام، و**ميكائيل**، و**إسرافيل**، وقد توسل نبينا صلىٰ الله عليه وسلم بربوبية الله عز وجل لهم إلىٰ ربهم: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[١].

- ومن كفر بملك من الملائكة أو عاداهم كفر بهم جميعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

- **ونؤمن** بما سمىٰ الله عز وجل منهم كـ(**جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، خازن النار**)، وبما سمىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم منهم: (**مُنكر ونكير**).

- **ونؤمن أن**: الملائكة هم الذين وكلَ الله عز وجل إليهم تصريف العالم العلوي والسفلي، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ» الحديث عن أبي ذر، وفيه كلام لكنه في الباب، وهم مع ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

ويقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»[(١)]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ السَّابِعَةَ وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتُ؟ وَأَيْنَ تَكُونُ»، وهو مخرج في "الصحيح المسند" لشيخنا مقبل رحمه الله.

وقد رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، جبريل علىٰ هيئته التي خلقه الله عز وجل عليها وله ست مئة جناح، سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم:١٣-١٤].

- **وهم خلق عظيم**، قال تعالىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

- **ونؤمن بهم إجمالًا**، فمنهم الكرام الكاتبين، ومنهم الحافظين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وقال: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف الجميلة الجليلة في كتاب ربنا وسنة نبينا صلىٰ الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود.

وقد قرنَّ الله عز وجل الإيمان به مع الإيمان بهم في مواطن من كتابه، فقال تعالىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾، الآية، وقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا﴾، والكلام عليهم يطول، وقد صنفت فيهم مصنفات مطولة ومختصرة.

وقوله: (وَالنَّبِيِّينَ): **وكذلك من الإيمان**: الإيمان بالنبيين، وأنهم منبأون من الله عز وجل، وأفضلهم المرسلون، الذين أرسلهم الله عز وجل إلىٰ خلقه، يدعونهم إلىٰ عبادة الله وتوحيده، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

- **والنبي والرسول بينهما عموم وخصوص**، فكل رسول نبي ولا عكس، فالرسول أشرف وأكرم.

وقيل في التفريق بينهم: أن الرسول من أوحي إليه بشرع، والنبي من كان كالمجدد لشرع الرسول الذي قبله.



ـ **ومما قيل في ذلك**: أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهذا القول عليه انتقاد؛ لأن الله عز وجل قد أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب علىٰ البيان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، فإذا كان الله عز وجل قد أخذ الميثاق علىٰ أحد المؤمنين بتبليغ دين رب العالمين سبحانه وتعالىٰ، فكيف لا يكون الأنبياء قد دخلوا في هذا المعنىٰ العظيم، إلا أن الأحسن أن يقال: بأن الرسل هم الذين أوحىٰ الله عز وجل إليهم بشرع جديد، والأنبياء يتعبدون لله عز ويبلغون الدين الذي جاء به الرسول السابق.

وأفضلهم خمسة "أولو العزم من الرسل" الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وهكذا هم المذكورون في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

وأفضلهم محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ثم إبراهيم عليه السلام، ثم موسىٰ عليه السلام، ثم نوح وعيسىٰ عليهم السلام جميعًا.

ونؤمن بما أخبرنا الله عز وجل من أسمائهم وصفاتهم، قال الله عز وجل: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، فهم عدد كثير، ذكرهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم في سنته، أنهم ثلاثمئة وأربعة عشر رسول، أو كما قال صلىٰ الله عليه وسلم.

وأما الأنبياء فهم عدد كثير، فوق المئة ألف.

وما أرسل الله عز وجل من رسول إلا أنزل معه كتاب، كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

وكان كل نبي يبعث الىٰ قومه خاصة، إلا أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم بعث إلىٰ الأحمر والأسود، وبعث إلىٰ الناس كافة كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وأما قول أهل المحشر ونقله النبي صلىٰ الله عليه وسلم مقرًا له، لنوح: «ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ»[1]، فليس معناه: أن رسالة نوح كانت عامة كرسالة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ولكن فيه: أن نوح عليه السلام، كان قومه هم أهل الأرض في ذلك الحين.

ومن الإيمان بالأنبياء: الإيمان بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، وأنه رسول الله وأنه خاتم النبيين، قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، وأنه رسول الله إلىٰ الناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، والأحاديث في ذلك كثيرة منها: حديث جابر وما في بابه، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «وَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»، وفي رواية: «بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ».

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٤٧٦) عن أنس رضي الله عنه.

وهكذا إرسال النبي صلىٰ الله عليه وسلم رسله برسالات إلىٰ المقوقس وإلىٰ هرقل وإلىٰ النجاشي وإلىٰ كسرىٰ وإلىٰ غيرهم من الملوك والأمراء يدل علىٰ أن رسالته عامة، إذ لو كانت خاصة لردوا عليه دعوته، وقالوا له أنت رسالتك إلىٰ العرب خاصة.

وكذلك إيمان كثير من أهل الكتاب به صلىٰ الله عليه وسلم، حتىٰ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١)، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَآمَنَ بِيَ الْيَهُودُ»(٢)، وفي رواية: «لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ».

والمراد بهم عشرة من رؤوسهم، الذين كانت ترجع إليهم الفتوىٰ في بني إسرائيل وكانوا من علماء التوراة، فلو آمنوا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ لاتبعهم عوام اليهود والنصارىٰ، ولكنهم أبوا إلا الكفر والعناد بغيًا وحسدًا مع علمهم به صلىٰ الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾.-

والإيمان بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم **يتضمن أربعة أمور:**

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأول: تصديقه فيما أخبر، من أمور الغيب الماضية والمستقبلة، ويدخل فيها الإيمان باليوم الآخر، وما فيه مما قصه النبي صلىٰ الله عليه وسلم علينا.

الثاني: طاعته فيما أمر، وهذا هو رحىٰ الأمر وهو الاتباع، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، في آيات كثيرات.

الثالث: الانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر، وهذا أيضًا من الايمان به، أن الإنسان ينتهي عما نهىٰ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحذر منه ويمتثل ذلك في قلبه، وأن قدر أنه وقع في مخالفته بجوارحه، فعليه أن يتوب إلىٰ الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[(١)].

الرابع: أن يعبد الله عز وجل إلا بما شرع، فمن عبد الله عز وجل بما غير ما شرع محمد صلىٰ الله عليه وسلم، رُدت عليه عبادته، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.



وفي حديث العرباض بن سارية عند أبي داود: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

ويقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

فمن تعبد لله عز وجل بغير إخلاص فعبادته مردودة عليه، ومن تعبد لله عز وجل بإخلاص بغير متابعة فعبادته مردودة عليه، ومن تعبد لله عز وجل بإخلاص ومتابعة، فعبادته مقبولة، فهنا أصناف رجل: يتعبد بإخلاص فقط، أو رجل يتعبد بالمتابعة فقط، كلاهما عمله مردود، أو رجل يتعبد بدون إخلاص ولا متابعة، فعمله مردود، ثلاث أصناف، ورجل يتعبد لله عز وجل بالإخلاص والمتابعة فعمله مقبول.

قوله: (والكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ): أي: ونؤمن أيضًا بالكتب المنزلة علىٰ المرسلين، كما تقدم، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، وهذا دليل علىٰ أن الأنبياء لم تأتهم كتب، وإنما يأخذون كتب أسلافهم من الرسل، فيبلغونها ويتعبدون لله عز وجل بها، ومع ذلك يوحي

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.



الله عز وجل إليهم بما أشار، ومنهم من كلم الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

والكتب المنزلة كثيرة منها ما لا يعلم، وما علم منها فقد غير وبدل إلا ما كان من القرآن كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسىٰ، التي أخبر الله عز وجل أنه قد حرفها اليهود والنصارىٰ، وتلاعبوا بأدلتها ونصوصها، علىٰ وفق ما يريدون، يحلون ويحرمون ما أرادوا، قال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، بينما كتاب الله عز وجل حفظه الله من تحريف الغاليين وتأويل المبطلين، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

- ومن الإيمان بالكتب، الإيمان بالقرآن: وأنه منزل من عند الله، وأنه كلامه ووحيه، وأنه كتاب ناسخ لما قبله من الكتب ومهيمن عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

- وأنه الكتاب المحفوظ بحفظ الله عز وجل له، وأنه الكتاب الذي بين الله عز وجل فيه خصائص هذا الدين، من الشمول والتمام والكمال والبقاء إلىٰ غير ذلك.

قوله: (وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الحَقِّ المُبِينِ): نقر ونخبر أن رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا علىٰ الحق الذي أنزله الله عز وجل البين الواضح،

فما أحدثوا في دين الله ولا غيروا ولا بدلوا، وأنهم عبيد لله عز وجل، ما أمرهم الله عز وجل به عملوه، وما نهاهم الله عز وجل عنه انتهوا عنه، وشهادتنا لهم بأمر الله عز وجل، وبأمر رسوله صلىٰ الله عليه وسلم قام في أعظم المواقف يقول: **«أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»**، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: **«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟»** قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلَىٰ النَّاسِ: **«اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»**. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)].

وقد قال الله عز وجل: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، يأتي يوم القيامة بنوح عليه السلام فتنكر أمته أنه جاءهم بشير ونذير، فيقال لنوح عليه السلام، من يشهد لك؟ فيقول أمة محمد، كما في حديث أبي سعيد عند البخاري، فهذه شهادة من أمة محمد للناس جميعًا بأن رُسل الله عز وجل قد بلغوا البلاغ المبين، وأدوا ما أوجب الله عز وجل عليهم من البلاغ، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، والله الموفق.

---

(١) أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

[وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم مُعْتَرِفِينَ، ولَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ غَيرَ مُنْكِرِين].

الشرح:

قوله: (**وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ** صلىٰ الله عليه وسلم **مُعْتَرِفِينَ، ولَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ غَيرَ مُنْكِرِين**): هذه الجملة مما يُنتقد علىٰ المصنف رحمه الله، وذلك من جهة أنه جعل الاعتراف والتصديق إثبات للإيمان والإسلام، والصحيح ما سيأتي بيانه عند كلامنا علىٰ الإيمان، فالقول بأن الإيمان هو المعرفة فقط قول الجهمية، والقول بأن الإيمان هو التصديق فقط قول الماتريدية، والقول بأن الإيمان النطق والتصديق شيءٌ زائد قول الكرامية، والقول بأن الإيمان نطق وتصديق هو قول مرجئة الفقهاء.

فالإيمان عند أهل السنة: قول باللسان واعتقاد بالجَنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص المعصية.

فلو قال: (**ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي صلىٰ الله عليه وسلم مقرين**)، لكانت الجملة صوابًا؛ لأن الإقرار تصديق وزيادة، وهو الانقياد؛ بما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة.

وتصديق النبي صلىٰ الله عليه وسلم من الأمور المهمة، فقد تقدم أن من معاني شهادة أن محمدًا رسول الله تصديقه فيما أخبر، وهو الصادق الأمين، لكن التصديق إن لم يقارن بالانقياد لا يكفي.

فكم من اليهود الذين كانوا يصدقون النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولكنهم لم ينقادوا لشرعه ودينه، فكانوا من الكافرين، بل إن أبا طالب ما منعه من الإيمان التكذيب، وإنما منعه مخافة المذمة والتعيير، وإلا فقد روي عنه:

وَلَقَد عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ❁❁ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري مسبَّة ❁❁ لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينًا

[وَلا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلا نمَارِي فِي دِينِ اللهِ].

الشرح:

قوله: (**وَلا نَخُوضُ فِي اللهِ**): **الخوض في الله عز وجل ذاتًا أو صفاتًا بغير علم**، أو بحث عن الكيفية، كل هذا من المنهي عنه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾، فالقول علىٰ الله عز وجل بغير علم من أسباب ضلال الأمم، سواء كان القول في باب الإثبات أو في باب النفي، فإن باب الأسماء والصفات باب توقيفي، لا مجال للعقل فيه، وقد أُمرنا بالتفكر في مخلوقات الله عز وجل؛ لأن التفكر في مخلوقات الله عز وجل من المقدور، إذ أنها مرئية أو مسموعة أو غير ذلك، وأما التفكر في الذات فقد يجر إلىٰ ما لا يحمد عقباه، ولهذا تعاظم الصحابة رضوان الله عليهم الكلام في هذا الباب حتىٰ جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه: قالوا يا رسول الله إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي

نَفْسِهِ - يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ - لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في "صحيح مسلم": «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»[٢]، وفي حديث ابن مسعود: «تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»[٣].

وأنه قد جاء النهي بعدم التفكر في ذات الله، وإنما يكون التفكر في مخلوقات الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، ثم إن من ضلَّ في باب الأسماء والصفات إثباتًا أو نفيًا، **إثباتًا**؛ كالممثلة والمكيفة، ونفيًا كالجهمية والمعتزلة ومن إليهم، تجد أنه بسبب الخوض فيما لا يعني، وسلوك غير سبيل المؤمنين حيث يقولون: يلزم كذا ولا يلزم كذا، ولسان حاله ومقاله: وإن أثبتنا أنه يسمع أو يبصر أو يتكلم مثلناه بالموجودات، فوقعوا في التعطيل، وأولئك قالوا: ما نعلم إلا ما يماثل صفات المخلوقين، فوقعوا في التمثيل.

قوله: (وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ): أي: ولا نُخاصم في دين الله، فالمِراء في الله عز وجل وفي دينه، من أعظم أسباب الضلال، والانحراف عن دين الإسلام، وقد

---

(١) أخرجه أحمد.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٩-(١٣٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٢١١-(١٣٣).



نهىٰ الله عز وجل عنه، بل وصف قريشًا به، كما قال تعالىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، أي: كثيري الخصومة والجدل، بينما المؤمن يسارع إلىٰ الانقياد والاستسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ فاستجابوا فهذا هو دينهم الاستجابة لله وللرسول صلىٰ الله عليه وسلم، ويقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»[(١)]، فما بالك إذا كان المراء بباطل أو كان مجادلة مع المبتدعة، ولذلك حرم السلف مناظرة أهل البدع لما يجر إليه المراء معهم من الشبه وأسباب الانحراف نسأل الله السلامة.

وقال عمر بن عبد العزيز: (مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ)[(٢)]، وعن عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: (الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ)[(٣)]، وسبب ضلال جهم مجادلة السمنية، وقصتهُ مشهورة في ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٠٠)، والترمذي بنحوه.

(٢) أخرجه الدارمي حديث رقم: (٣٢٤) عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ.

(٣) "الشريعة" للآجري.

[وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَعلمُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صلىٰ الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وَكَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ].

الشرح:

قوله: (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ): أي: بغير علم، أو برد دلالته وتكذيبه ونحو ذلك، وأما المجادلة لإظهار الحق، فقد تجب وتتعين، قال الله عز وجل: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فقوله: ﴿إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: دليل علىٰ جواز المجادلة للمبطل لإظهار الحق وإحقاقه، ولرد الباطل، لكن بما يكون من شرع الله عز وجل ووحيه، فلا تجادلهم بعلم الكلام، لأنه يؤدي إلىٰ الانحراف والكلام.

ووقد سلك هذا المسلك: محمد بن عبد الله بن كلاب المتوفي سنة (٢٤١هـ) أراد أن يرد علىٰ المعتزلة، فوقع في بدعتهم من حيث لا يشعر؛ لأنه رد عليهم بعلم الكلام، ولو أنه استخدم الأدلة الشرعية فرد عليهم لألزمهم، لكن جعل يخوض في علم الكلام حتىٰ وقع في التعطيل مثلهم، وربما وقع في الاضطراب، ولذلك تجد من المعتزلة تشنيعًا علىٰ الأشاعرة ومن إليهم، من اتباع ابن كلاب، بسبب أنهم جاؤوا بأقوال لم توافق المعتزلة في ضلالهم، ولم توافق أهل السنة



في حقهم، وإنما جاءوا ببدع أحدثوها لأنفسهم فيها التناقض والتعارض، ومن ذلك قولهم: بأن الله يرىٰ لا في جهة.

وهكذا قولهم: إن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله سبحانه وتعالىٰ وتفسيرهم كثيرًا من الصفات بإرادة كذا، والإرادة اللازم، فيقعون في الضلال البعيد، وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: خرج علىٰ الصحابة وهم يجادلون في القرآن فغضب، حتىٰ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ - أَوْ: بِهَذَا بُعِثْتُمْ؟- أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا» أو كما قال صلىٰ الله عليه وسلم.

وفي "الصحيحين" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَىٰ غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أَقْرَأَنِيهَا، فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّىٰ انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَىٰ غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ»، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ». ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ؛ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»، أخرجه مسلم.

ووقع في أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه، قال: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَىٰ قَرَاءَةِ صَاحِبِهِ،

فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَىٰ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَرَأَ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَىٰ اللهِ عز وجل فَرَقًا، فَقَالَ لِي: **«يَا أُبَيُّ، أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»**، أخرجه مسلم.

فالشاهد: أن القرآن إن لم يُحكم بحيث يُؤخذ تفسيره ودلالته عن السلف رضوان الله عليهم، قد يكون من أعظم أسباب الانحراف عن دين رب العالمين.

ولذلك تجد أن أهل البدع يحتجون بالقرآن ولا يحتجون بالسنة، لأن السنة مبينة للقرآن وموضحة له، ويُخصمون إذا استعملوها، لأن السنة فعل النبي صلىٰ الله عليه وسلم، والسُنة إجماع الصحابة رضوان الله عليهم، وفهمهم لهدي النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهي الطريق الذي صار عليه السلف.

أما القرآن مع أنه كلام الله عز وجل إلا أن المبتدع يأخذ منه إجمالًا ويستدل به علىٰ باطله، في كثير من الأمور؛ **ولهذا روي عن عمر أنه قال: (إِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ؛**

فَإِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَعُوهَا وَتَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ)[(١)].

وقد ألفَّ الإمام أحمد في رده علىٰ الجهمية كتابًا في الدفاع عما اعتبره المبتدعة من تناقضات القرآن، فجعلوا يطعنون في القرآن بسبب آيات منه زعموا أنها متناقضة، وهذا لجهلهم وباطلهم، مثل قول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾، وقول الله عز وجل: ﴿قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقول الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ فاعتبروا هذا من التناقض، وهذا لجهلهم بدين الله، ولجهلهم بلغة العرب، وإلا فانه لا تناقض.

وهكذا مثل قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾، وفي الآية التي بعدها: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

قالوا: وهذا تناقض، وهذا كله بينَّه العلماء وذلك: ألا تعارض بين الأدلة، فإن القرآن مُنَزْلٌ من عند الله عز وجل: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وإنما تختلف المعاني من حيث السياقة فقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، المراد به: مشرق الشمس ومغربها، و﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، المراد به: الصيف والشتاء، وقوله: ﴿وَرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ المراد به: مطالع الشمس وغروبها في كل يوم، فإنها تطلع من مطلع وتغرب في مطلع، حتىٰ تنتهي السَنة.

---

(١) أخرجه ابن بطة في "الإبانة"، والآجري في "الشريعة".

وهكذا قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ إثبات صفة اليد لله عز وجل، والمفرد إذا أضيف عمَّ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾، المراد أنه علىٰ التعظيم، وليس لله عز وجل أكثر من يدين.

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾؛ إثبات يدين حقيقيتين لله عز وجل تليق بجلاله، وهكذا في كثير من آي القرآن.

وقد ألفَّ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، وهو كتاب مفيد.

وقد أُلِفَّ قديمًا نحو هذه الكتب، للرد علىٰ المبتدعة الذين يشككون في دين الله عز وجل.

قوله: (**وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلامُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا** صلىٰ الله عليه وسلم **وَهُوَ كَلامُ اللهِ تَعالى لا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلُوقِينَ وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِين**): أشار في هذه الفقرة إلىٰ مسألة القرآن، وعقيدة أهل السُنة فيه.

فعقيدة أهل السنة في باب الكلام أن الله عز وجل متكلم بحرف وصوت، متىٰ شاء وكيف شاء، بما شاء سبحانه وتعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

- **وأدلة الكلام** كثيرة من القرآن والسُنة وأقوال السلف:

أولا: **(الأدلة من القرآن)**، قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾، وقال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، وقوله: ﴿سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾، وهكذا أدلة كثيرة في كتاب رب العالمين.

ثانيًا: **(من أدلة السُنة)** أي: سُنة نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، **منها**: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»[(١)].

ثالثا: **(من آثار الصحابة)**، منها: قالت عائشة رضي الله عنها: "**وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَىٰ، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ** عز وجل **فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ**"[(٢)].

ومنها: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد عن جابر رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

ومنها: حديث جابر في "صحيح مسلم": «وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا»، وأحاديث كثيرة نحو هذا، فيها تكليم الله عز وجل لعباده.

وبعض الأحاديث فيها التصريح بالكلام، وبعضها فيه دلالة علىٰ الكلام لله عز وجل.

وقال عمرو دينار رحمه الله: (**أدركت سبعين من الصحابة كلهم يقول القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود**).

وقيل: لجعفر بن محمد: القرآن خالق أو مخلوق؟ فقال: لا خالق ولا مخلوق ولكنهُ كلام الله ينزل، فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر.

- فعقيدة أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

والمبتدعة لا سيما غلاتهم كالجهمية يزعمون أن الله عز وجل كان ولا صفات له ولا أسماء؛ حتىٰ سماه عباده ووصفوه، وهذا من الكفر بالله عز وجل، إذ أنهم عطلوا الله عز وجل من أسمائه وصفاته، وأثبتوا له صفات النقص والعيب، ثم إنهم قالوا بخلق الأسماء والصفات مع أن الله عز وجل يقول: ﴿وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

---

(١) متفق عليه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فالداعي لله عز وجل بأسمائه لا يدعو المخلوقات وهم يزعمون أن الأسماء والصفات مخلوقة ومجاز في حق الله عز وجل فلابد من الإيمان أن الله عز وجل متكلِم بكلام حقيقي بحرف وصوت.

ولهذا ألفَّ السجزي رحمه الله: "رسالة في إثبات الحرف والصوت" كتبها إلىٰ أهل زبيد، ونقل منها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، الكلام الكثير في مجموع فتاويه، للرد علىٰ الأشاعرة، ومن إليهم فلابد من إثبات الحرف والصوت.

- والمراد بالحرف: أن الله عز وجل تكلم بكلامه حقيقة وأن كلماته حروف وجمل.

- والمراد بالصوت: أنه مسموع، والدليل علىٰ الحرف قول الله عز وجل: ﴿يا مُوسَى﴾ وقوله: ﴿يا عِيسَى﴾ وهكذا.

- **والدليل علىٰ الصوت**: قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، وحديث أبي سعيد عند البخاري، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ. يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ».

وَيُذْكَرُ كما عند البخاري، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ».

وقد خالف أهل السنة والجماعة في باب القرآن أكثر الطوائف، كالمعتزلة والجهمية والأشاعرة، والسالمية، والكلابية، وهكذا الفلاسفة، ومن أقبح هذه الطوائف القائلين بوحدة الوجود، الذين قالوا:

وكـل كـلام في الوجـود كلامـه ❁❁ سـواء علينـا نثـره أو نظامـه

فهؤلاء زعموا أن كل كلام في هذا العالم حقه وباطله، هو كلام الله.

ولذلك تجد أحدهم إذا سمع الكلب ينبح قال: سبحانك!!، وإذا تكلم هو ظن أنه كلام الله، فهذا من أردأ الأقوال، وهناك أقوال ردية، والرد عليها يتعين أكثر من الرد علىٰ هذا القول؛ لأن هذا القول غير مقبول أصلًا، لكن يتعين الرد علىٰ قول المعتزلة والجهمية والأشاعرة، لانتشاره ولكثرة المجادلين به.

ثم إن كلام الله عز وجل يثبت بالإجماع، فإن إجماع أهل السنة، قائم علىٰ أن الله عز وجل متكلم بحرف وصوت متىٰ شاء وكيف شاء.

فهذه ثلاثة ادلة علىٰ إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

ثم إن الكلام صفة كمال ومعطي الكمال أولىٰ به، فمن هذه الناحية أيضًا يثبت صفة الكلام بقياس الأولىٰ وبالدلالة العقلية.

ثم إن الله قد فرق بين خلقه وكلامه فقال: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فالأمر يعني: كلامه، والخلق يكونه بالأمر، كما سيأتي معنا إن شاء الله في شبه القوم والرد عليها.

قوله تعالىٰ: ﴿نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾: وهو جبريل عليه السلام.



قوله: (**فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا** صلىٰ الله عليه وسلم): فجبريل سمع القرآن من الله حقيقة وأنزله إلىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فسمعه محمد صلىٰ الله عليه وسلم من جبريل حقيقة، قال الله عز وجل: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال الله عز وجل ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، إلىٰ غير ذلك من الأدلة التي تدل علىٰ أن مَن للابتداء، تكلم الله عز وجل به حقيقة.

قوله: (**وَهُوَ كَلامُ اللهِ تَعالى لا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلُوقِينَ**): فإن فضله علىٰ الكلام كفضل قائله علىٰ الأنام؛ ولهذا تحداهم الله أن يأتوا بمثله فعجزوا، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. معينًا.

وتحداهم أن يأتوا بسورة فعجزوا كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، كما قال الله عز وجل: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، فلو كان مخلوقًا لكان المجيء بمثله أو بعض مثله في قدرتهم واستطاعتهم، ولكنهم عجزوا مع ذلك أن يأتوا بمثل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

مع فصاحتهم وبلاغتهم ومع أنهم أشعر الناس، ولو كان كلام البشر لجاءوا بمثله أضعاف، ولكنه كلام الله سبحانه وتعالىٰ الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، فتجد الآية تجمع بين خبر والاستخبار، وبين القَصص والإنشاء وبين غير ذلك من الأمور.

قوله: (لا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلُوقِينَ)؛ لأنهُ صفة لله عز وجل الذي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، (وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ): من قال بخلق القرآن فهو كافر حلال الدم، ولابن خزيمة كلام نفيس، قال: (أرىٰ أن يقتل، ولا يقبر في مقابر المسلمين؛ لأنه ليس منهم، ولا يقبر في مقابر أهل الذمة حتىٰ لا يؤذيهم، ولكن يرمىٰ حتىٰ تأكله الكلاب، وحتىٰ يكون جيفة)، للتشنيع علىٰ مثل هذا القول البشع، لأن القول بخلق القرآن، قول بخلق الأسماء والصفات، وقول بتعطيل الله عز وجل مما ثبت له من الأسماء والصفات.

قوله: (وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمين): فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد خالف جماعة المسلمين، ومن خالف جماعة المسلمين كفر، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، وقد تقدم الرد علىٰ شبه القائلين بخلق القرآن، والله الموفق.

وفي قوله: (وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمين): في هذا الأمر وفي غيره، ينبغي للمسلم أن يكون ملتزمًا بجماعة المسلمين، وجماعة المسلمين: هم الصحابة رضوان الله عليهم، ومن سار علىٰ سيرهم، واقتفىٰ آثارهم.



ومراده: أنه لا يخالف جماعة المسلمين، فيما يتعلق بكلام الله عز وجل، كذلك لا يخالف جماعة المسلمين في كل أبواب العلم والعمل والاعتقاد، لا في باب أولياء الأمور، ولا في غيرها من الأبواب؛ لأن مخالفة جماعة المسلمين شر.

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يقول: **"الْخِلَافُ شَرٌّ"**، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»**(١).

ويقول صلىٰ الله عليه وسلم، في وصيته بالخمس: **«وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ»**(٢).

[وَلا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ].

الشرح:

قوله: (**وَلا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ**) أي: لا يكفر المسلم بذنب خلا الشرك بالله عز وجل، وما هو من الذنوب المكفرة، فلا يكفر بمعصية ما لم يستحل، فإن استحل المعصية يكفر لرده للكتاب والسنة، أو لتكذيبه للكتاب والسنة، أو لاستحلال ما حرم الله عز وجل أو معارضة لحكم الله عز

---

(١) أخرجه أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه.

وجل، فمن زنا أو سرق أو شرب الخمر، أو كذب أو نم أو أكل الربا، فهو عاصي وليس بكافر، لكن إن استحل هذه الأمور أو بعضها، كأن يقول: الزنا حلال، أو الربا حلال، فهذا يكفر لا سيما إذا استحل شيئًا معلومًا حرمته بالضرورة، أو حرم شيئًا معلومًا حِله بالضرورة.

أما إذا كان جاهلًا فهذا باب آخر، فإن الجاهل من المسلمين لا يكفر وإن عمل الكفر، والمخطئ لا يكفر وإن عمل الكفر، والذاهل والناسي. فذلك الرجل، يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ»، ولو قال رجل هذه المقولة قاصدًا متعمدًا كفر، ولكنه أخطأ من شدة الفرح.

وباب التكفير باب عظيم، أمرُه إلىٰ أولياء أمور المسلمين، من العلماء، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلًا﴾، فلا يجوز بحال أن يتصدر له الجهال، وطلاب العلم ومن لا يحسنه.

فالذي يكفر هو العالم، إذ أنه عالم بالشروط والموانع، ويعلم متىٰ ينزل الحكم، فليس كل من وقع في الكفر كافر، كما أنه ليس كل من وقع في البدعة مبتدع، فهذه قاعدة يكررها العلماء كشيخ الإسلام وغيره، إذ قد يقع في الكفر وعنده من الموانع ما تمنع تكفيره.



كما قال ذلك الرجل: «فَوَ اللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا من العالمين»، فشك في قدرة الله، ومع ذلك عفا الله عنه، لجهله.

- وقد قلت في قصيدتي (في العذر بالجهل):

١-	سَأَلْتُ إِلَهِي الْعَوْنَ فِي كُلِّ حَالَةٍ	أَقُومُ بِهَا مِنْ صَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلْ
٢-	وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ إِنِّي بِغَيْرِهِ	لَمُنْقَطِعٌ فِي حَالِ حِلٍّ وَمُرْتَحَلْ
٣-	وَهَذَا مَقَالٌ فِيهِ حُكْمٌ مُفَصَّلٌ	لِمَنْ كَانَ لِلشِّرْكِ الْمَحَقَّقِ قَدْ فَعَلْ
٤-	فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ الْعَظِيمُ بِقَوْلِهِ	وَفِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ بِالْحَقِّ قَدْ نَزَلْ
٥-	وَلَمْ يُنْسَخِ الْحُكْمُ الْمُبَيَّنُ مُطْلَقًا	وَيَظْهَرُ عَدْلُ اللهِ قُمْ حَقِّقِ الْجُمَلْ
٦-	فَمَا كَانَ تَعْذِيبٌ مِنَ اللهِ رَبِّنَا	لِقَوْمٍ طَغَوْا حَتَّىٰ تَجِيءَ لَهُمْ رُسُلْ
٧-	لِتَبْلِيغِ دِينِ اللهِ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ	وَإِظْهَارِ حَقٍّ مَنْ يُعَانِدُهُ سَفَلْ
٨-	فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا بِرَسُولِهِ	إِلَىٰ نَارِ تَعْذِيبٍ وَلَيْسَ بِمُنْتَقَلْ
٩-	وَمَنْ لَمْ تَصِلْهُ دَعْوَةٌ كَانَ حَالُهُ	اخْتِبَارًا بِيَوْمِ الْعَرْضِ حُكْمٌ لَنَا نَقَلْ
١٠-	بِمُسْنَدِ شَيْبَانٍ إِمَامٌ قَدِ اهْتَدَىٰ	فَخُذْهَا هُدِيتَ الْخَيْرَ لَا تَبْتَغِ الْحِيَلْ
١١-	وَكُلُّهُمُ فِي حُكْمِنَا صَارَ كَافِرًا	وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُمْ فَحُكْمٌ بِهِ نَزَلْ
١٢-	يُكَذِّبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ وَرُسْلَهُ	وَيَرْضَىٰ بِطَاغُوتٍ فَبُعْدًا لِمَنْ سَفَلْ
١٣-	وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعبُدُ اللهَ رَبَّنَا	شَهَادَةُ حَقٍّ قَالَهَا دُونَمَا خَجَلْ
١٤-	وَلَكِنْ تَعَاطَىٰ الشِّرْكَ وَالْكُفْرَ	فَكُفْرٌ بِهِ قَدْ قَامَ لَا نَبْتَغِي الْجَدَلْ
١٥-	وَأَحَدَاثُ عَهْدٍ يُعْذَرُونَ لِأَنَّهُمْ	تَغَطَّوْا رِدَاءَ الْجَهْلِ لَمْ يَعْلَمُوا الْجُمَلْ
١٦-	دَلِيلٌ أَتَىٰ فِي ذَاتِ نَوْطٍ بِلَا خَفَا	فَهَلَّا قَرَأْتَ النَّصَّ مِنْ غَيْرِ مَا جَدَلْ



١٧- وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي قِصَّةٍ ❁ يَقُولُ بِأَنْ يَذْرُوهُ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلْ

١٨- وَفِي قَوْلِهِ شَكٌّ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ ❁ ولَكِنَّهُ جَهْلٌ بِهِ يُعْذَرُ الزَّلَلْ

١٩- فَتَابَ عَلَيْهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ❁ وأَدْخَلَهُ الْجَنَّاتِ مِنْ غَيْرِ مَا عَمَلْ

٢٠- وَزِدْ يَا هَدَاكَ اللهُ مَنْ كَانَ قَابِعًا ❁ بِبَادِيَةٍ وَالْجَهْلُ فِيهِمْ وَمَا رَحَلْ

٢١- وَمَا كَانَ يَوْمًا مُعْرِضًا عَنْ تَعَلُّمٍ ❁ وَمَا كَانَ إِعْرَاضٌ عَنِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلْ

٢٢- فَكُفْرُ ذَوِي الْإِعْرَاضِ حُكْمُ إِلَهِنَا ❁ فَحَاذِرْ سَبِيلَ الشِّرْكِ شَرٌّ بِهِمْ نَزَلْ

٢٣- وَخُلْفٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي عُذْرِ ❁ يُسَطِّرُهُ أَهْلُ الْعُلُومِ وَمَنْ نَقَلْ

٢٤- لَنَا عَنْهُمْ خَيْرُ الْمَذَاهِبِ سُطِّرَتْ ❁ فَلَا تُنْكِرِ الْمَعْرُوفَ أَوْ تَتْبَعِ الْهَزَلْ

٢٥- وأصلُ أصولِ الدينِ توحيدُ ربِّنا ❁ بإجماعِ أهلِ العلمِ أصلحْ لِذِا الخَلَلْ

٢٦- وتَكْفِيرُ أهلِ الكفرِ حقٌ مؤكدٌ ❁ وتَكْفِيرُ أهلِ الحقِ خطبٌ به جَلَلْ

٢٧- فَلَا تُكْفِرَنْ مَنْ كَانَ بِالْحَقِّ مُؤْمِنًا ❁ سَبِيلُ خُرُوجٍ فَاسِدٍ يُورِثُ الخَطَلْ

وقوله: (**بِذَنْبٍ**): أراد به ما تقدم بيانه، من الذنوب والكبائر غير الشرك والكفر.

[وَلا نَقُولُ لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمانِ ذَنبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ].

الشرح:

قوله: (**وَلا نَقُولُ لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمانِ ذَنبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ**): أي: كما تقول المرجئة، حيث يزعمون أن من أقر بالإيمان أو عرف أو صدق أو نطق علىٰ خلاف بين أطيافهم يأتي بيانه، فهو كامل الإيمان، لا يتأثر إيمانه بالذنوب والمعاصي، مع أن الأحاديث طافحة ببيان النقص الحاصل في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله



عنه قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، متفق عليه، ولذلك قال إبراهيم التيمي وغيره: **"لَأنا من المرجئة علىٰ هذه الأمة أخوف من عدتهم من الخوارج"**.

وذلك أن المرجئة يجرؤون علىٰ الذنوب والمعاصي، ويجرؤون علىٰ الكفر وأعماله، شعروا أو لم يشعروا؛ ففي عقيدتهم أن من نطق بالإيمان واعتقد بالقلب فهو مؤمن، وإن فعل ما فعل.

فلو رأىٰ رجلًا يطوف بصنم أو بقبر ربما ما كفروه حتىٰ مع إقامة الحجة الرسالية عليه، لا سيما وهم يسمعونه يقول: (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) صلىٰ الله عليه وسلم.

فالصحيح: أن الإيمان يتأثر بالذنوب وينقص، كما أنه يزيد بالطاعات، وهذا أمر مجمع عليه عند أهل السُنة شرعًا وعقلًا وواقعًا، وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه "الإيمان الأوسط" جملًا من ذلك.

[ونَرْجُو لِلمُحْسنينَ منَ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَعفُوَ عَنْهُم وَيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، وَلا نَشْهَدُ لَهُم بالجنة، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ].

الشرح:

قوله: (ونَرْجُو لِلمُحْسنينَ منَ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَعفُوَ عَنْهُم وَيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ): فإن الله غفور رحيم، وهو الكريم العظيم، فالمسلم يعمل العمل ويرجو من الله القبول، ونحن كذلك نرجو من الله عز وجل أن يكرم كل موحد ومسلم، ونرجو أن يعفو عنهم لأن أعمالهم داخلة تحت المشيئة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

فالأدلة طافحة؛ بأن الله عز وجل غفور رحيم، ولا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: (وَلا نَأْمَنُ عَلَيْهِم): أن يلحقهم شيء من العذاب، يعني: بسبب ما عندهم من الذنوب، نخشىٰ عليهم، فإن الذنوب داخلة تحت المشيئة، قال

تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وإذا لم تُغفر، يُخشىٰ علىٰ صاحبها من عذاب الله.

قوله: (وَلا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّةِ): لعدم علمنا بالغيب وبما خُتم لهم، والشهادة بالجنة تكون لمن شهد له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ لأن شأن الجنة من الغيب، تتلقىٰ بالوحي. فمن شهد له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شهدنا له، ومن لم يشهد له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو من أهل الإيمان رجونا له، والدليل علىٰ ذلك ما ذكر مسلم عن عمرو بن العاص أنه قال: (**وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ** صلىٰ الله عليه وسلم، **وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ؛ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)، لم يقل لكنت من أهل الجنة، بل قال: (**لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**).

وفي المقابل لمَّا ذكر حال الإشراك قال: (**فَلَوْ مُتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**)، فيختلف الحكم، علىٰ من مات علىٰ الكفر يحكم له بالنار سواءً كان يهوديًا ونصرانيًا أو مجوسيًا ومن إليهم، والسبب في الاختلاف الحكمي أن الكفر ظاهر في الناس، بينما الإيمان قد يكون ظاهره وباطنه النفاق، فلهذا لا يجوز الجزم بجنة لمسلم ولا نار، مع أننا نجزم أن كل مؤمن في الجملة في الجنة، أما بالنسبة لآحاد الناس، فلا نجزم إلا لمن جزم له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.



مع أن الذهبي وغيره يقولون: لا بأس أن نجزم لمثل عمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل ونحوهم، لكن الصحيح: نتوقف علىٰ ما جاء عن السلف، فنشهد لمن شهد له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وقد شهد للعشرة، وشهد لغيرهم، كما جاء عند الترمذي من حديث سعيد بن زيد قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ». وسيأتي بيانهم.

وأما حديث عمر رضي الله عنه: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا؛ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ»[1].

فهو علىٰ ظاهره، وقد قال به بعض أهل العلم، لكن مع ذلك الحكم علىٰ أننا نرجو له، والمراد بالثناء: ثناء الصالحين، حيث يثنون عليه لما يعلمون عنه من الخير والإيمان، ويذمونه لما يعلمون فيه من الشر والإجرام.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦٠-(٩٤٩)، وجاء عند البخاري بنحوه.

قوله: (وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ): كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فالمؤمن يستغفر لأخيه المؤمن، سواء في صلاة الجنازة أو في غيرها، وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، وقال: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

قوله: (نَخَافُ عَلَيْهِمْ)؛ لأن الله عز وجل شديد العقاب، ولأن الله عز وجل كريم، والكريم من معانيه أنه شديد الانتقام علىٰ من أعرض عنه، وتمرد عليه.

قوله: (وَلا نُقَنِّطُهُمْ): يعني: لا نقنطهم من رحمة الله عز وجل فإن القنوط من رحمة الله عز وجل كفر؛ ففيه تعطيل لله عز وجل عن صفة الرحمة، قال تعالىٰ: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»(١).

فالمسلم نرجو له الخير كما أخبر الله عز وجل، من قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، آيات كثيرة، يخبر عن دخولهم الجنة.

---

(١) "تفسير عبد الرزاق" حديث رقم: (٥٥٦)، عند تفسير سورة النساء.

[وَالأَمْنُ والإِيَاس يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلامِ وسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لأهلِ القِبْلَةِ].

الشرح:

قوله: (وَالأَمْنُ والإِيَاس يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلامِ وسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لأهلِ القِبْلَةِ): **يعني**: أن المؤمن يبقىٰ في حياته بين الخوف والرجاء، كجناحي طائر، واختلفوا فقال بعضهم: يُقدم في حياته جانب الخوف، حتىٰ يكون حائل بينه وبين المعصية، ويقدم عند الموت جانب الرجاء؛ لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»[1].

وقال بعض أهل العلم: أن من عبد الله بالخوف وحده كان حروريًا، ومن عبد الله بالرجاء وحده كان مرجئًا، ومن عبد الله بالجنة وحدها كان صوفيًا، ومن عبد الله عز وجل بالخوف والرجاء والمحبة كان مؤمنًا موحدًا وسنيًا سلفيًا.

قال الله عز وجل مخبرًا عن جماعة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، فهذا الباب باب عظيم، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[2].

ـ **فالشاهد**: أن الإنسان ينبغي له أن يرجو الله عز وجل، مهما وقع منه من المعاصي فإن الله غفور رحيم، لا سيما إن اقترن بتوبة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.



﴿لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، وإن لم يقترن بتوبة وهو على الإيمان فهو تحت المشيئة، فلا ييأس من روح الله، ويُذكر عن الحجاج أنه قال عند موته:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا	**بأنني رجل من ساكنِ النار**
أيحلفون على عمياء ويلهمُ	**ما بالهم بعظيم العفو غفار**

فهذا الحجاج مع شدة بطشه وإجرامه يقول بهذه الأبيات.

حتى قال بعضهم: لو تداركه الله عز وجل بشيء تداركه بهذه الأبيات.

فالمؤمن يكون رجاؤه في الله حسنًا مع كونه خائفًا من الله وجلًا.

فينبغي أن يُعبد الله بجميع أنواع العبادة رجاء ومحبة وخوفًا، وبعض غُلاة الصوفية يقول: أنا أعبد الله بالحب فقط لا أخافه ولا أرجوه، وإنما أعبده لأني أحبه، فهذا كفر وزندقة، وهذا خلاف دين الأنبياء، فالأنبياء يعبدون الله عز وجل حبًا ورغبة، ويعبدونه رهبةً ورجاء، ويعبدونه توكلًا وخشية، وغير ذلك من أنواع العبادات.

[وَلا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمانِ إلاَّ بِجحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ].

الشرح:

قوله: (وَلا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمانِ إلاَّ بِجحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ): هذا الإطلاق فيه نظر، كما قال الشيخ بن باز رحمه الله وغيره، فإن المكفرات قولية وفعلية واعتقادية.

فمن المكفرات القولية سب الله ورسوله، وسب الإسلام، ودعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

ومن المكفرات الفعلية: الذبح والنذر لغير الله، والطواف بالقبور وغير ذلك.

ومن المكفرات الاعتقادية: الخوف من غير الله كخوف الله، أو خوف السِر، ومحبة غير الله كمحبة الله، أو التوكل علىٰ غير الله.

فقوله: (**وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ**)؟ فمعناه: لا يكفر غير الجحَّاد، وهذا ليس بصحيح، فالكفر يكون بالاستكبار، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ويكون بالإعراض: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، ويكون بالإباء، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، وبغير ذلك من المكفرات، التي أخبر بها ربنا سبحانه وتعالىٰ، وأخبر بها نبينا صلىٰ الله عليه وسلم.

- وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: (**هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين، إذا كان لا ينطق بهما فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره**).

هذه مسألة خلافية، من كفر بمكفر، كسب الله وسب رسوله أو سب الإسلام، أو ترك الصلاة مثلًا، ثم إذا أراد أن يدخل في الإسلام، هل يلزمه التلفظ بالشهادتين؟

الجواب: لا يلزم، وإنما إذا ترك ما كُفِرَ من أجله فهو مسلم.

ثم قال ابن باز رحمه الله: (وقد يخرج من الإسلام بغير جحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي صلىٰ الله عليه وسلم أو استهزائه بالله وبرسوله أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه؛ لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته للأموات والاستغاثة بهم، وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك، لأن هذا يناقض قول: لا إله إلا الله؛ لأنها تدل علىٰ أن العبادة حق لله وحده، ومنها: الدعاء، والاستغاثة، والركوع، والسجود، والذبح، والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئًا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور، وغيرهم من المخلوقين، فقد أشرك بالله، ولم يحقق قول لا إله إلا الله، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرىٰ كثيرة يكفر بها المسلم، وهي لا تسمىٰ جحودًا، وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، فراجعها إن شئت، وبالله التوفيق).اهـ

[والإِيمانُ هُوَ الإِقْرَارُ بِاللسَانِ وَالتَّصْديقُ بِالجَنَانِ].

الشرح:

قوله: (**والإِيمانُ هُوَ الإِقْرَارُ بِاللسَانِ وَالتَّصْديقُ بِالجَنَانِ**): هكذا قال!! وهو قول مرجئة الفقهاء؛ **فإن للناس في الإيمان مذاهب:**

المذهب الأول: **قول أهل السنة والجماعة:** "أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان"، وعلىٰ هذا إجماع أهل السنة والجماعة، وقد نقل الإجماع الشافعي والبغوي، ونقله كثير من أهل السنة عنهم: منهم شيخ الإسلام رحمه الله، إذ قرر ذلك كثيرًا، لا سيما في كتابه الإيمان.

المذهب الثاني: **قول مرجئة الفقهاء،** وهم حماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة النعمان ومن إليهم، الذين يقولون: "الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان"، فأخرجوا العمل من مسمىٰ الإيمان، وقولهم مبني علىٰ أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

المذهب الثالث: **مذهب الماتريدية،** حيث زعموا: "أن الإيمان هو التصديق فقط"، والنطق شيء زائد.

المذهب الرابع: **مذهب الكرامية؛** حيث زعموا: "أن الإيمان هو الإقرار باللسان، ولم يشترطوا حتىٰ التصديق"، فمن نطق عندهم بالإيمان فهو مؤمن، فيلزمهم أن المنافقين مؤمنون.

القول الخامس: **قول الجهمية**، والإيمان عندهم: "المعرفة"، ولازم قولهم: أن إبليس مؤمن، وهكذا اليهود، الذين كانوا يعرفون النبي صلىٰ الله عليه وسلم، بل إن بعض أهل العلم، قال: أدخلَ جهم إبليس في الإيمان وأخرج نفسه؛ لأنه من أجهل الناس بربه؛ إذ أنه لما سُئِلَ أن يصف الله ؟ قال: لا فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل ولا محايث ولا مباين، ولا حي ولا ميت، وهذا هو العدم بعينه.

ونعود إلىٰ مسألتنا، وهي عقيدة أهل السنة في الإيمان، وقد تقدم بيانه، ونزيد هنا أن أكثر أهل السنة ربما قالوا: (**الإيمان قول وعمل**)، كما بوب عليه البخاري في صحيحه، ونقله الآجري في شريعته، وتوسع النقل فيه اللالكائي في "شرح أصول واعتقاد أهل السنة والجماعة"، وغيرهم.

- **ومعنىٰ قولهم**: أنه قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، بل واللسان.

- **فأهل السُنة عندهم الإيمان يرتكز علىٰ ثلاث أمور:**

الأول: القلب.

الثاني: اللسان.

الثالث: الجوارح.

ولا يستقيم إيمان إلا بالنية، ولا تستقيم نية إلا بالعمل.

وأما قولهم: (**نية المؤمن خير من عمله**)، فليس علىٰ إطلاقها، لابد من نية وعمل، كما قال الله عز وجل: ﴿إِلا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ﴾.

والإيمان في اللغة: الإقرار.

- وذهب جماهير العلماء إلى: أنه التصديق، وقد رد شيخ الإسلام هذا التعريف من أوجه ذكرها في كتابه الإيمان الكبير، ونقلناها في تحقيقنا علىٰ "كتاب الإيمان للقاسم بن سلام".

- **من ذلك**: أن التصديق لا يلزم منه الإقرار، فقد يصدق ولا يقر ولا يعمل، كما هو حال كثير من اليهود، مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم ،كان يأتي أحدهم ويقول: أشهد أنك نبي؛ لما يرىٰ من الحجج الظاهرة والأدلة القاهرة، ومع ذلك لا يؤمن به.

فالإيمان في اللغة: الإقرار؛ لأن الإقرار تصديق وزيادة، وهو الانقياد لما دلت عليه معاني الإيمان.

- وأما في الاصطلاح: فهو (قول باللسان) أي: نطق اللسان، من الشهادة وغيرها، (وتصديق الجَنان) الإقرار بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلىٰ الله عليه وسلم نبيًا، ثم عمل القلب، كالتصديق والتوكل والإنابة والخشية والخوف والرغبة والرهبة والرجاء، فكل هذه من أعمال القلوب.

(وعمل الجوارح): كالصلاة والصيام والحج. والبذل، وغير ذلك.

- **القول في الزيادة والنقصان:** فأهل السُنة والجماعة علىٰ إثبات الزيادة والنقصان في الإيمان، أما الزيادة فأدلته ظاهرة في الكتاب والسنة قال الله عز وجل: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، وقال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ نِعْمَتِي﴾.

قال البخاري رحمه الله: (فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ).

وأما السُنة فمنها حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »، أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

وفي "الصحيحين": عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، وعائشة رضي الله عنها: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، **معناه:** أن هناك من إيمانه كامل ومن إيمانه ناقص إلىٰ غير ذلك من الأدلة.

وعن أبي هررة رضي الله عنه قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ

يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»**. متفق عليه.

ثم إن الزيادة والنقصان يلحظها العبد من نفسه، إذا أقبل علىٰ الطاعة؛ شعر بزيادة في إيمانه، وإذا وقع في معصية شعر بنقص في إيمانه، بل إن الناس يلحظون ذلك من العبد، فإذا رأوا من يعتاد المساجد ويطلق لحيته ويقصر ثوبه، ويكف شره عن الناس، قالوا ما شاء الله هذا مؤمن، وهذا إيمانه قوي، وإذا رأوا العكس قالوا هذا إيمانه ضعيف.

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه الإيمان الكبير أكثر من اثني عشر وجهًا علىٰ إثبات زيادة الإيمان ونقصانه.

و مسألة الزيادة والنقصان، خالف فيها المرجئة والخوارج خلافًا شديدًا، بل إنهم زعموا أن زيادة الإيمان ونقصانه كفر، حتىٰ وضعوا حديثًا: **"الإيمان واحد زيادته ونقصانه كفر"**.

فاتفقوا علىٰ أن الزيادة والنقصان في الإيمان كفر، ولكن اختلفوا في النتيجة، فقال الخوارج: إن نقص الإيمان بأن ارتكب كبيرة أو نقص شيئًا من الواجبات فهو خارج من الإسلام.

وقالت المرجئة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص فهو ثابت، وما فعل من البلايا والرزايا والعظائم لا تؤثر في إيمانه، ما دام مقرًا بقلبه ناطقًا بلسانه، بل ربما لو رآه يسجد لصنم أو يتكلم بالكفر، لأنه قد تقدم أنهم يقولون ولا يخرج منه إلا بالجحود. فما دام ناطقًا بلسانه، معتقدًا بقلبه، فهو عندهم مؤمن، فاتفقوا مع الخوارج في المقدمة، واختلفوا في النتيجة.

وهذا الذي حصل لهم كحال القدرية الجهمية، والقدرية النفاة، حيث أنهم اتفقوا في المقدمة وهو: في القول بأن المشيئة هي محبة الله، ثم اختلفوا في النتيجة. فالجبرية غلوا في الإثبات حتىٰ عطلوا العبد من قدرته ومشيئته واستطاعته، والنفاة غلوا في النفي، حتىٰ عطلوا الله عز وجل من خلقه ومشيئته وكتابته، وغير ذلك.

- **وحجة الخوارج حجة عقلية ركيكة قالوا:** الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فإنه إذا زاد فيه شيء ونقص خرج عن مسماه.

كالعشرة إذا نقص منها واحد لم تعد عشرة، وهذا لجهلهم، وإلا فإن العشرة إذا نقص منها واحد تكون: عشرة إلا واحد، وإذا نقص منها اثنان تكون: عشرة إلا اثنين، واذا نقص منها خمسة تكون عشرة إلا خمسة، لكنهم وضعوا

مقدمات أفسدت عليهم عقيدتهم. فزيادة الإيمان ونقصانه ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

وكان للإمام مالك رحمه الله، يقول بالزيادة ولا يقول بالنقصان، **قال**: لأن الزيادة مذكورة في الكتاب والسُنة، وأما النقصان فلم أجده مذكورًا، لكن قيل بأنه رجع عن هذا القول.

(دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان) ومعنىٰ ذلك: أن الصلاة، والحج، والزكاة، وبر الوالدين، وصدق الحديث، والوفاء بالوعد وغير ذلك من الطاعات من الإيمان، فكلما أمر الله عز وجل به فهو من الإيمان، وكل ما نهىٰ الله عز وجل عنه فتركه إيمان.

وقد جمع الله عز وجل في قريب من ستة وخمسين موطنًا في القرآن بين الإيمان والعمل الصالح: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، دلالة علىٰ دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان.

وذهبت المرجئة إلىٰ: أن الواو في هذه الآيات يقتضي المغايرة، إذ أن الله عز وجل فصل بين الإيمان وبين العمل، وهذا من أفسد قولهم فما سيقولون في قول الله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾، هل الصلاة الوسطىٰ خارجة عن الصلوات، أو مغايرة لها، أم هي من الصلوات؟

هي من الصلوات، فإذًا قول الله عز وجل: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، علىٰ منوالها؛ إذ أن العمل الصالح من الإيمان.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، متفق عليه.

ووفي "الصحيحين": عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ» متفق عليه، وقوله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ - إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا - وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والأحاديث في هذا كثيرة، وقد بوب البخاري في أغلب كتاب الإيمان علىٰ هذه المسألة. (بَابٌ: أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنَ الْإِيمَانِ)، (بَابٌ: اتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ مِنَ الْإِيمَانِ)، (باب حسن الجوار من الإيمان)، (باب حب النبي صلىٰ الله عليه وسلم من الإيمان) وهكذا.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»، متفق عليه.

فهذه مسألة ينبغي أن يُركز عليها ويتفطن لها؛ لأن تعريف مرجئة الفقهاء يخرج الأعمال من مسمىٰ الإيمان، ونحن إذ نتكلم عن مرجئة الفقهاء فغيرهم من باب أولىٰ، لأنهم زعموا أن الخلاف بيننا وبينهم لفظي أو أنه خلاف صُوري أي أنهم في الواقع أنهم لا يخالفون.

وقد قرر أن الخلاف صُوري شيخ الإسلام، وابن أبي العز في شرحه علىٰ الطحاوية، **لكن الصحيح**: أن هذا القول غير صحيح، فأبو حنيفة النعمان ومن إليه، يعتبرون من مرجئة الفقهاء.

الاستثناء في الإيمان:

وهذه هي المسألة الرابعة في باب الإيمان: **وبيانه**: أن الإنسان إذا سئل أمؤمن أنت، يقول أرجو أو إن شاء الله، أو آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فهذه هي الاستثناءات التي جاءت عن السلف.

قال ابن مهدي رحمه الله: (**ترك الاستثناء أصل الإرجاء**).

- **والناس في الاستثناء في الإيمان علىٰ مذاهب:**

الأول: (**أنه واجب**)، وذهب إلىٰ هذا القول الأشاعرة ومن إليهم، يعني أوجبوا علىٰ المسلم إذا سئل أمؤمن أنت أن يقول إن شاء الله.

الثاني: (**أنه حرام**) وهذا قول المرجئة، بل زعموا أن الاستثناء في الإيمان كفر، لأنه شك في الإيمان.

الثالث: (**أنه جائز ومستحب**) وهذا مذهب أهل السُنة والجماعة، وأدلتهم من القرآن والسُنة، وأضف إليها إجماع الصحابة ومن إليهم، ثم دليل عقلي وغير ذلك.

أما القرآن، فيقول الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، فربنا استثنىٰ في هذه الآية، مع أنه قد علم أنهم داخلون، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول، كما في حديث بريدة وغيره: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَلَاحِقُونَ»[1].

ومن أدلة الباب أن ابن مسعود جاء إليه رجل فقال أمؤمن أنت؟ قال: نعم، قال هل أنت في الجنة؟ قال لا أدري، قال: كما استثنيت في الثانية فاستثني في الأولىٰ.

وعلىٰ هذا نقل العلماء الأدلة والنصوص الدالة علىٰ هذه المسألة.

لكن هل هذا الاستثناء علىٰ الشك؟

لو كان الاستثناء علىٰ الشك فهو كفر، لا يجوز الشك في الإيمان.

وإنما الاستثناء عند أهل السنة له أوجه:

الأول: علىٰ ما يختم له، بمعنىٰ: إن شاء الله أموت علىٰ الإيمان.

الثاني: أنه التبرك بذكر اسم الله عز وجل.

الثالث: علىٰ عدم التزكية.

---

(١) أخرجه مسلم.



الرابع: أنه علىٰ الكمال.

أو علىٰ عدم التزكية.

فالشاهد: أن أهل السُنة، إذ يستثنون ليس علىٰ الشك، وإنما علىٰ ما تقدم، إما علىٰ أنه يتمنىٰ أن يختم له بها أو أنه لا يزكي نفسه، أو أنه يستثني علىٰ الكمال أو التبرك بذكر اسم الله عز وجل، أربعة أشياء ذكرها أهل السنة والجماعة.

العلاقة بين مسمىٰ الإيمان والإسلام، قد تكلم العلماء علىٰ هذه المسألة، فذهب بعضهم: إلىٰ أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وأن الإيمان هو الأعمال الباطنة، وذهب بعضهم أن لا فرق بينهما البتة، فالإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام، وذهب بعضهم إلىٰ التفريق من وجه، وعدم التفريق من وجه، وهذا هو المذهب الصحيح، أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

ومعنىٰ هذا: أنه إذا سعيد مسلم مؤمن، فالإسلام يراد به العمل الظاهر من صلاة وصيام وقيام وغير ذلك، والإيمان يراد به العمل الباطن من تصديق وإقرار وصدق نية وتوكل وغير ذلك.

وإذا قيل: سعيد مؤمن، فهو شامل للأعمال الظاهرة والباطنة.

وإذا قيل: مسلم، فهو شامل للأعمال الظاهرة، وللأعمال الباطنة.

والدليل على هذا: حديث أخرجه الشيخان عن ابن عباس **رضي الله عنهما**: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟**» قَالُوا: اللهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمُغْنَمِ».

ففسر الإيمان بالإسلام، فإذا اجتمع افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

- فهذه مسائل ينبغي للإنسان أن يحققها لتحقيق مذهب أهل السُنة في الإيمان:

المسألة الأولى: تعريف الإيمان وهو قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان وتصديق بالجَنان.

المسألة الثانية: القول بالزيادة والنقصان.

المسألة الثالثة: دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان.

المسألة الرابعة: الاستثناء في الإيمان.

المسألة الخامسة: العلاقة بين مسمىٰ الإيمان، ومسمىٰ الإسلام.

قال ابن باز رحمه الله في رده لكلام الطحاوي: [وهذا التعريف فيه نظر وقصور والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وقد ذكر الشارح ابن أبي العز جملة منها فراجعها إن شئت.، وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة، وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظيًا، بل هو لفظ لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السنة وكلام المرجئة والله المستعان].اهـ

حتىٰ أن المرجئة يمنعون زواج الشافعية من الحنفي، والشافعي من الحنفية، وذلك أنهم يكفرون الشافعية.

يقولون هؤلاء شكاكة، يستثنون في الإيمان، فيكفرونهم لهذه المسألة، ولا يرون زواجهم ولا يرون حل الصلاة خلفهم إلىٰ غير ذلك، وعندهم إطلاق عظيم في التكفير، مع أنهم لا يكفرون بعض من يتعاطىٰ الكفر والشرك، نعوذ بالله من الخذلان.

واعلم أن أول خلاف وقع في الأمة كان في هذه المسميات، الإيمان والإسلام، حيث خالف الخوارج طريقة أهل السنة والجماعة، ثم ظهرت المعتزلة بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، وهكذا ظهرت المرجئة في مقابل الخوارج والمعتزلة، وعدم تحقيق هذا الباب يؤدي إلىٰ ضرر عظيم، فإن التكفير والتفسير والتبديع لاحق لهذا الباب ثبوتًا من عدمه.

ولهذا يكفر الخوارج المسلمين، وبسبب عدم قولهم بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهكذا المرجئة يحكمون علىٰ أصحاب الكبائر؛ بأن إيمانهم كإيمان أبي بكر وعمر لنفس الشبهة، ومن أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

والجهمية لما كان اعتقادهم أن الإيمان هو المعرفة فقط، لم يبالوا بتصديق ولا إقرار ولا بقول ولا بفعل؛ لأنهم ما عرفوا الإيمان الذي شرعه الله عز وجل وأنزله وأوحاه، بينما أهل السنة والجماعة حققوا هذا الباب تحقيقًا عظيمًا، ولأهميته افتتح البخاري صحيحه: بكتاب الإيمان، بعد أن ذكر كتاب الوحي

كالمقدمة، وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يعلمهم الإيمان قبل أن يعلمهم القرآن، كما في حديث جندب رضي الله عنه: قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا"[1]، يدل هذا علىٰ أهمية هذه الشعيرة العظيمة، وهذا الركن الجليل.

[وأنَّ وَجَمِيعُ ما أنزلَ اللهُ في القرآنِ، وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقّ].

الشرح:

قوله: (**وأنَّ وَجَمِيعُ ما أنزلَ اللهُ في القرآنِ، وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقّ**): لأنه من عند الله، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾، ولأنه الحق الذي أنزله الله، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِ﴾، وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.

---

(١) أخرجه مسلم.

وهذا علىٰ التهديد لا علىٰ التخيير، فكلما صح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في باب العقائد، وفي باب الأحكام، وفي باب الأخبار وجب تلقيه والإيمان به كلا بحسبه.

فما كان من باب العقائد اعتقد، وما كان من باب الأخبار صدقناه، وما كان من باب الإنشاء وهو الأمر والنهي والطلب ونحو ذلك أتينا به علىٰ الوجه الذي شرعه الله عز وجل، فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم جعل الله له شِرعه يتعبد له بها، فلا يقبل الله عز وجل من عامل عمل إلا أن يتعبد بهذه الشرعة، كما قال الله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

فلو أراد أحد أن يتعبد بشرعة عيسىٰ عليه السلام أو بشرعة إبراهيم أو بشرعة موسىٰ لما قبل منه، فكيف يتعبد بشرعة هواه أو بشرعة شيخه أو معلمه.

فالواجب التعبد بشرعة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، التي أوحاها الله عز وجل إليه؛ فإنه كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

وهو أيضًا مبين، فقد أوحىٰ الله عز وجل إليه بالقرآن ليبينه للناس، فبين وبلغ وأدىٰ الأمانة كما أوجب الله عليه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم﴾، فالنبي صلىٰ الله عليه وسلم بين مجملات القرآن، وبين شرع الله عز وجل في باب العقائد والأحكام، وفي غير ذلك من الأبواب.



فما قاله أو فعله النبي صلىٰ الله عليه وسلم من أمور الدين فكله حق؛ لأنه موافق لوحي الله وشرعه.

ولأن الله عز وجل أمرنا بالأخذ به، وأتىٰ المصنف بهذه الفقرة بعد الفقرات المتقدمة، وقبل الفقرات الآتية؛ ليبين أن الإنسان يجب عليه أن يحقق كل ما جاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ لأنه الفاصل بين أهل السُنة وأهل البدع، فكل الناس يتقمص بالقرآن، حتىٰ الباطنية، ربما يستدلون بكثير من آيات القرآن، علىٰ شركهم وباطلهم، والخوارج كذلك والمرجئة وغيرهم، لكن سنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم هي المبينة والموضحة لهذا الأمر فلذلك سلم أهل السنة من زيغ الزائغين، ومن ابتداع المبتدعين لأخذهم بالحق الذي جاء به الرسول الكريم صلىٰ الله عليه وسلم.

وقوله: (وَجَمِيعُ مَا صَحَّ): خرج به ما لم يثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم من الموضوع أو الضعيف، فهذا غير مقبول ولا يتحدث به إلا علىٰ سبيل الرد، وفيه رد علىٰ من قَسَّم السُنة إلىٰ آحاد ومتواتر، وزعم أن المتواتر هو الذي يفيد العلم، ويؤخذ به في باب العقائد، وأما الآحاد فلا يؤخذ به في باب العقائد. وهذا تقسيم غير مأثور عن السلف رضوان الله عليهم، بل تقسيم يخالف الكتاب والسنة؛ فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم واحد، وأرسل رسله إلىٰ الملوك والأمراء، علىٰ واحد واحد، والمؤذن واحد، والخطيب واحد، وكلهم يذكرون العقيدة والتوحيد.

وأول من جاء بهذا التقسيم هو عبد الرحمن بن كيسان الأصم، وتبعه إبراهيم بن إسماعيل بن علية.

- وقلت في قصيدتي: (في خبر الآحاد):

١-	فَخُـذْ هُـدِيتَ سُـنَّةَ المُخْتَـارِ	مِـنْ ثَابِـتِ المَنْقُـولِ وَالآثَـارِ
٢-	جَاءَتْ بِذِي الآحَادُ أَوْ تَوَاتَرَتْ	حُكْـمٌ أَكِيـدٌ عَنْـهُ مَاتَـأَخَرَتْ
٣-	مَا كَانَ فِي الأَحْكَامِ وَالعَقِيدَه	لنَـا بِـذَا أَدِلَّـةٌ سَـدِيدَة
٤-	وَشَـرْطُهُ ثُبُوتُـهُ إِذَا نُقِـلْ	مِـنْ غَيـرِ نَسْخٍ خُذْ بِهَذَا لَاتَمِلْ
٥-	دَلِيلُـهُ فِـي الحُجُرَاتِ جَـاءَ	إِنْ جَـاءَ فَاسِـقٌ بِلَفْظٍ قَـاءَ
٦-	تَثَبَّتُـوا يَـا مَعْشَـرَ الـرُّوَاةِ	وَلْتَقْبَلُـوا قَـولًا لِـذِي الثِّقَـاتِ
٧-	وَالقَولُ بِالتَّفْرِيقِ فِـي الحُجِّيَّه	قَـولٌ قَبِـيحٌ دُونَمَـا رَوِيَّـه
٨-	بَـلْ بِدْعَـةٌ سِـيِّئَةٌ مَـرْدُودَه	مُعْتَزِلِـيٌّ قَالَهَـا مَحْـدُودَه
٩-	عَبْدُلرَّحْمنَ بْنِ كَيسَانَ الأَصَمْ	سَـطَّرَ هَـذَا القَولَ أَعْمَىٰ وَأَصَمْ
١٠-	وَابْـنُ الْ عُلَيَّـةْ وَهْـوَ إِبْـرَاهِيمُ	نَشَـرَهُ خَيَّبَـهُ العَلِيـمُ
١١-	ثُـمَّ اسْـتَقَاهُ مِـنْهُمُ المُعْتَزِلَـة	وَحِـزْبُ تَحْرِيـرٍ بِهَـذِي المَنْزِلَـة
١٢-	أَلَـيسَ رُسْـلُ اللهِ آحَـادٌ كَمَـا	قَـدْ أَرْسَـلَ المُخْتَـارُ جَمًّـا عُلَمَـا
١٣-	مُعَـاذُ مِـنْهُمْ عَلَّـمَ التَّوحِيـدَا	وَ دِحْيَـةٌ قَـدْ بَلَّـغَ العَنِيـدَا
١٤-	طَائِفَـةٌ بِـأَمْرِ ذِي الإِلَـهِ	قَـدْ نَشَـرُوا الحَـقَّ بِـلَا اشْـتِبَاهِ
١٥-	رَاجِعْ هُدِيتَ سِفْرَ ذِي البُخَارِي	فَقَـدْ أَبَـانَ مَـنْهَجَ الأَبْـرَارِ
١٦-	وَالشَّـافِعِيُّ بَـيَّنَ المَقْصُـودَا	قَيَّـدْ هُـدِيتَ هَـذِهِ الصُّـيُودَا

١٧- وَابْـــنُ حَـــزْمٍ قَـــدْ أَبَـــانَ وَنَمَـــا	۞	قَـــولاً أَكِيــــدًا بَيِّنًـــا وَمُحْكَمَـــا
١٨- وَبَسْـطُ هَـذَا القَـوْلِ لِابْـنِ الْقَـيِّمِ	۞	صَـــوَاعِقٌ تَتْــــرَىٰ بِنَقْــــلٍ قَـــيِّمِ
١٩- فِـي عَصْـرِنَا قَـدْ كَتَـبَ الْأَلْبَـانِي	۞	مُصَــــــنَّفًا وَقَطَــــــعَ الْأَمَـــــانِي
٢٠- عَــنْ كُــلِّ بِــدْعِيٍّ أَرَادَ شَــرًّا	۞	جَـــزَاهُ رَبِّـــي بِعَظِـــيمِ الْبُشْـــرَىٰ
٢١- وَالْـوَادِعِيُّ بَـيَّنَ الْقَـوْلَ الْجَلِـي	۞	جَـــزَاهُ رَبِّـــي بِجَمِيـــلِ الْحُلَـــلِ
٢٢- وَابْـــنُ بَـــازٍ عَـــالِمٌ رَبَّـــانِي	۞	مُوَافِـــــقٌ لِقَـــــوْلِ ذِي الْإِيْمَـــــانِ
٢٣- وَابْـنُ الْعُثَيْمِـينَ بِهَـذَا قَـدْ نَصَـرْ	۞	عَقِيــدَةَ الْأَسْــلَافِ قَــوْلٌ مُعْتَبَــرْ
٢٤- وَصَالِحُ الْفَـوزَانُ نَجْـمٌ قَـدْ ظَهَـرْ	۞	مُشَــارِكًا لِأَهْــلِ حَــقٍّ وَظَفَــرْ
٢٥- وَابْـنُ الْحَجُـورِيِّ إِذْ لَـهُ مُشَـارَكَه	۞	مُحَــذِّرًا مِــن ذِي الطَّرِيــقِ الشَّــائِكَه
٢٦- جَمِيــعُ أَهْــلِ السُّــنَّةِ الْأَبْــرَارِ	۞	قَـدْ حَـذَّرُوا مِـنْ مَسْـلَكِ الْفُجَّـارِ
٢٧- فَـالْتَزِمُوا مِنْهَـاجَ ذِي الْأَسْـلَافِ	۞	سَـــبِيلَ حَـــقٍّ لَـــيْسَ بِـــالْخِلَافِ
٢٨- وَلْتَحْـذَرُوا سَـبِيلَ كُـلِّ الْبِـدَعِ	۞	طَرِيـــقَ شَـــرٍّ فَاهْجُرَنْـــهُ وَدَعِ
٢٩- وَالْحَمْـــدُ لِلـــه عَلَـــىٰ التَّمَـــامِ	۞	أَسْـــأَلُهُ الْمَزِيـــدَ فِـــي ذَا الْعَـــامِ
٣٠- والْخَتْمُ صَـلَّىٰ اللهُ مَـا نَجْـمٌ ظَهَـرْ	۞	عَلَـىٰ مُحَمَّـدٍ وَمَـا الْمُـزْنُ انْهَمَـرْ

***

[وَالإِيمانُ وَاحدٌ وَأَهْلُهُ في أَصْلِهِ سَوَاءٌ والتَّفاضُلُ بَيْنَهُم بِالخَشْيَةِ والتُّقَى ومُخَالَفَةِ الهَوَى وَمُلازَمَةِ الأَوْلى].

الشرح:

قوله: (وَالإِيمانُ وَاحدٌ وَأَهْلُهُ في أَصْلِهِ سَوَاءٌ والتَّفاضُلُ بَيْنَهُم بِالخَشْيَةِ والتُّقَى ومُخَالَفَةِ الهَوَى وَمُلازَمَةِ الأَوْلى): وهذه أيضًا من الفقرات المنتقدة علىٰ المصنف رحمه الله.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: [هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس أهل الإيمان فيه سواء، بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمن كإيمان الفاسق، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته، وما شرعه لعباده، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة، ومن قال بقولهم والله المستعان].اهـ

فالقول بأن الناس في أصله سواء، قول غير صحيح وغير مرضي، فالإيمان يزيد وينقص، علىٰ ما تقدم بيانه، ويتفاوت الناس فيه زيادة ونقصانًا، لكن لما كان مذهب الطحاوي رحمه الله في هذا الباب مذهب مرجئة الفقهاء، جاء بهذه التقييدات:

أولها: قوله: (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم مُعْتَرِفِينَ، ولَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ غَيرَ مُنكِرِين): فاكتفىٰ بالاعتراف، وهذا لا يُوافق عليه كما تقدم.

- ثم جاء بقوله: أنه لا يكفر إلا بالجحود، وهذا لم يوافق عليه.

- ثم جاء بتعريفه للإيمان، وما فيه النقص وبينا أنه لا يوافق عليه، وأنه خلاف حقيقي بين أهل السُنة وبين مرجئة الفقهاء.

وقوله: (وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ والتَّفَاضُلُ بَيْنَهُم بِالخَشْيَةِ والتُّقَى ومُخَالَفَةِ الهَوَى وَمُلازَمَةِ الأَوْلى): أي أن التفاضل بينهم بالأعمال الصالحة والخشية منها والتقىٰ منه، وكذلك بزيادة الإيمان ونقصان الإيمان، وقد تقدم كلام ابن باز، وبنحوه تكلم ابن أبي العز رحمه الله إلا أنه زاد أمثلة، كمسألة اتفاق الناس العقلاء في العقل، وتفاوتهم من حيث الذكاء والإدراك فلا يقال بأن عقولهم واحدة أو بأن عقلهم واحد.

[وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّهُم أَوْلِيَاءُ الرَّحْمنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلقُرْآنِ].

الشرح:

قوله: (وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّهُم أَوْلِيَاءُ الرَّحْمنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلقُرْآنِ): وهذا إجمال طيب، فعقيدة المسلمين أن كل مؤمن وكل مسلم يعتبر في الجملة من أولياء الرحمن؛ فأولياء الرحمن هم من قال الله عز وجل فيهم: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

إلا أن الناس يتفاوتون في الولاية تفاوتًا عظيمًا، فأعظم أولياء الله عز وجل هم رسله، وأنبياؤه، ثم يليهم الصديقون، وهكذا الشهداء والصالحون، فالولاية تتفاوت من شخص إلىٰ شخص، ومن حال إلىٰ حال، فمن زاد إيمانه وعمله وخيره وبره، كانت ولايته لله عز وجل أعظم.

قال الله عز وجل في شأن نبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، فالله عز وجل يتولىٰ الصالحين، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في "صحيحه"، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

- **وقد استدل العلماء بهذا الحديث علىٰ**: أن أعظم سبل الولاية: طاعة الله عز وجل، وأعظم ما يتقرب به إلىٰ الله عز وجل لنيل الولاية هي الفرائض، مقدِمة علىٰ النوافل، فلا يهتم الإنسان بالنوافل ويضيع الحق الذي أوجبه الله عز وجل عليه، ويأثم بتركه.

وقوله صلىٰ الله عليه وسلم مخبرًا عن الله تعالىٰ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»، هذا أولًا، ثم بعد ذلك ينمي الإنسان هذه الفرائض



التي افترضها الله عز وجل عليه بالإتيان بما يحوطها إن وقع فيها نقص أُتم منها، وكذلك تكون حاجزًا أمام هذه الأعمال وأمام ما يعتري الإنسان من النقص.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»، أخرجه أحمد.

قوله: (وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ): أكرمهم عند الله أطوعهم لله، أي المسارعون في الخيرات، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

قوله: (وَأَتْبَعُهُمْ لِلقُرْآنِ): هذه هي الولاية الحقيقية، أن يعتقد القرآن، وما دل عليه ظاهرًا وباطنًا، وأن يتعبد لله عز وجل، بما أنزله في القرآن، وأوحاه إلىٰ النبي **عليه الصلاة والسلام.**

وقد تكلم شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ بفروق كثيرة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأشار إلىٰ بعض ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في "الأصول الستة"، فالتمييز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان من الأهمية بمكان، لا سيما كثير الصوفية والرافضة يدعون الولاية، بل يبالغون فيها مبالغة ويثبتونها حتىٰ للسحرة والمشعوذين والكهان والعرافين، وهكذا كله مبطل يدعي لنفسه الولاية، لكن أولياء الله حقًا وصدقًا هم الذين امتثلوا شرع الله ظاهرًا وباطنًا، الذين آمنوا وحققوا العلم والتوحيد، وكانوا يتقون.



حققوا المبادرة إلىٰ الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال السيئة، فدلت الآية علىٰ صلاح الظاهر والباطن، فالولي هو من صلح ظاهره وباطنه، هذا علىٰ سبيل الثناء والذكر.

وأما علىٰ سبيل الإجمال فكل مؤمن يعتبر من أولياء الله عز وجل، وإن وقع عنده تقصير، وتكون ولايته لله عز وجل بقدر تقصيره في هذا الباب نسأل الله العون والسلامة، نسأل الله عز وجل أن يتم علينا الخير.

[وَالإِيمانُ هُوَ الإِيمَانُ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى].

الشرح:

قوله: (وَالإِيمانُ هُوَ الإِيمَانُ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى): هذه تسمىٰ بأركان الإيمان الذي دل عليها حديث جبريل، سواء ما أخرجه مسلم عن عمر أو ما اتفق عليه الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كَانَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَوْمًا إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ... فقال يا محمد: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

- وهذه الأصول الستة استبدلها المعتزلة بأصولهم الخمسة وهي:

الأول: (التوحيد)، ويريدون به نفي الصفات.

الثاني: (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**)؛ ويريدون به الخروج علىٰ المسلمين بالسيف.

الثالث: (**إنفاذ الوعيد**): وهو إيجاب تخليد صاحب الكبيرة في النار.

الرابع: (**العدل**)، ويريدون به نفي القدر كما تقدم.

الخامس: (**المنزلة بين المنزلتين**)، وكان هذا القول منهم بعد أن قال الخوارج بتخليد صاحب الكبيرة في النار، قال المرجئة بإثبات الإيمان الكامل لصاحب الكبيرة، فقالوا: نحن لا نقول كافر، ولا نقول مسلم، ولكن نقول بأنه منزلة بين منزلتين، أي: في الدنيا، فهو لا مؤمن ولا كافر، لكن تجري عليه أحكام المؤمنين من زواج ونكاح وعتاق وبيع وشراء وغير ذلك من المسائل كالميراث، ونحو هذا، ولكنه في الآخرة يخلد في النار، واستدلوا بما استدل به الخوارج، فهذه الأصول الخمسة للمعتزلة، استبدلوا بها الأصول الستة التي أنزلها الله عز وجل في كتابه، وأوحاها إلىٰ رسوله، صلىٰ الله عليه وسلم:

وأولها: (**الإيمان بالله**)، وقد تقدم بعض ما يتعلق بهذا، ويتضمن الإيمان بالله الإيمان بأربعة أركان: الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته، ويدخل في الإيمان بالله عز وجل، الإيمان بكل ما أخبر، والإيمان برسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

ثانيها: (**الإيمان بالملائكة**)، وقد تقدم الكلام عليهم، يؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا.

ثالثها: (الإيمان بالكتب المنزلة، علىٰ رسل الله، سبحانه وتعالىٰ) قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

رابعها: (الإيمان بالرسل)؛ بمن أخبرنا الله عز وجل منهم، وما لم يخبر فنؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم يجب أن يتابع وأن يصدق فيما أخبر وأن ينتهىٰ عما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله عز وجل إلا بما شرع صلىٰ الله عليه وسلم، وقد تقدم الكلام علىٰ هذه الأمور.

خامسها: (الإيمان باليَوْمِ الآخِرِ): أي: ومما يؤمن به المسلمون اليوم الآخر، وسمي اليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده، وهو يوم الجزاء، ويوم القيامة، ويوم التناد والتغابن، ويوم الجمع، وله أسماء كثيرة، ذكرها الله عز وجل في كتابه، وذكرها رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، كما في صحيح سنته.

والقبر أول منازل الآخرة، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حديث عثمان رضي الله عنه: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ».

واليوم الآخر، ينفخ في الصور فيقوم العباد من قبورهم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم، في حديث عائشة في "الصحيحين".



وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ».

وقال كما في "الصحيحين: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ»؛ حيث ﴿تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

وفي هذا اليوم من الأمور الكثيرة، ما يشيب له الولدان، وتضع فيه الحوامل، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، وقبل ذلك قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، يحشر الناس والجن والبهائم، وجميع المخلوقات تحشر إلىٰ ذلك الموقف العظيم، فيقع الحساب والجزاء.

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»، نسأل الله عز وجل السلامة.

وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ. فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟

قَالَ: «تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ»، فعند ذلك يشيب الصغير: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

وفي ذلك اليوم من الأهوال ما يشتد علىٰ الناس، حتىٰ يأتون أنبيائهم ورسولهم يسألونهم الشفاعة إلىٰ الله عز وجل في إخراجهم من ذلك اليوم وشدته، قال تعالىٰ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وقَالَ صلىٰ الله عليه وسلم: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»[1]، فيكون الرشح يوم القيامة علىٰ قدر أعمالهم، ويظل الله عز وجل تحت ظل عرشه من شاء من عباده، المؤمنين الموحدين، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، متفق عليه.

فإن لم يظل الله عز وجل العبد، وبقي في تلك الشمس الحارة التي تدنو من الخلق بمقدار ميل، حتىٰ قال الراوي: (لا أدري ما يقصد بالميل، الميل في الأرض أم ميل المكحلة)، فهذا موقف عصيب، ومع ذلك يغضب الله عز وجل في ذلك اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، حتىٰ يبقىٰ الأنبياء، كل يقول: نفسي نفسي؛ حتىٰ يقوم محمد صلىٰ الله عليه وسلم شافعًا، في فصل القضاء، بين العباد، وهي الشفاعة المحمودة، والمقام الذي وعده الله عز وجل به: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

---

(١) أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه.

- **وفي ذلك اليوم من الأمور التي يجب أن تعتقد**: الحوض، والصراط، والميزان، وهكذا أخذ الكتب، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، وما يتعلق برؤية الله عز وجل، وما يتعلق بالصراط والقنطرة، وما يتعلق بدخول الجنة والنار، وما في ذلك كله، حيث يخلد المؤمنون في الجنة خلودًا لا خروج بعده، ويخلد الكفار في النار خلودًا لا خروج بعده، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، وقال: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، في آيات كثيرات.

- والصراط: هو الجسر الممدود علىٰ متن جهنم، يجوزه المؤمنون ولا يجوزه غيرهم، وأما الكفار فإنهم يساقون إلىٰ النار سوقًا.

وأما المنافقون فيصعدون علىٰ بدايته، ثم يعودون القهقرىٰ فيتقادعون فيه، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾.

وكذلك الحوض العظيم، الذي امتنَّ الله عز وجل به علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ويشرب منه المؤمنون.

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، وأخبر أن من صفاته: «وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف، الجميلة التي وصفها

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بها، وقد ألفَّ بقي بن مخلد رحمه الله تعالىٰ جزءًا في الحوض، وأحاديثه متواترة، وقد تقدم شيء من ذلك.

وهكذا الكتب، وما يتعلق بها من آخذ بيمينه وآخذ بشماله، كما قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، ثم قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.

وفيه أمور كثيرة قد ذكرنا بعضها، وربما يذكر البعض الآخر في مواطنه مما يقع في ذلك اليوم من الأهوال، والشدائد، والبشارات للمؤمنين، ونسأل الله عز وجل السلامة والعافية.

فكلما أخبر الله عز وجل به من أصناف اليوم الآخر وجب الإيمان به.

والمعتزلة والخوارج ينكرون أغلبه، فينكرون الحوض والميزان والصراط، وينكرون كلام الله عز وجل لأهل الموقف، وينكرون الرؤية، وغير ذلك مما تضمنه ذلك اليوم العظيم، فالإيمان به يعتبر من الإيمان بالغيب، كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

ولو تأملت السور القصار في القرآن لوجدت أنها تقرر البعث والنشور، تقريرًا عظيمًا؛ لأن الله عز وجل بعث محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ قوم لا يؤمنون

بذلك، فما زال يذكرهم الله عز وجل بذلك اليوم، حتىٰ ثاب منهم إلىٰ الإسلام من ثاب.

والإيمان باليوم الآخر من دواعي العمل الصالح، إذ يعلم الإنسان ويقر أنه محشور إلىٰ الله عز وجل، وأنه سيجازىٰ علىٰ كل صغيرة وكبيرة، كما قال الله عز وجل مخبرًا عن قراءة الكتاب: ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ومن أعظم ما يقع في ذلك اليوم: مجيء الله، ومجيء الملائكة، واتيان الله عز وجل واتيان الملائكة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

فالله عز وجل يجيء وينزل لفصل القضاء بين العباد.

سادسًا: (**الإيمان بالقدر**) كما قال الطحاوي: (**وَالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى**)، وقد تقدم الكلام علىٰ مسألة الايمان بالقدر، وأن الإيمان به أربع بمراتب، وأنه سر الله عز وجل، لم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، فالخير من الله، والشر من الله.

وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في "صحيح مسلم": أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»، **ليس معناه**: أنه لم يخلق الشر، فهذا فهم

سقيم وباطل، فإن الله عز وجل خالق كل شيء من المخلوقات، كما أخبر الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ولكن المراد بالحديث: أن الشر لا يرفع إلىٰ الله، أو لا يتقرب به إليه، أو ليس بِشر بالنسبة إلىٰ الله عز وجل، فان أفعال الله عز وجل، وما هو صادر عن حكمته كله خير، وإنما الشرية بالنسبة إلىٰ الإنسان أوجه ذكرها النووي رحمه الله.

[وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ].

الشرح:

قوله: (وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ): لأن التفريق بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، يعتبر كفرًا بالله عز وجل، فإن النبي صلىٰ عليه وسلم بعث داعيًا ومبشرًا ونذيرًا ومخبراً بهؤلاء الرسل، وهؤلاء الأنبياء الذين أرسلهم الله عز وجل فوجب الإيمان بهم، فقد قال الله عز وجل: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

وأخبر الله عز وجل عن قوم نوح بأنهم كذبوا المرسلين، مع أن الذي جاءهم واحد لكن تكذيب الواحد يعتبر كفرًا بالله عز وجل، ويعتبر تكذيب لغيرهم.

فقوله: (وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ): فنحن مؤمنون بذلك كله أي: بما تقدم من أول الكتاب، إلىٰ هذا الموطن وبما تضمنه كذلك أركان الإيمان الستة، يجب

الإيمان به كله، بدون انتقاء ولا تفريط، ونصدقهم كلهم علىٰ ما جاءوا به، لكن الذي يجب علينا أن نطيعه هو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم.

أما غير النبي صلىٰ الله عليه وسلم فإن شريعته، قد نسخت بشريعة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَأنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، والتصديق وحده، كما تقدم مرارًا لا يكفي إلا إن كان بمعنىٰ الإقرار، تصديق وإقرار وانقياد لما جاء من شرع الله سبحانه وتعالىٰ.

[وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم فِي النَّارِ لا يَخْلُدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عز وجل فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافعينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلى جَنَّتِهِ وذَلِكَ بأَنَّ اللهَ تَعَالى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِن وِلايَتِهِ].

الشرح:

قوله: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم فِي النَّارِ لا يَخْلُدُونَ):

تضمنت هذه الفقرة: الإشارة إلىٰ مسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد، وهي مسألة القول في أصحاب الكبائر من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فإن الخوارج يكفرون أصحاب الكبائر، ويحكمون علىٰ من مات علىٰ كبيرته بالخلود في النار، وهكذا المعتزلة جعلوا أصحاب الكبائر من أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وفي الآخرة يخلدونهم في النار، وهذه معتقدات باطلة تخالف منهج السلف.

وقوله: (فِي النَّارِ لا يَخْلُدُونَ): أي: وإن دخلوها ببعض ذنوبهم، ففي حديث أبي سعيد عند مسلم قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ



بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ».

وفي رواية: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ»[1]، والخلود في النار إنما هو في شأن الكفار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

قوله: (إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ): بهذا القيد؛ لأن من مات على الشرك الأكبر كان من الخالدين في النار، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، وكل ذنب داخل تحت المشيئة إلا الشرك بالله عز وجل.

والتوحيد هو الأساس لكل فلاح، فلا يدخل الجنة إلا موحد، ولهذا علينا الاهتمام بالتوحيد، دعوة وتحقيقًا وعملًا، فإنه: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»، متفق عليه عن ابن مسعود.

---

(١) متفق عليه عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

قوله: (وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ): قبل موتهم، وهذا قيد مهم، فإن: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»، وإنما المسألة هنا، في من مات علىٰ كبيرته، وقد أحسن من قال:

ومن يمت ولم يتب من الخطا ... فأمره مفوض لذي العطا

فإن يشأ يعفو وإن شا انتقم ... وإن يشأ أعطىٰ وأجزل النعم

فمن مات علىٰ كبيرته، فهو تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنّ اللّه لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّه فَقَدْ ضَلّ ضَلالا بَعِيدًا﴾، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّه فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

قوله: (بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ [مُؤْمِنِينَ]): أي: بعد أن لقوا الله عز وجل بإيمانهم، وإن كانت عندهم كبائر.

أما المعرفة بدون إيمان، بدون عمل، فلا تكفي فلابد من الإيمان، وهو الإقرار بالله عز وجل ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد صلىٰ الله عليه وسلم نبيًا، ثم الانقياد لذلك.

قوله: (وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عز وجل فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾): فضلًا منه سبحانه وتعالىٰ، فهو الغفور الرحيم، وهو الرحمن الرحيم، وهو العفو الحليم، إلىٰ غير ذلك من أوصافه التي يتصف الله عز وجل بها، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿إِنّ اللّه لا



يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ومعنىٰ (مَا دُونَ ذَلِكَ): ما سوىٰ ذلك.

قوله: (وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ): أي: أصحاب الكبائر، يعذبهم بعدله لا يظلمهم ولا يهضمهم ثم يخرجون منها، ويكون خروجهم من النار إما برحمة من الله عز وجل وفضل، وإما بشفاعة من الله عز وجل، ويرحم الله عز وجل بعد ذلك،

قوله: (ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافعينَ): قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ».

وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين يسجد لله عز وجل ويسأله الشفاعة: «ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»، وفي رواية: «فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ

تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ».

وأما قول الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، فهذا في حق الكفار الذين ماتوا علىٰ الكفر، والعياذ بالله، أما المسلم فمآله إلىٰ الجنة، وإن فعل ما فعل من الكبائر والعظائم.

وفي قول الله عز وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾؛ بيان لذلك من أنهم يعذبون في النار حتىٰ يعيرهم أهل النار، ويقولون لهم ما نرىٰ نفعتكم عبادتكم شيئًا، ولا أغنىٰ عنكم إسلامكم شيئًا، فعند ذلك يخرجهم الله عز وجل من النار.

قوله: (مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ): دليل علىٰ أن الشافع والمشفوع فيه لا بد أن يكونا من المؤمنين الموحدين، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾، وقال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.

قوله: (ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ): أي: بعد أن يدخلوا النار أو قبل أن يدخلوها كلٌّ بحسبه، فإن الله عز وجل قد يقبل الشفاعة في المؤمن، صاحب الكبيرة قبل أن يدخل النار، وقد يقبلها بعد أن يدخل النار، ثم يبعثهم الىٰ جنته: «فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»، كما تقدم في أحاديث الشفاعة.



قوله: (وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَولَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ): تولىٰ أهل معرفته وحفظهم ونصرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ): لم يجعلهم في الدارين دار الدنيا والآخرة كالكافرين المعرضين، فإن الكافر في الدنيا ملعون، وفي الآخرة مطرود من رحمة الله عز وجل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

قوله: (الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ): فالمؤمن أيضًا في الدنيا موفق للخير، والكافر مخذول من الله عز وجل؛ بسبب شركه، كما قال تعالىٰ: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾.

فوفق الله عز وجل المؤمنين، لِما علمه فيهم من الخير والصلاح والمحبة للهدىٰ، وخذل الله عز وجل الكافرين المعرضين لما علمه منهم من سوء صنيعهم.



قوله: (**وَلَمْ يَنَالُوا**): يصيبوا: (**مِن وِلايَتِهِ**): من ولاية الله عز وجل، وولاية الله عز وجل تنال بالعمل الصالح، كما تقدم معنا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»، فولاية الله عز وجل لا تنال بالشعبذة ولا تنال بغير ذلك، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قد يقول قائل من هم؟ فيقال له: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[اللَّهمَّ يا وَلِيَّ الإسلامِ وأَهلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإسلامِ حتى نَلقَاكَ بِهِ].

الشرح:

قوله: (**اللَّهمَّ يا وَلِيَّ الإسلامِ وأَهلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإسلامِ حتى نَلقَاكَ بِهِ**): وهذا فيه ما علىٰ المسلم أن يكون متصفًا به من اللجوء إلىٰ الله عز وجل في ثبات قلبه وتصريفه علىٰ طاعته، فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان من دعائه: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، و: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، إلىٰ غير ذلك من الأدعية.

وقبل ذلك يقول الله عز وجل مخبرًا عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

[وَنَرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ].

الشرح:

قوله: (وَنَرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ): هذا من طريقة أهل السنة التي يخالفون فيها الخوارج والمعتزلة، ومن إليهم.

فأهل السنة يرون الصلاة وصحتها خلف الإمام البَر والإمام الفاجر من المسلمين.

وقد صلىٰ أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، خلف الحجاج، وصلىٰ أهل المدينة خلف الخوارج، الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عُثْمَانَ رضي الله عنه وَهُوَ مَحْصُورٌ وَعَلِيٌّ رضي الله عنه يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَتَحَرَّجُ مِنَ الصَّلَاةِ مَعَ هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَ الْإِمَامُ، فَقَالَ: «إِنَّ الصَّلَاةَ أَحْسَنُ مَا عَمِلَ النَّاسُ، فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ أَحْسَنُوا فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ».

وبوب عليه الإمام البخاري: (**بَابُ إِمَامَةِ الْمَفْتُونِ وَالْمُبْتَدِعِ**)، وسُئِلَ الحَسنُ عنِ الصَّلاةِ خَلفَ صاحِبِ البِدعةِ فقال: (**صَلِّ خَلْفَهُ، وعليه بِدْعَتُه**)، مع أننا نعتقد أن الصلاة خلف السني أفضل، لكن إذا لم يوجد إمام سنة، فلا تضيع الجمعة والجماعات، حتىٰ أن الإمام أحمد وغيره من أهل العلم جوزوا الصلاة خلف الرافضي والجهمي في العيد والجمعة، ثم يرجع إلىٰ بيته، ويعيد الصلاة؛ حتىٰ لا تُضيع الجماعة.

قوله: (وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ): يرون الصلاة علىٰ من مات من المسلمين، برًا كان وفاجرًا، فإن كان من الأبرار فيصلىٰ عليه ويدعىٰ له ويترحم عليه، وإن كان من الفجار فهو بحاجة إلىٰ شفاعة المؤمنين له، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ؛ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»، رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

وفي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عباس: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ».

وإنما ترك النبي صلىٰ الله عليه وسلم الصلاة علىٰ من عليه دين ابتداءً، وهكذا لم يصل علىٰ قاتل نفسه زجرًا، وإلا فإن الصلاة جائزة عليهم، بل هي واجب كفائي، يُصلىٰ عليهم ويدعىٰ لهم، والدليل علىٰ أنه إنما تركها زجرًا أنه قال: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ».

[وَلا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلا نَارًا].

الشرح:

قوله: (وَلا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلا نَارًا): أي: لا يحكم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار، كأن نقول: هذا من أهل الجنة، وهذا من أهل النار، ولكن كما تقدم نرجو للمحسنين، ونخاف علىٰ المسيئين، فالأمر إلىٰ الله عز وجل قد يحبط عمل الطائع بسبب بعض المحبطات التي لا نعلمها، وقد يعفو عن المسيء تفضلًا منه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله



عليه وسلم: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[(١)].

[وَلا نَشهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيءٌ مِن ذلِكَ، وَنَذَرُ سرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالى].

الشرح:

قوله: (وَلا نَشهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيءٌ مِن ذلِكَ، وَنَذَرُ سرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالى):أي: أن الناس يعاملون بما ظهر منهم، ويُحكم له به، فالمسلم علىٰ إسلامه حتىٰ يثبت ما ينقله عنه، والكافر علىٰ كفرهِ كذلك، فالله عز وجل يقول: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»،

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٩٠١)، جاء عند أحمد برقم: (٨٢٩٢).

وفي "صحيح البخاري" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ.

وفي "الصحيحين" عن أسامة، وجابر بن سمرة أن أسامة رضي الله عنه قتل رجلًا بعد أن قال: (لا إله إلا الله) فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا. قَالَ: فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وفي رواية: إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

فلا نكفر مسلمًا لم يثبت كفره بيقين؛ لأن تكفير المسلمين عظيمة، ففي "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»، وجاء "في الأدب المفرد" عند البخاري: عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَتْ عَلَيْهِ»، أي: رجعت عليه.



ووصف المسلم بالكفر أو الشرك أو النفاق، يؤدي إلىٰ سلب كثيرٍ من حقوقه، ومؤداه إلىٰ تحريم امرأته عليه، وإلىٰ تحريم ميراث ولده له، «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»، متفق عليه عن أسامة رضي الله عنه.

ثم إن تنزيل الأحكام علىٰ الاشخاص بكفر أو شرك أو نفاق، إنما يكون للعلماء، الذين ميزوا وعرفوا متىٰ يكفر الشخص، فإنه لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع، وفيه أن الإنسان يُعامل بما ظهر منه، ما دام مظهرًا للخير، فعامله بالخير، ولا يجوز لك التنقيب والتتبع؛ فعن عبد الله بن عمر وأبي برزة رضي الله عنهما: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»، أخرجه أحمد.

[وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم إلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيهِ السَّيْفُ].

الشرح:

قوله: (وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم إلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيهِ السَّيْفُ): في هذا ردٌ علىٰ الخوارج الذين يخرجون علىٰ المسلمين بسيوفهم، ويخرجون علىٰ أولياء الأمور، ولذلك قال أبو قلابة الجرمي رحمه الله: (مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلاَّ اسْتَحَلَّ السَّيْفَ)، وقال أيوب السختياني: (فرقتهم البدع، وجمعهم السيف).

فكان من علامة أهل الزيغ عن منهج أهل السُنة والجماعة أنهم يرون الخروج علىٰ الحاكم المسلم.

وكانوا يخرجون بدعوىٰ تغيير المنكر، وهم واقعون في منكر أشد وهو الخروج وما يلحقه من تبعات، فأمة محمد ينبغي أن تُحترم وتؤدىٰ لها الحقوق، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»(١).

فالواجب: أن تؤدىٰ الحقوق إليهم، ولا يخرج عليهم بسيف أو نحوه، ولا يؤذون بكلام ولا بشتم ولا بنحوه.

[وَلا نَرَى الخُروجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاةِ أمُورِنَا وإنْ جَارُوا، وَلا نَدْعُو عَلَيْهِمْ ولا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، ونَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طاعَةِ اللهِ عز وجل فَرِيضَةً مَا لمْ يأمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاحِ والمُعَافَاةِ].

الشرح:

قوله: (وَلا نَرَى الخُروجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاةِ أمُورِنَا وإنْ جَارُوا): هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة، ومع ذلك تجد أهل البدعة والشناعة يشنعون عليهم، ويتكلمون بأنهم علماء حكومات، وعملاء، وليسوا كذلك، فهم ينكرون المنكر

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.



ويعرفون المعروف، وهم يقدمون طاعة الله عز وجل علىٰ كل طاعة، لكن مع ذلك يرون الطاعة لأولياء الأمور المسلمين، سواء كانوا أبرارًا أو فُجارًا بالمعروف في طاعة الله عز وجل؛ لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»، متفق عليه عن علي رضي الله عنه.

وقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ ؟». أَوْ قَالَ: «يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا؛ فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّهَا؛ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»، أخرجه مسلم.

- فالشاهد: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمر بطاعة أولياء الأمور في طاعة الله، وعدم الخروج عليهم أو التثوير أو تجييش الناس عليهم، فكل هذا لا يجوز.

قوله: (وَلا نَدْعُو عَلَيْهِمْ) بل ندعوا لهم.

- قال الامام أحمد: **(لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان؛ وذلك لأن صلاح السلطان، صلاح لرعيته، وفساد السلطان فساد لرعيته)**، وبنحوه عن الفضيل بين عياض.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عند مسلم قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ».

فالإنسان يكون مع أولياء أمره علىٰ الوجه الذي شرعه الله عز وجل؛ حفاظًا علىٰ جماعة المسلمين، وهذه المسألة ليست بالمسألة الهينة، فإنه من خرج علىٰ ولي أمره بالتثوير، أو السيف، وبأي شيء فإنه يحصل فساد عريض في المجتمعات، وانظروا إلىٰ المجتمعات المسلمة، كم فيها من الفتن، والقتل والقتال، ومبدأهُ الخروج علىٰ ولي الأمر، بغض النظر كان برًا أو فاجرًا، ففجوره علىٰ نفسه، بينما إذا حصلت الثورة والعياذ بالله حصل الشر العريض والفساد الكبير.

قوله: (ولا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ): يعني: ما داموا مسلمين؛ لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»، متفق عليه.

قوله: (ونَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طاعَةِ اللهِ عز وجل فَرِيضَةً): كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»، متفق عليه، ويقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؛ ولأن الطاعة لأولياء الأمور، تَجتمع بها الكلمة، ويُخرس بها الشيطان، ويحصل بها الخير العظيم.

قوله: (**مَا لَمْ يأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ**): بهذا القيد؛ لأن العلة، هي طاعة الله عز وجل، والمقصد العظيم، هو رضا الله عز وجل، فإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ومع ذلك لا يُخرج عليه، **وهنا مسائل**:

الأولى: أن يطاعون في طاعة الله.

الثانية: ألا يطاعوا في معصية الله.

الثالثة: ألا يُخرج عليهم بسيف ولا بثورة ولا بنحو ذلك، ما داموا مسلمين.

وإن قُدِرَ أنهم كفروا كفرًا بواحًا فالخروج عليهم بضوابطه حتىٰ لا يقع الفساد العريض في المسلمين.

وانظروا إلىٰ ما حصل من خروج الناس علىٰ القذافي، وعلىٰ بشار الأسد، مع ما كان عليه أهل العلم من القول بتكفيرهم، ومع ذلك لما لم تتوفر الشروط التي يذكرها أهل العلم حصل هذا الشر العريض.

فأهل العلم يقولون لا يجوز الخروج علىٰ الحاكم إلا أن يكون:

أولا: **كافرًا**، لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**».

ثانيًا: أن يبدل بخير منه.

ثالثا: ألا تكون الفتنة في المسلمين.

رابعًا: ألا يبدل بشر منه.

خامسًا: وأن يكون لدىٰ المسلمين استطاعة، بحيث لا يستعينون بالكفار.

قوله: (وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاحِ والمُعَافَاةِ): وهذا هو المأمور به، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»، أي: تدعون لهم ويدعون لكم، ثم قال صلىٰ الله عليه وسلم: «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، فالجزاء من جنس العمل، ولا يقول قائل: ليت لنا مثل أبي بكر وعمر، أو ليت لنا مثل أبي عبيدة وخالد.

وقال بعض أهل العلم: لا يصلح لهذا الزمان مثل أبي بكر وعمر لكثرة فساد الناس، ففلو كان في هذا الزمان مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لكان ذلك قدحًا في حكمة الله عز وجل.

فالناس في هذا الزمان لبعدهم عن الدين لا يتحملون أبا بكر وعمر، ربما يقع منهم الفساد العريض بسبب إعراضهم عن حكم أبي بكر وعمر، فأبو بكر وعمر كان رجاله طلحة بن عبيد الله، عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص وكان رجالهم ونساؤهم من خيرة الأمة.

أما في عهدنا فالراعي بعيد، والمرعي كذلك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

[وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةِ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ].

ع

قوله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ): في الاعتقادات، والعبادات، وفي المعاملات؛ فإنه دينٌ شاملٌ كامل.

وقد قال الله عز وجل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، وقال عبد الله بن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم).

والسنة: هي طريقة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، والجماعة هي: جماعة المسلمين، ويدخل فيهم الصحابة رضوان الله عليهم، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ».

قوله: (وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ): فنبتعد بعدًا كليًا عن الشذوذ وهو الانفراد عن الجماعة، (والخِلافَ) للجماعة، (والفُرْقَةَ) الافتراق عن الجماعة؛ وذلك لما يجر إليه من البلاء العظيم، والفساد العريض، وضعف الإيمان، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقال عبد الله بن مسعود

لمَّا أتم عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلاة في مِنىٰ، قالوا له: لماذا تصلي خلفه؟ قال: الخلاف شر، وهذا مصداق قول الله عز وجل:﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾.

والفُرْقة غير الفِرقة، الفُرْقة هي التفرق والتحزب، فهو شر عريض علىٰ الأمة يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وسبب لكل شر، نسأل الله السلامة.

[وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ وَالخِيَانَةِ].

الشرح:

قوله: (**وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ وَالأَمَانَةِ**): نحب المؤمنين الطائعين، لأن الله عز وجل يحبهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال: ﴿إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتّقِينَ﴾، وقال: ﴿إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، فمن أحبه الله عز وجل ينبغي لنا أن نحبه، ومن أحب الله عز وجل، وبادر في مرضاته ينبغي أن يُحب؛ لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يؤدي الىٰ الناس الذي يحب أن يُؤدىٰ اليه، فأهل العدل مع أنفسهم ومع غيرهم.

وقبل ذلك مع ربهم يُحبُّون، وأهل الأمانة يُحبُّون، قال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وقال: ﴿مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، فهذه طريقة المؤمنين.



قوله: (وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ): نبغضهم لبغض الله عز وجل للجور الذي هو الظلم والخيانة، نبغضهم؛ لأنهم خالفوا شرع الله؛ لأنهم اتصفوا بصفات مذمومة عند الله عز وجل، ثم عند العقلاء، فالمحبة تكون للطائع.

[وَنَقُولُ اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ].

الشرح:

وقوله: (وَنَقُولُ اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ): قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما عند البخاري: "نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ".

- **وقال عبد الله بن مسعود، كما عند البخاري:** "يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ".

فتكل العلم ما لم تعلمه إلىٰ الله عز وجل، واسأل أهل العلم، قال تعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، وتقول: الله أعلم في كل شيء، حتىٰ وإن علمت فالله بكل شيء عليم، سبحانه وتعالىٰ، ولذلك تجد بعض الشُّرَّاح إذا ذكر بعض أقوال أهل العلم يقول: والله أعلم، وهذا هو الصواب؛ لأن رد العلم إلىٰ الله عز وجل مرغب فيه ومأمور به، وليس ذلك علىٰ الشك في بعض المسائل، وإنما من باب التبرك بذكر اسم الله عز وجل، وفيه أن الناس لم يحيطوا بكل شيء علما، وإنما يعلمون ما علمهم الله. سبحانه وتعالىٰ، وأن الإنسان ينبغي له أن يرد المشتبه إلىٰ المحكم.



قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

[وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ].

الشرح:

قوله: (وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ): هذه مسألة فقهية، لكن لمَّا خالف أهل البدع وهم الرافضة، وزعموا المسح على الأقدام، ونفوا المسح على الخفين، أتى بهذه المسألة، وأحاديثها متواترة.

فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح على خفيه في حضره وسفره، ووقتَ صلى الله عليه وسلم للمقيم يومًا وليلة وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن كما جاء عن عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم علي بن أبي طالب وغيره.

فالمسح على الخفين سُنة، خالف فيها أهل السنة أهل البدعة، ويكون المسح على ظاهر الخفين، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **"لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وسلم **يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ"**، أخرجه أبو داود.

شرط المسح: أن يدخلهما على طهارة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث المغيرة: «دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ، وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا»، متفق عليه.

وقوله: (**كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ**): أي جاءت في الأخبار الثابتة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

[وَالحَجُّ والجهادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمرِ مِنَ المُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إلى قيامِ السَّاعَةِ لا يُبْطِلُهُمَا شَيءٌ وَلا يَنْقُضُهُما].

الشرح:

قوله:(**وَالحَجُّ والجهادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمرِ مِنَ المُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إلى قيامِ السَّاعَةِ لا يُبْطِلُهُمَا شَيءٌ وَلا يَنْقُضُهُما**): **هذه أيضًا من المسائل التي خالف فيها أهل السنة المبتدعة:** وهو أن الحج والجهاد والجمعة والجماعة والعيد، وغير ذلك من شعائر الإسلام ماضية مع أولي الأمر أبرارًا أو فُجارًا.

أما الرافضة والخوارج ومن إليهم فلا يرون جمعة ولا جماعة، وما ترونه الآن في إيران، إنما هو ببدعة عندهم أحدثها لهم الخميني، وهي ما تسمىٰ بولاية الفقيه، حيث جعل للفقيه مرتبة المهدي ومرتبة الإمام المعصوم، فالأصل عندهم لا يجوز جمعة ولا جماعة ولا عيد ولا حج، حتىٰ إذا حجوا إلىٰ البيت الحرام هم لا يذهبون علىٰ أنه شرعي، وإنما يذهبون علىٰ أنه زيارة للمشاهد أو غير ذلك من الأمور، فلهذا يرىٰ أهل السنة أن الحج والجهاد والجمعة والجماعة والعيد، وهذه الشعائر ماضية مع أولي أمرهم، أبرارًا كانوا أو فجارًا، وقد حج الناس مع الحجاج بن يوسف، بل حج في رفقته عبدالله بن عمر رضي الله عنه وأرضاه، وهو من هو؟.

وقوله: (**لا يُبْطِلُهُمَا**): أي: الشعائر من حج ونحوه، كونك حجيت مع أمير فاسق، أو ظالم، وهكذا لا يبطل الجهاد، كونك جاهدت مع إمام ظالم أو فاسق، وإنما يبطل العمل عدم الإخلاص، وعدم المتابعة وغير ذلك من المبطلات الشرعية.

فهذه مسائل يسطرها أهل السنة والجماعة، من قديم الزمان؛ للرد علىٰ أهل البدعة والشناعة، ولما في الخروج علىٰ أولي الأمر من المفاسد العريضة.

[وَنُؤْمِنُ بِالكرَامِ الكَاتِبِينَ فَإِنَّ اللهَ تعالى قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنا حَافِظِينَ].

الشرح:

قوله: (**وَنُؤْمِنُ بِالكرَامِ الكَاتِبِينَ فَإِنَّ اللهَ تعالى قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنا حَافِظِينَ**): لقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ أي: يحفظون أعمال العبد، وقال الله عز وجل: ﴿لَهُم مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، **والمعنىٰ**: يحفظونه بأمر الله، وأنهم يحفظونه فإذا جاء قدر الله، خلوا بينه وبين القدر.

وقال الله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالملائكة وكلهم الله عز وجل بحفظ أعمال بني آدم، وكذلك بحفظهم: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، كان الذي قدره الله عز وجل.

- **ومن عظيم أعمالهم**: أنهم يكتبون حسنات العباد وسيئاتهم، قيل في معنىٰ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

بأن اسمه رقيب وعتيد، وقيل: مراقب يكتب أعماله، ومَلك اليمين هو الحاكم في هذه المسألة، فقد يؤخر كتابة السيئة حتىٰ يحدث توبة، فإن لم يحدث توبة كتبت عليه سيئة، وقد وُكل ابن آدم قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة.

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم في شأن قرين الجن: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»**. قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»**، وفي رواية: **«فَأَسْلَمُ»**[(١)]، أي: فأسلم منه، وأما ملائكة الله عز وجل فهي ترصد أعمال العباد، خيرها وشرها.

- **وهل تكتب أعمال القلوب؟**

الجواب: نعم تكتب أعمال القلوب؛ لأن للقلوب أعمالًا، فلا يقال كيف يطلع علىٰ ما في القلب؟

نقول: الله عز وجل قد أخبر أنهم يكتبون أعماله، والقلب له أعمال كالخشية، والخوف، والرهبة، والرغبة، والتوكل، والإنابة، كما أن الجوارح لها أعمال،

---

(١) متفق عليه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

واللسان له عمل فيطلعهم الله عز وجل علىٰ تلك الأعمال وإذا كان الشيطان يجري من الإنسان مجرىٰ الدم، ويوسوس للإنسان، ويؤذيه بأنواع الأذىٰ، فكيف لا يكون الملك يعلم ما يعمله الإنسان بقلبه، فنؤمن بذلك كله.

[وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الموْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ].

الشرح:

فقوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الموْتِ)، يسميه العامة عزرائيل، ولا دليل علىٰ هذه التسمية، وله أعوان كثر، كما في حديث البراء عند أحمد: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ»، وهكذا في شأن الكافر قال: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ»، إلا أن ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح.

ولا يقول قائل: كيف، وهذا يموت في الهند، وآخر في إندونيسيا، وهذا يموت في اليمن، وذاك يموت في أمريكا، وربما ماتوا في ساعة واحدة، يجب علينا أن نؤمن بالغيب، وبما أخبر الله عز وجل به، ومما أخبر به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولا نربط الغيب الذي أخبر الله عز وجل به بالـمُشَاهد فإن هذا قد يسبب للإنسان الشكوك، والعياذ بالله، بل نؤمن بأن ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح.



والموت حق، لا يسلم منه أحد، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، إلا من كتب الله عز وجل له البقاء، كالجنة وما فيها.

وقوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ): والإيمان بملك الموت هو إيمان بالملائكة؛ لأن المخالفين في هذا الباب يعتقدون أن الملك ما هو إلا قوىٰ خير، بمعنىٰ أنه لا حقيقة للملائكة، بحيث أن لهم ذوات، وأنهم ينزلون ويعرجون وأنهم يتكلمون ويخرجون ويدخلون ويكتبون، وغير ذلك مما ذكره الله.

ومع أنها ذوات جعل الله عز وجل لها قدرة علىٰ التكيف، وخلقوا من نور، ولهم عقول، بل من أزكىٰ العقول، ووصفهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالرجال، كما في حديث سمرة: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ»[1]، لكنهم لا يجوز أن يوصفوا بالأنوثة أو يسموا بما هو من خصائص الأنوثة، فإن وصف الملائكة بالأنوثة، من صنيع الكفار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

قوله: (المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ): يشعر ويدل علىٰ أنه عبد مأمور لله عز وجل، فلا يستطيع أن يقبض نفس عبدٍ حتىٰ يأتي أجله، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري.

وقد جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ».

هذا الحديث مما يشكك به المشككون في "صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم".

فيقال لهم: لا مطعن في موسىٰ ولا مطعن في الحديث، فالحديث قد ثبت، وموسىٰ عليه السلام رجل، جاءه ملك الموت لقبض روحه، الله أعلم هل كان يعلم أنه ملك الموت، أو أنه، لشدة الموقف لم يتمالك نفسه، فلما عَلِمَ أنه مرسل من عند الله عز وجل مكنه من نفسه، مع أن الله عز وجل خيره أن يعيش السنين الكثيرة، ومع ذلك بادر إلىٰ لقي الله عز وجل.

وقوله: (أَرْوَاح العَالَمِينَ): دليل علىٰ أن الروح أيضًا لها صفات، بخلاف ما يقوله المعطلون، فالمعطلون كما يقولون في الله عز وجل: لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ولا كذا، كذلك يقولون في الروح؛ بأنها لا تدخل ولا تخرج وأن ليس لها ذاتًا، وليس لها صفات، وهذا القول منهم باطل، فإن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «أَلَمْ تَرَوُا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ ؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ:



«فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ»، وفي رواية قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، متفق عليه عن أم سلمة.

ثم تؤخذ هذه الروح وتَوضع في الكفن، الذي هو من الجنة إن كان من المؤمنين، أو الذي هو من النار إن كان من الكافر وتنبعث من هذه الروح ريح طيبة إن كان من المؤمنين، وريح خبيثة إن كان من الكافرين كما في حديث البراء المتقدم، فنؤمن بما دل عليه الكتاب والسنة.

[و(نؤمِن) بعذابِ القبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهلًا وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

الشرح:

قوله: (**وَنؤمِن بعذابِ القبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهلًا**): نقر أيضًا بعذاب القبر لمن كان له أهلًا هذا قيد مهم، صحيح أن أكثر كلام أهل العلم علىٰ عذاب القبر، وربما تكلموا عن النعيم استطرادًا، بل السبب في ذلك أن المنكرين والمخالفين في هذا الباب، ينكرون عذاب القبر، وإلا فيجب علينا أن نؤمن بما في القبر من النعيم والعذاب، فعذاب القبر يكون لمن كان له أهل، **وأهل عذاب القبر صنفان:**

الأول: الكافرون الذين يعذبون عذاب الخالدين في النار.

الثاني: عصاة المسلمين الذين أراد الله عز وجل أن يعذبهم، فمنهم من يُعذب إلىٰ قيام الساعة، ومنهم من يكون عذابه فترة من الزمن، ثم ينقطع عنه.

والدليل علىٰ الانقطاع حديث جابر رضي الله عنه قال: أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَىٰ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَىٰ ذَلِكَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّىٰ مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَىٰ نَبِيِّهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم:: «**اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**»، أخرجه مسلم.

وهكذا حديث ابن عباس في القبرين الذي مر عليهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»، متفق عليه.

وأما الاستمرار أدلته كثيرة، أدلته كثيرة من حيث أنه يعذب في قبره إلىٰ أن تقوم الساعة، كما في حديث سمرة بن جندب في البخاري: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ**».

فمسألة انقطاع العذاب عن المؤمن في القبر، **الصحيح فيها**: أنه ينقطع، وأن عذابه من جنس عذابه في الاخرة.

ثم إن من مكفرات الذنوب عذاب القبر، فيعذب المؤمن إن أراد الله له ذلك بقدر ذنبه.

قوله: (وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ): لم يرتب وإلا فإن سؤال منكر ونكير قبل النعيم والعذاب، وهو أول ما يفاجئ به العبد بعد الضمة، أولها الضمة ثم الفتنة، ثم يأتيه ملكان أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ.

فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «**هَاهُنَا**» وَقَالَ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**» قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «**وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عز وجل {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} " الْآيَةُ - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ**

صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ».

فيقوم المؤمن غير فزع ولا مشغوف، ويقوم المنافق والكافر فزعًا مشغوفًا.

فالتسمية بمنكر ونكير ثابتة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، في حديث أبي هريرة عند الترمذي: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ»، فيسألانه في القبر عن ربه ودينه ونبيه.

وهذه الثلاثة الأصول التي ألفَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله علىٰ منوالها الأصول الثلاثة، فهي الأصول التي يُسأل عنها العبد: من ربك؟ وما دينك؟ وفي بعضها ومن نبيك؟ في بعضها: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟»،



فتكون إجابة المؤمن كما في حديث أسماء في البخاري ومسلم: «فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا»، وأما الكافر والمنافق، فلا يحصل منهم الجواب.

والفتنة تقع علىٰ جميع المكلفين صغارًا وكبارًا، جنًا وإنسًا ذكورًا وإناثًا، مؤمنين وكفارًا، خلافًا لابن عبد البر، فإنه ذهب إلىٰ أن السؤال والفتنة إنما تكون علىٰ أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: كيف والنبي صلىٰ الله عليه وسلم، كان يقول لأصحابه: «أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ»، يقال: لأنه كان مخاطبًا لهم، وإلا فالأدلة عامة.

حتىٰ الطفل ثبت عن أبي هريرة أنه كان يدعو الله عز وجل أن يقيه من فتنة القبر وعذاب القبر، ويجعل الله عز وجل له إدراكًا علىٰ الإجابة.

قوله: (عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَعَنِ الصَّحابَةِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم): وما جاء عن الله عز وجل أو جاء عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وثبت، أو جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم وثبت، مما لا مجال للعقل فيه، يجب علىٰ الإنسان أن يعتقده ويؤمن به، فإن هذه مسائل قائمة علىٰ الإيمان بالغيب، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

وأما المعتزلة والخوارج والرافضة ومن إليهم مثل أصحاب حزب التحرير المعتزلة الجدد، فإنهم ينفون مثل هذه الأخبار المنقولة عن النبي صلىٰ الله عليه

وسلم، بالنقل المتواتر، فضلًا عن الآحاد، بل أن الله عز وجل قد قال في كتابه: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

والحياة البرزخية حياة الطويلة، والإيمان بها واجب خلافًا لما عليه الوثنيون، من الهندوس وغيرهم، ممن يعتقدون أن الروح إذا خرج من الإنسان عاد إلىٰ آخَر أو صار حيوان آخر، ثم يذكرون أنه إن كان من أهل الخير، صارت روحه في شيء خير، وإن كان من أهل الشر كان العكس، مثلًا تكون بومة أو يكون غرابًا، **والصحيح**: أن كل روح لذاتها، لا تناسخ ولا تحول، وإنما روح المكلف إذا مات، إما في نعيم أو في عذاب، ثم يوم القيامة إذا أُعيد عادت إلىٰ جسده.

[والقبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النّيرَانِ].

الشرح:

قوله: (والقبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النّيرَانِ): **لأدلة في ذلك**، وأما كونه حديث ثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بهذا اللفظ فلا، لكن أدلة تدل علىٰ أنه يكون المؤمن في سعة، ويرىٰ منزله من الجنة ويرىٰ الخير العظيم، ويأتيه من رَوحها وريحانها كما أخبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم عند أبي داود: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ

فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا: وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟». قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟». قَالَ: «فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ». زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عز وجل: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا }"، الْآيَةَ. ثُمَّ اتَّفَقَا: قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا». قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ». فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا»، قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ، مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا»، قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا»، قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ».

وهكذا الضمة يستمر فيها الكافر بخلاف المؤمن، فقد جاء عن قتادة في "الصحيح": (وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ)، وفي رواية عند أحمد عن أنس بن مالك ذُكر عن الكافر والمنافق: «يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ».

وسبحان الملك الغلاب الذي لا يعجزه شيء، قبور مدفونة تحت الثرىٰ، لا تُميزُ بينها بشيء، إذا فتحتها وجدتها رميمًا أو رفاتًا، ثم مع ذلك فيها من النعيم أو العذاب ما الله به عليم.

بل ربما يقبر اثنان في قبر واحد وهذا ينعم وهذا يعذب، فأمر الآخرة أمر غيبي ما علينا إلا الاستسلام والقبول والتصديق.

[وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْمِيزَانِ، يُوزنُ به أعمال المؤمنين، والخير والشر، والطاعة والمعصية].

الشرح:

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ): تقدم الكلام علىٰ الإيمان بالبعث في كلامنا علىٰ الإيمان باليوم الآخر، والبعث: هو الإثارة يخرج الناس من قبورهم حفـاة عراة غرلًا بُهمًا حفـاة ليس لديهم نعال، عراة ليس عليهم ثياب، غُرلًا غير مختنين، بُهمًا ليس لديهم شيء من المال، ولا شيء من الجاه، ولا شيء مع الإنسان إلا العمل نسأل الله السلامة.

وأول من يكسىٰ يوم القيامة هو إبراهيم عليه السلام، **قيل**: السبب في ذلك أن إبراهيم عليه السلام، حين أُلقي في النار حرقت ثيابه أو نحو ذلك، فيكون أول من يكسىٰ، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، **يعني**: يتعجبون من الذي بعثهم من هذا المرقد، ويخرجون مسرعين، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، نسأل الله السلامة.

قوله: (وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ): ونؤمن بجزاء الأعمال، فبعد البعث يجازىٰ المؤمن بإيمانه، ويجازىٰ الكافر بإجرامه، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا﴾، **يعني**: يجازون علىٰ أعمالهم سواءٌ بسواء، والمؤمن يكون شأنه كما قال تعالىٰ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، أي: عطاء واسعًا مضاعفًا، فيجازيه الله عز وجل بعشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف، وهذا فضل عظيم.

وقد قال الله عز وجل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفي قراءة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي: يوم الدين يوم الجزاء، والحساب، يختصم الناس إلىٰ الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، فمن كان من أهل الصلاح فهنيئًا له، ومن كان من الكافرين فالويل له.

قوله: (**وَالعَرْضِ والحِسَابِ**): أيضًا نؤمن بالعرض والحساب، العرض في حق المؤمن، والحساب في حق الكافر، وأما قول الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، فسره النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث عائشة قالت: أَنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}، قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ»[1]، وفي حديث ابن عمر وغيره أنه يُقرر بذنوبه، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»، متفق عليه.

قوله: (**وَقِرَاءةِ الكِتَابِ**): نؤمن أيضًا قراءة الكتاب، الذي كتبه الكرام الكاتبين، وكتبه الحفظة لأعمال بني آدم، الذي: ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذٌ كتابه بشماله، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري.

قوله: (**والثَّوَابِ والعِقَابِ**): نؤمن أيضًا بالثواب للمؤمنين الطائعين، والعقاب للكافرين، وأدلة ذلك كثيرة في قصار المفصل وفي غيرها، قال تعالىٰ: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾.

قوله: (**والصراطِ**): نؤمن كذلك بالصراط وهو الجسر الممدود علىٰ متن جهنم، لا يجوزه إلا المؤمنون، وفي طرفه إلىٰ الجنة قنطرة يتقاصَ الناس فيها، فلا يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لأحد.

قوله: (**وَالمِيزَانِ**): **وكذلك نؤمن بالميزان**، وهو ميزان حقيقي له كفتان ولسان، توزن به أعمال العباد، ويوزن العمل والعامل، والصحف، وكل ذلك ثابت في السنة النبوية.

وأما قول الله عز وجل: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، **فالمراد به**: أنه يوزن ولا وزن له.

وأما الجمع في قول الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فالمراد بها علىٰ كثرة الموزونات، لا علىٰ أنها عدة موازين.



- **وأما الدليل علىٰ أنه يوزن العمل**: فحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». متفق عليه.

- **وأما الدليل علىٰ وزن العامل**؛ فحديث ابن مسعود عند أحمد: أن الصحابة رضي الله عليهم، ضحكوا من دقة ساقيه، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ».

- **وأما الدليل علىٰ وزن الصحف**: فحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عند الترمذي: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

والترتيب يكون: الحوض، ثم الميزان، ثم الصراط، والكلام يطول علىٰ هذه المسائل وقد استوعبناه في مواطن أخرىٰ.



والكافرون يساقون إلىٰ النار سوقًا، ويتقادعون فيها تقادع الفراش، والمنافقون يصعدون علىٰ الصراط ثم تنطفئ أنوارهم، فيرجعون القهقرىٰ، فيقعون فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾.

وكل هذه المسائل التي يخالف فيها المعتزلة والخوارج، ومن إليهم من أهل البدعي، ولذلك يقرر أهل السُنة والجماعة هذه المسائل في كتب العقائد، حتىٰ تعتقد علىٰ الوجه الذي شرعه الله عز وجل، والذي ذكره الله عز وجل.

[وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلوقتَانِ لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا ولا تَبِيدَانِ، (فإنَّ) اللهَ تَعَالى خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلى الجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إِلى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ وَصَائِرٌ إِلى مَا خُلِقَ لَهُ].

الشرح:

قوله: (وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلوقتَانِ): هذه الفقرة من مهمات العقيدة؛ إذ أن الجهمية يخالفون فيها، ويزعمون أن الجنة والنار غير موجودة الآن، ويزعمون أيضًا أنها تفنىٰ، وقد تقدم في مسألة التسلسل في الحوادث، وعلمنا أن الجهمية يمنعون التسلسل في الماضي والمستقبل، وهذا القول منهم صادر عن هذا الاعتقاد من

أن الجنة والنار غير موجودة الآن، وأنهما تفنيان وتبيدان، والأدلة علىٰ وجودهم كثيرة، منها قول الله عز وجل: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ في وصف الجنة.

وقال في وصف النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم في أحاديث متواترة يخبر أنه رأىٰ الجنة والنار كما في أحاديث الكسوف والخسوف.

وقوله صلىٰ الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ»، وجاء عن ابن عباس وعن عائشة، وعن جابر وجاء غيرهم كثير، وهكذا يقول صلىٰ الله عليه وسلم: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ، وَالنَّارُ».

وفي حديث ابن عباس يقول في شأن النار: «فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، وفي شأن الجنة: «فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ»، ويقول صلىٰ الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»، أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.



وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ، وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا»، أخرجه البخاري.

وقوله: (**لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا ولا تَبِيدَانِ**): لأن الله خلقهم للبقاء:

ثمانيــة حكــم البقــاء يعمهــا — من الخلق والباقون في حيـز العـدم

هم العرش والكرسـي نـار وجنـة — وعجبٌ وأرواح كذا اللوح والقلم

والأدلة علىٰ بقائهما من القرآن، قول الله عز وجل: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، في شأن الجنة وفي شأن النار، وقال تعالىٰ: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾، وقال الله عز وجل في شأن النار: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، وقال: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، وقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾، وقال: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، إلىٰ غير ذلك من الأدلة الصريحة في بقاء الجنة وبقاء النار، وبقاؤها بإبقاء الله عز وجل لهما.

واستدل المبتدعة بقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، وهذا الاستثناء منقطع عند أهل العلم، ومع ذلك قد وجهوهُ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، **يعني**: من باب التبرك بذكر الله عز وجل، أو ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من باب من دخل النار من أهل التوحيد، ثم يخرجون منها، ومع ذلك لو بقي الإشكال، عند بعض في مثل هذه الآية، فهذه الآية ترد إلىٰ المحكم الواضح ببقاء الجنة والنار.

قوله: (وإِنَّ اللهَ تَعَالى خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ): تقدمت الأدلة علىٰ ذلك، ومنها حديث أبي هريرة في إرسال جبريل إلىٰ الجنة وإلىٰ النار.

قوله: (وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا): كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، أخرجه أحمد.

فالله عز وجل قد فرغ من العباد، قال تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، والعباد سائرون إلىٰ ما قد كتبه الله عز وجل عليهم وقدره، فمن شاء منهم إلىٰ الجنة فضلًا منه:

ما للعباد عليه حق واجب | كلا وسعي لديه ضائع



إن عــــذبوا فبعدلــــه أو نعمـــوا فبفضـــله وهـــو الكـــريم الواســـع

ومن شاء إلىٰ النار عدلًا منه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وقال: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»، أخرجه مسلم.

فالله عز وجل من أدخله النار أدخله بعدله، وكلٌّ يعمل علىٰ ما قد فُرِغَ منه وَكُتِبَ في اللوح المحفوظ، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، لما قيل له: يَا رَسُولَ اللهِ، فِيمَ إِذًا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾"، متفق عليه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومع ذلك فإن الله عز وجل يدخل المؤمن الجنة بإيمانه وعمله، مع رحمته له، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ»، متفق عليه.

ويستشكل هذا الحديث مع قول الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ولا إشكال، فإن الباء في قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ باء سبب والمنفي في الحديث باء العوض، فليست الجنة عوضًا عن عمل العبد، وإنما العمل سببًا لدخول الجنة، وإلا فإن الله عز وجل يتفضل علىٰ العباد،

ويجازيهم ويكرمهم حتىٰ يصلوا إلىٰ ما يصلوا إليه، وكل مخلوق من المكلفين صائر إلىٰ ما خلق له، ليس له تحول عما خُلق له، والله عز وجل بكل شيء عليم، وليس فيه أن العبد مجبور علىٰ ما عمله، وإنما فيه أن الله عز وجل قد خلق الخلق وعلم ما هم عاملون، «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

[وَالخَيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى العِبَادِ].

الشرح:

قوله: (وَالخَيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى العِبَادِ): وكلاهما من الله، فالله خالق الخير وخالق الشر، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وأما قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم في حق الله عز وجل: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» فقد تقدم بيانه مرارًا، **ملخصه**: أن الشر لا يرفع إليه أو لا يتقرب به إليه أو لا يضاف إليه، أو ليس بشر بالنسبة إليه، وإنما هو شر بالنسبة للمخلوقين، فإن الله عز وجل أفعاله صادرة علىٰ مقتضىٰ حكمته وعلمه.

[وَالاسْتِطَاعَةُ التي يَجِبُ بِها الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفعْلِ، وَأَمّا الاسْتطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصحَّةِ وَالوُسْعِ والتَّمَكُّنِ وَسَلامَةِ الآلاتِ فَهِي قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وهِيَ كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾].

الشرح:

قوله: (**وَالاسْتِطَاعَةُ التي يَجِبُ بِها الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفعْلِ، وَأَمّا الاسْتطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصحَّةِ وَالوُسْعِ والتَّمَكُّنِ وَسَلامَةِ الآلاتِ فَهِي قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وهِيَ كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾**): هذه مسألة كلامية يتكلم فيها أهل القدر كثيرًا، وهي هل الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل أو بعد الفعل؟

أما القول بأنها بعد الفعل فقول ظاهر الضعف، وأما القول بأنها مع الفعل، يعني يريدون أن يلزموا أن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيء إلا بالتوفيق، فكيف إذن يعذبه الله عز وجل علىٰ هذا الأمر، فهذا ليس بلازم فقد قسم الطحاوي رحمه الله الاستطاعة إلىٰ قسمين:

أولا: **الاستطاعة التي يجب بها الفعل**، من نحو التوفير، فهذه تكون مقارنة للفعل، وبالنسبة لاستطاعة العبد من حيث أنه صحيح البدن والجسم، يستطيع الطهارة، والمشي، وأن يأتي بالعمل، فهذه قبل الفعل.

وأهل الكلام يريدون بهذا إثبات الجبر لله عز وجل، تعالىٰ وتقدس عن ذلك، والنفاة يريدون نفي الخلق والتقدير والمشيئة وغير ذلك، ويثبتونها للعبد، فلابد من التفريق بين المختلفات والتوفيق بين المتماثلات.

فمثلًا: يكون أحدنا مستطيعًا للصلاة، بحيث أن بدنه صحيحًا ويستطيع الطهارة، والمشي، لكن التوفيق بيد الله عز وجل إن وفقه قام بالفعل، وإن خذله ربما لا يقوم بالفعل، ففرقَ بين الاستطاعتين، ما كان من التوفيق فهو من الله عز وجل فضلًا زائدًا، وما كان من الاستطاعة التي من جهتها التكليف، فالله عز وجل لا يكلف العباد إلا ما يستطيعون، قال تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا﴾، هذه التي يتعلق بها الخطاب، أما مسألة التوفيق وعدم التوفيق، فهذه لا يتعلق بها خطاب، فالذي يتعلق به الخطاب أن الله أمر الإنسان القادر بعبادته، فمتىٰ عجز عن شيء فلا يكلفه الله عز وجل ما عجز عنه، ومتىٰ ترك عن اختيار وقصد هنا يعاقب ويحاسب.

[وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ].

الشرح:

قوله: (**وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ**): تقدم قول الله عز وجل ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وفي الحديث: «الله خالق كل صانع صنعتَه»، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، فأفعال العباد خلق لله سواء خيرها أو شرها، كلها خلق لله عز وجل.

ورأس الشر إبليس وقد خلقه الله عز وجل، كما قال الله عز مخبرًا عنه: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

والذين يقولون بعدم خلق الله عز وجل للشر زعموا التنزيه، وهم واقعون في التعطيل، فإنهم حين قالوا بأن الله لم يخلق الشر، وإنما العبد هو الذي خلق الشر، أثبتوا الخلق لغير الله عز وجل، وأثبتوا أن يكون في ملك الله عز وجل ما لا يشاءه الله عز وجل، ولا يريده، فوقعوا في شر عريض.

فنحن نؤمن أن الله عز وجل خلق الخير ومحبًا له، مريدًا له شرعًا، وخلق الشر ومبغضًا له، لكن قد يريده من كثير من الناس كونًا فبه تحققت مصالح عظيمة، اختبرهم وابتلاهم، وابتلىٰ المؤمنين بالكافرين، وأنزل وأرسل الرسل بسبب وجود الشر، الذي بين الناس.

قوله: (وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ): لو عبر بغير كلمة (كسب) كان أحسن وذلك لاصطلاح الأشاعرة عليها، وإن كان ربنا سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: لها ما كسبت من الخير وعليها ما اكتسبت من الشر، وزيد في بناء اكتسبت؛ لأن الشر يُجتهد في الحصول عليه وتحقيقه.

فلو عبر المنصف بأنها فعل للعباد لكان أولىٰ، لماذا؟ لأن اصطلاح الكسب قد اتخذه الأشاعرة سبلًا للقول بالجبر، فالجهمية صرحوا علىٰ أن العبد مجبور ولا فعل له، وأن الفاعل هو الله عز وجل، فجاء الأشاعرة وأتوا بالكسب، قالوا نحن ما نقول بأنه مجبور، وله كسب.

لكن عند التحقيق تجد أنهم يجعلون الإنسان كالآلة، والفاعل الحقيقي هو الذي يتعاطى الفعل بالآلة، فقولهم عائد إلى قول الجهمية، **ولهذا قال بعضهم:**

مِمَّـا يُقَـال وَلَا حَقِيقَـة تَحْتَـهُ ❁❁ معقولــة تــدنوا إِلَـى الأفهــام

الْكسْـب عِنْـد الْأَشْـعَرِيّ وَالْحَـال ❁❁ عِنْـد البهشــمى وطفــرة النظــام

لكن نحن نقول: هو فعل من العباد، فالعبد له قدرة واستطاعة ومشيئة وفعل، وهذه صادرة عن قدرة الله ومشيئة الله، وإرادة الله عز وجل الكونية، فالله عز وجل ما شاء كان، ومن شاء لم يكن، فلابد في هذا الباب من إثبات ما لله لله، وإثبات ما للعبد للعبد، أما التفريق وهو أن يُثبت الاستطاعة والقدرة والمشيئة والخلق لله عز وجل، ويُعطل العبد، بحيث يكون الله هو الفاعل كما يقول الجهمية، هذا قول باطل كفري، وأما أن يعطل الله عز وجل من صفاته، ويُثبت للعبد الخلق والقدرة والمشيئة والاستطاعة، فهذا قول القدرية النفاة، فكلاهما قولان باطلان، والسبب في ضلالهم أن القدرية النفاة أخذوا أدلة تنزيه الله عز وجل عن محبة الشر ونحو ذلك، وأولئك أخذوا أدلة المشيئة والاستطاعة ونحو ذلك.

- **قال ابن القيم** رحمه الله: (ما استدل به القدرية النفاة، وهو دليل صحيح فيه رد على الجبرية، وما استدل به الجبرية وهو دليل صحيح ففيه رد على القدرية النفاة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ما أتى مبتدع ببدعة ويستدل عليها بدليل من الكتاب والسنة إلا كان في الدليل رد عليه).

فمثلًا الجبرية يستدلون بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، فأثبت الله عز وجل الرمي له، وأنت ليس لك فعل، ولا قدرة ولا استطاعة، والآية ترد عليهم، حيث قال الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ فأثبت الله عز وجل للعبد رميًا، فالنبي صلىٰ الله عليه وسلم رمىٰ كما قال الله عز وجل وكما هو ثابت في السُنة الصحيحة، أنه أخذ كفًا من حصىٰ فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ».

ولكن ما معنىٰ قول الله عز وجل: ﴿وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ هو: أن الله الذي سدد، وهو الذي أصاب، وهو الذي وفقَ لما وفق له، فتجد في الدليل رد علىٰ باطلهم وعلىٰ بدعتهم.

[وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ الله به، وَهُوَ تَفْسِيرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العلي العظيم نَقُولُ لا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَولَ وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، إِلَّا (بِعصمةِ) اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ].

الشرح:

قوله: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلاَّ مَا يُطِيقُونَ): هذا صواب، قال تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا﴾، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».



قوله: (**وَلا يُطَيَّقُونَ إلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ**): هذا باطل، فإن الإنسان يطيق أكثر من ذلك، فلو فرضَ الله علينا أربعين يومًا صيام نستطيع أم لا نستطيع؟

نستطيع، ولو فرض الله علينا عشر صلوات في اليوم والليلة لا استطعناه، ولكن الله عز وجل فرض علينا ذلك رحمة منه وفضلًا، وكذلك لو فرض علينا الحج في العمر مرتين لمن استطاع إليه سبيلًا، ما استطاع بعضهم أن يحج مرتين، وثلاثًا وأربعًا، فقوله: (**لا يُطَيَّقُونَ إلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ**): قول باطل مردود بأدلة الكتاب والسُّنة والواقع.

- قال العلامة عبد العزيز بن باز **رحمه الله**: (هذا غير صحيح بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه، ولكنه عز وجل لطف بعباده، ويسر عليهم، ولم يجعل عليهم في دينهم حرجًا فضلًا منه وإحسانًا، والله ولي التوفيق).

قوله: (**وَهُوَ تَفْسِيرُ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ**): أما لا حول ولا قوة إلا بالله، فهي كنز من كنوز الجنة، **ومعنىٰ ذلك**: لا تحول لنا ولا قوة لنا علىٰ فعل فعل إلا بتوفيق الله عز وعونه.

قوله: (**نَقُولُ لا حِيلَةَ لأَحَدٍ وَلا حَرَكَةَ لأحَدٍ وَلا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيةِ اللهِ إلاَّ بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ لأَحَدٍ عَلَى إقَامةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إلاَّ بِتَوْفِيقِ اللهِ**):

نعم، هذا هو هداية التوفيق، فهي محض نعمة الله عز وجل علىٰ عباده، وهي مختصة بالله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.



فلا بد من تحقيق هذا الباب العظيم، أن ما من شيء يقع في العالم إلا بقدرة الله، وتوفيق الله في العمل الصالح، وخذلان الله عز وجل للعبد في العمل الطالح.

وقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لابن عباس: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»، أخرجه الترمذي.

[وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِه، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّها، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ أَبَدًا تَقَدَّسَ عَنْ كلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالى وَعِلْمِهِ): أي أن كل شيء يقع في هذا العالم بمشيئته، فمشيئته نافذة لا راد لها ولا خلف، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾، وفي كلام المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

- وفي شعر الشافعي المشهور عنه:

مَـا شِـئْتَ كَـانَ وإنْ لـم أشَـأْ ... وَمَـا شِـئْتُ إن لَـمْ تَشـأْ لَـمْ يكـنْ

والناس يتناقلون هذا، ويعتقدونه ثم يأتي نفاة القدر، ويزعمون أن الله عز وجل لم يشأ الشر، ثم نتج عنه هذا القول: أن الله لم يخلق الشر، فتسلسل الأمر لديهم، فما من شيء يقع في هذا العالم إلا وشاءه الله، إلا أن بعضه شاءه الله عز وجل لذاته، وهي الطاعات والقربات، وبعضها شاءها الله عز وجل لغيرها وهي المعاصي والسيئات.

فالسيئات والمعاصي شاءها الله عز وجل كونًا لما يتحقق بعدها من المصالح للعباد: من التوبة، والإيمان، والاستغفار، والإنابة، وكذلك يبتلي المؤمنون بالكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فإذا صبر المؤمنون تحقق لهم الخير العظيم.

وأيضًا هذه الأمور واقعة بعلم الله، كما تقدم من أن الله بكل شيء عليم، وهذه هي المرتبة الأولىٰ من مراتب القدر.

قوله: (وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ): أي: بما قضاه وقدره.

- **وهنا مسألة**: وهي هل يجب الرضا بكل مقضي؟ أي: بكل ما يقع؟

الجواب: ما قاله بعضهم: ليس واجب علىٰ العبد الرضىٰ بكل مقضي ولكن بالقضاء، أي: ليس بواجب علىٰ العبد الرضا بكل ما قضاه الله، فلا يجوز له أن يرضىٰ بالكفر، أو المعاصي، كشرب الخمر وغير ذلك من البلاء، ولكن يرضىٰ بقضاء الله عز وجل الذي هو فعله، علىٰ أنه قدر ذلك الأمر لحكمة أرادها، مع وجوب التوبة من المعاصي والسيئات.

قوله: (غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا): أي: قهرت ووقعت، بخلاف مشيئة العبد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، لا استطاعة للعبد إلا في شيء شاءه الله عز وجل، وإلا لن يستطيع أن يقدم أو يؤخر.

قوله: (وغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّها): مهما حاول الإنسان أن يتمرد علىٰ تقدير الله عز وجل فإنه كائن.

ما قضىٰ الله كائنٌ لا محالَهْ   والشَّقِيُّ الذَّمِيمُ مِنْ لامَ حالَهْ

قوله: (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ أَبَدًا): لأن الملك ملكه، والخلق خلقه، ولأن الله عز وجل: ﴿لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، لكن المبتدعة قد يأخذون من مثل هذا الإطلاق القول بتجويز الظلم علىٰ الله عز وجل، فلذلك يقول السفاريني في عقيدته: وهو ممن انتقد عليه:

وجاز للمولىٰ يعذب الورىٰ   من غير ما ذنب ولا جرم جرىٰ

هذا القول رده العلماء عليه واعتبروه من الأغلاط الشنيعة في هذا الباب، إذ أنه يجوز علىٰ الله عز وجل الظلم، وأنه يعذب العباد بجرم لم يصنعوه.

وإنما المعنىٰ: أنه لو فعل ما فعل بالعباد، فهو غير ظالم لهم، لأن له من الحق العظيم، ما يدل علىٰ نقص العبد وعدم إتيانه به، وفي حديث حذيفة وغيره أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»، أخرجه أحمد وغيره.

وليس المراد أنه يعذب بغير ذنب، ولكن لو أراد الله عز وجل أن يؤاخذ العباد بكل نعمة أنعم بها عليهم لكانت طاعات الطائعين لا توافي شيئًا أمام نعم الله عز وجل.

قوله: (تَقَدَّسَ عَنْ كلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ): أي: تنزه عن كل سوء ونقص وعيب.

قوله: (وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ): هذا من باب السجع في هذا الباب والمعنىٰ متقارب، فالله عز وجل متنزه عن عن صفات السوء وسمات المحدثين وكلامه هنا علىٰ مسألة القدر، أن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد، وأنه ما شاء كان ومن لم يشأ لم يكن: ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

هذا الدليل احتج به الجبرية علىٰ أن الله عز وجل له أن يعذب من شاء، ولا يُسأل عن ذلك ولا يُعارض، والحق ليس كما ذهبوا إليه.

بل إن الله عز وجل: ﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾؛ لكمال علمه وحكمته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فهذا الدليل يحمل علىٰ تلك الأدلة من أن الله عز وجل ما شاء فعل، لكنه قد حرم الظلم علىٰ نفسه.

[وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ، وَالله تَعَالى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الحَاجَاتِ].

الشرح:

قوله: (**وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ**): في هذا بيان: أن الذي يصل الميت هو الدعاء، وينتفع كذلك بالصدقة، لثبوت ذلك بالأدلة، وأما إهداء القرآن والصلاة وغير ذلك، مما لا دليل عليه فلا يصلح.

بل هو من البدع، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾ إلا أن الحج والعمرة أيضًا قد ثبت به الدليل، مثل حديث أَبِي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ عند الترمذي: أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلَا العُمْرَةَ، وَلَا الظَّعْنَ، قَالَ: «**حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ**».

والصدقات قال ابن المبارك: (**ليس في الصدقة خلاف**) أي: أنها تصل إلىٰ الميت؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»، أخرجه مسلم.

ومع ذلك فقد أحدث الناس إحداثات كثيرة في هذا الباب، فمثلًا يقول: اقرأ هذا المصحف علىٰ نية أبي، أو يصلي صلاة ويقول هذه الصلاة أهديها لأمي، هذا من البدع التي لم ترد في شرعنا، ويقضىٰ عنه الصوم إن مات وعليه صوم؛

لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

قوله: (وَالله تَعَالى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الحَاجَاتِ): أي: علىٰ المسلم أن يأتي بالدعاء، والله عز وجل هو الذي يستجيبه، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»، أخرجه الترمذي وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وكم نرىٰ من لطف الله عز وجل بعباده وإكرامه لهم، فكم مفسد مسرف علىٰ نفسه دعا الله عز وجل بالصلاح، فاستجاب الله له وأصلح حاله، وكم من مظلوم انتصر الله له، وكم من فقير أغناه الله، وكم من مريض شفاه الله.

وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، فمنزلته رفيعة، فإن الذي يستغني عن الدعاء ويقول أنا ما سأدعو الله ولا أحتاج إليه قد يكفر، بل نحن نحتاج إلىٰ دعاء ربنا سبحانه وتعالىٰ.

ويقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»، أخرجه مسلم.



وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «يَنْزِلُ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى، هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالله عز وجل ما أمر بذلك إلا وهو يحب ذلك، وعلمنا بما علمنا من أسمائه وصفاته لندعوه بأسمائه ونتوسل إليه وصفاته، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وتأمل حال الأنبياء والرسل وهم ذروة البشرية مع الدعاء؛ وذلك لبركته وعظيم منزلته.

[وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ وَلا يَمْلِكُهُ شَيءٌ، وَلَا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ].

الشرح:

قوله: (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ وَلا يَمْلِكُهُ شَيءٌ): وهذا أمرٌ معلوم ضرورة، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فكل شيء ملك له، لا يخرج عن ملكه شيء، ولا يخرج عن تصرفه شيء، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا



تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

قوله: (**وَلا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالى طَرفَةَ عَيْنٍ، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ**): أي: لا غِنىٰ للعبد عن الله طرفة عين، فمن استغني عن الله ثانية أو أقل من الثانية صار من الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

- **فينبغي للعباد**: أن يعلموا ما لهم من الحاجة إلىٰ رب العباد، فيتضرعوا إليه ويرجوه ويدعوه، ومعرفة الضعف الإنساني والفقر الذاتي، موجب للجوء إلىٰ صاحب الغني الذاتي، الذي لا ينفك عنه غناه، أزلًا وأبدًا، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

وقال صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».



فنحن بحاجة إلىٰ الله عز وجل، في جميع أحوالنا وحركاتنا وسكناتنا، لا نستطيع شيء إلا بإقدار الله عز وجل لنا، ولا هداية إلا بتوفيق الله عز وجل لنا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَكِنّ اللّه يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

[وَاللَّهُ تَعالى يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى].

الشرح:

قوله: (وَاللَّهُ تَعالى يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى): **فيه**: إثبات الصفات الفعلية لله عز وجل كالغضب، قال تعالىٰ: ﴿غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وقال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، وقال: ﴿فَلَمّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

والأسف في حق الله عز وجل هو شدة الغضب، وأما الأسف بمعنىٰ الحزُن فإن الله عز وجل منزه عنه، قال تعالىٰ: ﴿يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾، والأدلة كثيرة علىٰ غضب الله عز وجل، منها أحاديث الشفاعة: قال صلىٰ الله عليه وسلم مخبراً عن قول الأنبياء: «إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ».

ويغضب الله عز وجل علىٰ الكافرين، وعلىٰ المعرضين، ويرضىٰ عن المؤمنين، كما تعالىٰ: ﴿رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وصفة الرضا من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»، أخرجه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»، إلىٰ غير ذلك من الأدلة.

فبين المصنف بذكر هاتين الصفتين عقيدة أهل السنة في بقية صفات الفعلية؛ لأن الأشاعرة يخالفون في إثبات الصفات الفعلية، والمعتزلة كذلك في جميع الصفات، مع أن الله عز وجل يقول: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، فهو يحب ويرضىٰ، ويغضب ويسخط ويكره، إلىٰ غير ذلك مما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

[وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَلا نُفرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنهُمْ، وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ ولا نَذْكُرُهُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ وحُبُّهُمْ دِينٌ وإيمانٌ وإحْسانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ونِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ].

الشرح:

قوله: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَلا نُفرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنهُمْ): هذه فقرة مختصرة؛ لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأننا نحب جميعهم لأن الله عز وجل أمرنا بذلك، ولأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمرنا بذلك؛ ولأن الله أحبهم وهكذا رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ولا نفرق بينهم وإن كان بعضهم أفضل من بعض، لكن لا نبغضهم أو نتكلم فيهم أو نزهد منهم، والحال كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم في يونس بن متىٰ عليه السلام: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وليس المراد: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ليس أفضل من يونس، بل إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أفضل من يونس، وأفضل من غيره من الأنبياء والمرسلين، لكن إذا كان التخيير سيؤدي إلىٰ تنقص يونس فهنا منهي عنه، ولذلك قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم أيضًا في شأن موسىٰ: لما خيروه عليه قال: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- فالشاهد: أن الصحابة كلهم عدول وثقات، وكلهم في مرتبة علية وليس فيهم دني، كما قيل في الجنة: «أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَة»، وليس فيها دني، بل كلها خير ورفعة، لكن مع ذلك التفاضل حاصل، **فالواجب علينا: أن نحب جميعهم**،

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ»، أخرجه مسلم.

والأنصار اسم يدخل فيه المهاجرون والأنصار، كلهم نصروا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكلهم كانوا معه علىٰ الخير والهدىٰ والنصرة، فحبهم

إيمان وبغضهم نفاق، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»، متفق عليه.

قوله: (وَلا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنهُمْ): كائنًا من كان، بل كلهم له قدر ومنزلة، لو لم يكن إلا أن الله عز وجل اصطفاه واختاره أن يكون من وزراء محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وأنت لم يكن لك هذا الحظ، ولم يكن لك هذا النصيب، وهو رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وربما هاجر إليه، وقاتل معه، وصلىٰ خلفه، فكم يفرح الإنسان ويتهلل وجهه وينشرح صدره إذا زار عالمًا من العلماء أو شيخ من الشيوخ.

فكيف بمن يأتي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، يصلي خلفه، ويستفيد منه ومن سمته وهديه وأخلاقه وعلمه، فهذا هو الاصطفاء العظيم.

قيل لعبد الله بن المبارك: عمر بن عبد العزيز أفضل من معاوية رضي الله عنه، فقال: (معاوية صلىٰ خلف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فلما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «سمع الله لمن حمده»، قال معاوية: «اللّٰهم ربنا ولك الحمد»).

قوله: (وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ): خلافًا للرافضة والباطنية الذين تبرأوا من الصحابة إلا جماعة يسيرة سبعة عشر، والخوارج تبرأوا من كثير من الصحابة، وأهل السنة والجماعة يحبون جميع الصحابة.

وهكذا النواصب تبرأوا من آل البيت، وأهل السُنة يحبون آل البيت الصالحين، ويحبون بقية أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولا يتبرؤون من أحد منهم، ولا يبغضون أحدًا منهم، فمن أبغض أحدًا من الصحابة لدينه ولنصرته فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأنه لم يرض ما رضيه الله عز وجل: ﴿رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾، في آيات كثيرات، وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

قوله: (وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ): لا يكفي أن تحبهم فقط، بل يجب عليك أن تبغض من يبغضهم، كالرافضة والخوارج والنواصب وغيرهم من المبطلين، فلا يجوز لك أن تحب من يبغض صحابة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

فمن أبغض صحابة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وطعن في دينهم يُبغض ويُحذر منه، فالصحابة رضوان الله عليهم هم صفوة الأمة وخيرها، والطعن فيه طعن في الشريعة بل وطعن في رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، بل طعن في الله عز وجل، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، فهم داخلون في الخيرية دخولًا مُطلقًا.

قوله: (وبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ): بل هو علامة النفاق أي: بغضهم وذكرهم بغير الخير، حتىٰ في أمور وقعت بينهم، ينبغي أن نكف ألسنتنا عن الخوض عن ذلك

الأمر، وليكن حالنا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قوله: (ولا نَذْكُرُهُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ): نذكرهم بما ذكرهم الله به، وبما ذكرهم به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وبما ثبت لهم من الفضل.

قوله: (وحُبُّهُمْ دِينٌ وإيمانٌ وإحْسانٌ): دين يُدان به، ويُتعبد به، ويتقرب به إلىٰ الله، وإيمان أمر الله به، وإحسان: إحسان إلىٰ الخلق، وإحسان إلىٰ الرب بطاعته، وإحسان إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، بالثناء عن صحابته، وهو القائل صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»، متفق عليه.

والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»، فمن سب أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقد أساء، ومن أبغضهم فقد أبعد: (وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ونِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ).

[وَنُثْبِتُ الخِلافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أَوَّلاً لأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه تَفْضِيلاً لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه ثُمَّ لِعَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالأَئِمَّةُ المُهْتَدُونَ].

الشرح:

قوله: (وَنُثْبِتُ الخِلافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أَوَّلاً لأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه تَفْضِيلاً لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ): وهذا ثابت بالسنة والإجماع، فالخليفة بعد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه، وهو عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة التيمي، مع اختلافهم، هل كانت خلافته بالنص، أم كانت بالإشارة.

- والصحيح: أنها بالنص الخفي لا الجلي.

ومن النصوص قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»، متفق عليه.

وفي حديث أبي موسىٰ في "الصحيحين": قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، إلىٰ غير ذلك من الادلة.

قوله: (ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه): فقد أجمعت الأمة عليه، وكان اختياره من الخليفة السابق، من عهد عهده أبو بكر **رضي الله عنه** إلىٰ عمر.

فالنبي صلىٰ الله عليه وسلم أشار إلىٰ خلافة أبي بكر، وأبو بكر **رضي الله عنه** اختار عمر خليفة.

قوله: (ثُمَّ لِعُثْمَانَ بن عفان): لما قُبض وقُتل عمر بن الخطاب جعل الأمر في ستة، توفي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو عنهم راض، وهو راضٍ عن غيرهم من صحابته، لكن هؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة، فكان الأمر في ستة، فاجتمعوا فتنازل الستة إلىٰ ثلاثة جعلوها في علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن بن عوف: أنا ليس لي به رغبة، ولكن عليكم العهد والميثاق أن يكون من اخترته بعد تبين، فما زال ينظر في الأمر حتىٰ قدمَ عثمان بن عفان **رضي الله عنه**، ورضي الصحابةُ رضوان الله عليهم عثمانَ بن عفان **رضي الله عنه**، فكانت الخلافة علىٰ هذا الوجه.

قوله: (ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ): وهو ورابعهم في الفضل وفي الخلافة.

وفضائلهم مشهورة في غير ما كتاب مذكورة.

[وَأَنَّ نُحِبُّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، كما شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بكر، وعمر، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطِلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رضي الله عنهم أجمعين].

الشرح:

- **والمبشرون بالجنة** أكثر من ذلك، وإنما ذُكر العشرة لشهرتهم، ولاجتماعهم في حديث واحد، حديث سعيد بن زيد جاء عن عبد الرحمن بن عوف؛ جاء عند الترمذي عن سعيد بن زيد قال: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»

قوله: (وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ): قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لِأَهْلِ نَجْرَانَ: «لَأَبْعَثَنَّ يَعْنِي عَلَيْكُمْ يَعْنِي أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ». فَأَشْرَفَ أَصْحَابُهُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه، متفق عليه.

وكل هؤلاء فضائلهم كثيرة ومشهورة، وفي غير كتاب مسطورة، ونشهد كذلك لمن شهد له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من غيرهم كثابت بن قيس بن

شماس، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد والحسن والحسين والرميصاء، وغير ذلك.

❁ ذكر شيء من فضائل الصحابة:

قلت في "الدرة الفريدة شرح المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة": [[قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم * وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [الأنفال:٧٤-٧٥].

وقال عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [الحشر:٨-٩].

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار *

رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَاد * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَاب﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٥].

وقال عز وجل: ﴿لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون * أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

وقال عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِين * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُون * الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾ [النحل:٤١-٤٢].

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ [التحريم:٨].

وقال ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وقال عز وجل: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥].

وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي- رضي الله عنهم وأرضاهم-.

- فمن فضائل الصديق الأكبر (أبوبكر رضي اللّه عنه):

ما جاء عند البخاري (٣٦٥٦): عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ أن رسول الله جلس علىٰ المنبر؛ فقال: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»؛ فَبَكَىٰ أَبُوبَكْرٍ وَبَكَىٰ، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ الله هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُوبَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ؛ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ».

وأخرج مسلم في صحيحه (٢٣٨٣): عن عبدالله بن مسعودرضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ الله صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤): عن عمرو بن العاصرضي الله عنه: «أن رسول الله بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ؛ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»؛ فَعَدَّ رِجَالًا.

وأخرج مسلم (١٠٢٨): عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تبع مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ».

وأخرج البخاري (٣٦٦١): عن أبي الدرداءرضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّإِذْ أَقْبَلَ أَبُوبَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّىٰ أَبْدَىٰ عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَالتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَىٰ عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَىٰ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَّمَ أَبُوبَكْرٍ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فَسَلَّمَ فَجَعَلَ

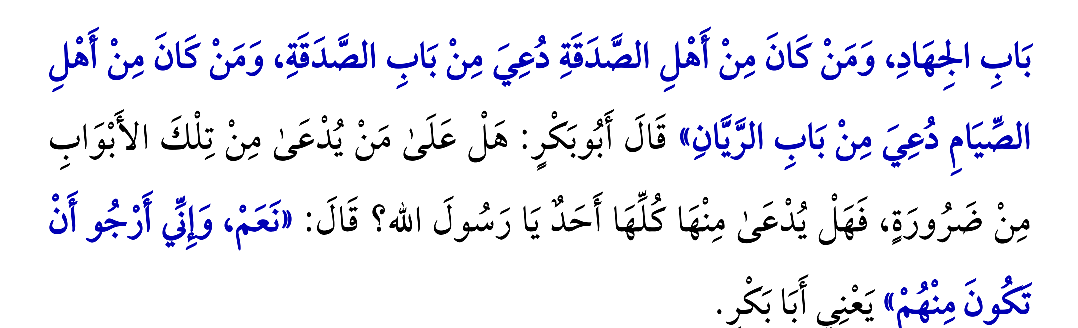


وَجْهُ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم يَتَمَعَّرُ حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُوبَكْرٍ، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

وأخرج البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨): عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله! فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَ أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا ثَمَّ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ».

وأخرج البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩١): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَالله يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ».

وفيهما: البخاري (٣٦٦٦) ومسلم (١٠٢٧): عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ الله دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَا عَبْدَالله، هَذَا خَيْرٌ لَكَ وَلِلجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ



بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: هَلْ عَلَىٰ مَنْ يُدْعَىٰ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»** يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ.

وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٧٤) ومسلم(٢٤٠٣): عن أبي موسىٰ الأشعريرضي الله عنه: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ الله، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا فَخَرَجْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّىٰ قَضَىٰ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم اليَوْمَ فَجَاءَ أَبُوبَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا أَبُوبَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: **«ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»** فَأَقْبَلْتُ: حَتَّىٰ قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُوبَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم مَعَهُ فِي القُفِّ وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ



خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**» فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم بِالجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تُصِيبُكَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الآخَرِ. قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِالله: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ».

- ومن فضائل عمر رضي اللّه عنه:

نزيد علىٰ ما تقدم في البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤): عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما -قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا، فَقَالَ: لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**» فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، أَعَلَيْكَ أَغَارُ».

وأخرج البخاري (٣٦٨١) ومسلم (٢٣٩١): عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ فِي ظُفْرِي، أَوْ قَالَ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ فَضْلَهُ عُمَرَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا أَوَّلْتَهُ قَالَ: «العِلْمَ». ورؤيا الأنبياء وحي.

واتفقا: علىٰ حديث أبي سعيدرضي الله عنه البخاري رقم (٣٦٩١) ومسلم (٢٣٩٠): قال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الدِّينَ».

وأخرج البخاري (٢٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦): عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَىٰ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم وَرَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ».

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي، وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم، قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَغْلَظُ، وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَ



رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» رواه البخاري (٣٦٨٦).

- ومن فضائل عثمان رضي الله عنه:

نزيد علىٰ ما تقدم قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم في شأنه «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»[١] فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وأخرج البخاري (٣٦٩٦): "عن عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ؛ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ؛ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ، قَالَ مَعْمَرٌ: أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ؛ فَانْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلىٰ الله عليه وسلم بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ صلىٰ الله عليه وسلم؛ فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله صلىٰ الله عليه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٧٨).

وسلم ؟، قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَىٰ العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا صلىٰ الله عليه وسلم بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم وَبَايَعْتُهُ؛ فَوَ الله مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثُمَّ أَبُوبَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ؛ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ؛ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ».

وأخرج رقم (٣٦٩٨): عن عُثْمَانُ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ؛ فَرَأَىٰ قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدِّثْنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: الله أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ الله عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله صلىٰ الله

عليه وسلم عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»؛ فَضَرَبَ بِهَا عَلَىٰ يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

وأخرج مسلم (٢٤٠١): عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُول الله صلىٰ الله عليه وسلم مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُوبَكْرٍ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُول الله صلىٰ الله عليه وسلم وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُوبَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ».

- ومن فضائل رابعهم وهو: علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه :

ما أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦): عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ؛رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ الله ن قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ؛ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم

فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ؛ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وقال عنه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وفي مسلم (٧٨) عنه رضي الله عنه أنه قَالَ: "وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ».

وعن بريدة عند أحمد (٥/ ٣٤٧) وغيره مرفوعًا: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

- ثم بقية العشرة، وهم المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٤٧) قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ».

وجاء الحديث عن سعيد بن زيد أيضًا عند الترمذي (٣٧٤٨)، والحديث حسن.

وقد مات رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ كما في البخاري (٣٧٠٠) عن عمر رضي الله عنه، وذكر عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وسعيدًا.

هذه إشارات إلىٰ فضائل هؤلاء القوم الذين نصر الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين.

ومن الواجبات تجاههم: أن نترحم عليهم ونذكر فضائلهم ونكف عن مساويهم لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها -في مسلم: قالت: «**يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لهم؛ فسبوهم**»]]. اهـ

وقلت في المنظومة الرُّكرية:

١١٣- وَحُبُّ صَحْبِ لِلرَّسُولِ وَاجِبُ	يُبْغِضُهُمْ مُنَافِقٌ مُجَانِبُ
١١٤- قَدْ عَايَشُوا التَّنْزِيلَ وَالْقُرْآنَا	وَفَضْلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ قَدْ بَانَا
١١٥- فَضَّلَهُمْ رَبِّي عَلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ	وَهُمْ حَقِيقٌ حَيْثُ أَبْلَوْا جُهْدَهُمْ
١١٦- فَأَخْلَصُوا قَوْلًا وَفِعْلًا مَعْ عَمَلْ	وَتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الزَّلَلْ
١١٧- أَعْلَاهُمُ فَضْلًا هُوَ الصِّدِّيقُ	صَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْعَتِيقُ
١١٨- يَلِيهِ فِي الْفَضْلِ أَبُوحَفْصٍ عُمَرْ	لَهُ مَنَاقِبٌ لَنَا فِيهَا عِبَرْ
١١٩- قَدْ وَافَقَ الْقُرْآنَ وَالتَّنْزِيلَا	أَبْلَىٰ بَلَاءً لَنْ تَرَىٰ مَثِيلَا

١٢٠- ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ فِي الْفَضِيلَهْ	صِهْرُ الرَّسُولِ سَالِكٌ سَبِيلَهْ
١٢١- مِنَ النَّبِيْ زُوِّجَ بِابْنَتَيْنِ	كَرِيمُ طَبْعٍ كَانَ ذَا النُّورَيْنِ
١٢٢- رَابِعُهُمْ خَيْرًا وَفَضْلًا طُرًّا	أَبُوتُرَابٍ يَا لَهَا مِنْ بُشْرَىٰ
١٢٣- ابْنَاهُ سَيِّدَا شَبَابِ الْجَنَّةِ	قَدْ صَحَّ هَذَا عَنْ طَرِيقِ السُّنَّةِ
١٢٤- تَمَامُهُمْ فِي الْفَضْلِ أَعْنِي الْعَشَرَهْ	خَيْرُ الصِّحَابِ وَالثِّقَاتِ الْبَرَرَهْ
١٢٥- سَعْدٌ سَعِيدٌ وَأَبُوعُبَيْدَهْ	وَطَلْحَةٌ أَفْعَالُهُ رَشِيدَهْ
١٢٦- ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَابْنُ عَوْفٍ بُشِّرُوا	بِجَنَّةٍ جَمِيعُهُمْ قَدْ ظَفِرُوا
١٢٧- عَائِشَةٌ فِي الْفَضْلِ مَعْ خَدِيجَةِ	وَقَذْفُهَا كُفْرٌ بِغَيْرِ رِيبَةِ
١٢٨- بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ	مُهَاجِرِينَ ثُمَّ مِنْ أَنْصَارِ
١٢٩- وَمِثْلُهُ حَقٌّ لِآلِ الْمُصْطَفَىٰ	أَخُصُّ مِنْهُمْ صَالِحًا قَدِ اقْتَفَىٰ
١٣٠- سَيِّدَةُ النِّسَاءِ أَعْنِي فَاطِمَهْ	وَحَقُّ كُلِّ صَاحِبٍ فِي تَرْجَمَهْ
١٣١- لَا يُذْكَرُونَ بِسِوَىٰ الْجَمِيلِ	فَضْلُهُمُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
١٣٢- وَحُبُّهُمْ فَرْضٌ عَلَيْنَا وَاجِبُ	مَنْهَجُهُمْ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّائِبُ
١٣٣- أَزْكَىٰ الْوَرَىٰ شَهَادَةُ الْمُخْتَارِ	مُسَطَّرٌ بِأَجْمَلِ الْآثَارِ
١٣٤- يُبْغِضُهُمْ رُوَيْفِضٌ مُنَافِقُ	فَاحْذَرْ هُدِيتَ ذَا سَبِيلٌ مَاحِقُ
١٣٥- وَاحْذَرْ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْأَفَاضِلِ	طَرِيقُ صُوفِيٍّ قَبِيحٍ عَاطِلِ

***

[وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ المقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ].

الشرح:

قوله: (وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ المقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ): أي: الذي يحسن القول في أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وفي زوجات النبي صلىٰ الله عليه وسلم، بريء من الرفض والنفاق، أما من تكلم فيهن واتهمهن بشيء مما برأ الله منه عائشة، رضي الله عنها فهو منافق زنديق حلال الدم.

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ أَوْعَىٰ مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتُ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا زَعَمُوا أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي،

فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَىٰ مِنَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّىٰ نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ

نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَىٰ مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَىٰ أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَىٰ نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟»، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

صلىٰ الله عليه وسلم: «**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا وَاللهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّىٰ هَمُّوا، وَرَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عَلَىٰ المِنبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا، وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّىٰ أَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**»، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه

وسلم، قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللهُ، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ، فَوَاللهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: لاَ وَاللهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا

قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: {وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا} إِلَىٰ قَوْلِهِ {غَفُورٌ رَحِيمٌ} فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ". متفق عليه.

وهذه مسائل تكلم عنها شيخ الإسلام في الصارم المسلول بكلام نفيس يرجع إليه من أراد التزود.

[وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ وَأَهْلُ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لا يُذْكَرُونَ إلاَّ بِالجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ].

الشرح:

قوله: (وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ): هذا ترتيب جميل، بعد أن ذكر الصحابة، وما لهم من المنزلة، أراد أن يبين أيضًا فضل علماء السلف، الذين يدعون إلىٰ ما كان عليه الصحابة والأئمة الأعلام، وما كان عليه النبي **عليه الصلاة والسلام**، فعلماء السلف لهم منزلة عالية، ومرتبة سامية، ينبغي أن يذكرون بالخير والجميل، فهم الذين نقلوا لنا سنة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ودافعوا عنها وجاهدوا لإعلانها، وابتلوا في سبيل تبليغها.

ويدخل في علماء السلف الصحابة ابتداء، ثم من بعدهم من التابعين، ويدخل فيهم تابعون التابعين، الثلاثة القرون المفضلة، وهكذا من سار علىٰ سيرهم، إلىٰ يومنا هذا.

قوله: (أَهْلُ الخَيْرِ): أهل الخير لتمسكهم بالخير الذي هو الإسلام، (والأَثَرِ): لأخذهم بالآثار الجميلة العظيمة، التي أُخذت من النبي صلىٰ الله عليه وسلم ومن أصحابه الكرام.

قوله: (وَأَهْلُ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ): الذين فقههم مأخوذ من الكتاب والسنة، لا بالرأي ولا بالقياس الفاسد، وإنما مأخوذ بالكتاب والسنة، فمن فوقهم، محسر، ومن دونهم مقصر، وهم بين ذلك لعلىٰ هدىٰ مستقيم، كما قال عمر بن عبد العزيز في وصفهم.

قوله: (لا يُذْكَرُونَ إلاَّ بِالجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ): تُذكر فضائلهم وهي كثيرة، وإن وجد من أحدهم معصية أو مخالفة، تغمر فيما لهم من الفضائل العظيمة، والمناقب الكريمة، ولكن خفافيش الدجىٰ هم الذين يتتبعون العورات، ويذكرونهم بالمثالب والزلات. ولشيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ كلام نفيس في أواخر الواسطية، قد لا تجده في غير ذلك الموطن، يتكلم عن فضائل الصحابة ومنزلهم ومن إليهم، وهكذا من سار علىٰ سيرهم إلىٰ يوم القيامة فهو معدود من السلف أصحاب الحديث رضوان الله عليهم.

قال ابن تيمية في "الواسطية": [**فَصْلٌ**: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وَطَاعَةَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ ـ وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ـ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم، بَلْ لَقَدْ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ



تَقْدِيمِ عُثْمَانُ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما ـ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ـ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِه الْمَسْأَلَةُ ـ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ـ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه ـ وَقَدِ اشْتَكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ ـ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي»، وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رضي الله عنها أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ

الصِّدِّيقِ رضي الله عنها، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ ـ إِنْ صَدَرَ ـ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلىٰ الله عليه وسلم الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ. ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ

فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ]. اهـ

والتسمية بالسلفية تسمية ثابتة عليها أدلتها من الكتاب والسنة، وفي هذه العبارة الإخبار أن من أبغض علماء السنة فهو علىٰ غير السبيل، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم في علي بن أبي طالب: «أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»، أخرجه مسلم.

وقال في الأنصار: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ».

[ولا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَنَقُولُ نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ].

الشرح:

قوله: (ولا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَنَقُولُ نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ): هذا رد علىٰ الصوفية، وغلاتهم كفار، لا يُشك في ذلك أبدًا، فلو ينظر الناظر في أحوالهم وأقوالهم لرأىٰ ذلك ظاهرًا عيانًا لكل ذي عينين، فهم لا يؤمنون بالله ربًا كما أمر ولا بالإسلام دينًا ولا بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم نبيًا، لو لم يكن إلا أنهم يرون أن الأولياء أفضل من الأنبياء،

نعوذ بالله، فنبي واحد أفضل من جميع الأولياء، لأن المراتب: الرسالة ثم النبوة، ثم الصديقية، ثم الشهداء، ثم العالِمون ومن إليهم، وأفضل الأولياء وأعلاهم هم الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، وقال: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فليست الولاية قميص، يتقمص به بعضهم، ويقول أنا ولي، وربما جوع نفسه، وتعلم بعض الحركات، من أجل أن يظهر أنه ولي، الولاية تنال بطاعة الله عز وجل، وقد بين الشوكاني رحمه الله تعالىٰ في كتابه قطر الولي، علىٰ حديث الولي أن أقرب الطرق لولاية الله عز وجل هي الإتيان بفرائض الله عز وجل، قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عز وجل: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»[1]، وأولياء الله هم المتقون، كما قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

أما إنسان يتعاطىٰ السحر والشعوذة، ويقول أنا ولي لله عز وجل، أنىٰ له الولاية وهو علىٰ هذا الطريق الردي، ولو تأملت في كتاب كرامات الأولياء للنبهاني وكرامات الأولياء لليافعي، لرأيت العجب العجاب، فينبغي أن يسمىٰ بفضائح الصوفية، وهكذا كتاب إحياء علوم الدين، كتب فيها فضائح يتعاطون المنكر والمسكر والفسق والعهر، علىٰ أنها كرامات وهي من أفعال الفساق،

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.



ويذكرونها كرامات، ويزعمون أن أولياءهم لهم القدرة علىٰ التحول، يذكرون ببعضهم، يقول: فظهر تارة بلحية وتارة بدون لحية، وتارة طويل وتارة قصير، فاعتقاد مثل هذه الأمور كفر في الربوبية وليس في الألوهية فقط.

وقد تكلم ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ بكلام نفيس علىٰ الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، يعود إليه من أراد معرفة ذلك.

[وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ].

الشرح:

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ): **أي: نؤمن بكرامات الأولياء**، فكرامات الأولياء ثابتة خلافًا للمعتزلة، الذين لا يؤمنون بها، ومن ذلك ما قصه الله عز وجل علينا في كرامة أصحاب الكهف، وما قص الله عز وجل علينا في كرامة عزير، وما قص الله عز وجل علينا في إكرامه أنبيائه ورسله وغير ذلك، وهكذا ما جاء من إكرام الله عز وجل لنبينا صلىٰ الله عليه وسلم، ولصحابة النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهكذا للأولياء إلىٰ أن تقوم الساعة، ما زالت الكرامات ظاهرة ومحققة.

والمعتزلة لما نفوا الكرامات، قالوا إثبات الكرامات يستلزم منه أن يلتبس أمر النبي، وهذا ليس بصحيح، فإن الكرامة إنما تكون كرامة للمتبع للنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

وهناك فروق بين الكرامة وبين ادعاءات المبطلين؛ لأنهم يقولون قد يدعي المبطلون بعض الكرامات، وهذه يكفي في إذلالهم أنهم ادعوا ما ليس لهم، يكفي أنهم يكذبون علىٰ الله وعلىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

والمتأمل لحال الحلاج يجد ذلك عيانًا، كيف كان يتكلف في الكرامة، فكان يرسل أتباعه إلىٰ المناطق، يقول اذهبوا إلىٰ منطقة فلان، فيذهب ذلك التابع ويتمرض، بعد أيام بعد أن يحبه الناس يظهر المرض، ثم بعد أيام في الموعد الذي قد ضربه لهم، يمرض حتىٰ لا يستطيع أن يقوم من علىٰ فراشه، فيقول لهم رأيت الليلة رؤيا أو جاءني آت فأخبرني أن في المسجد رجل فقير وهم الصوفية شفائي علىٰ يديه، يأتون المسجد يجدون الحلاج جالسًا مختفيًا في ثوبه أو لحافه فيأتون إليه بصاحبهم فأول ما يبصق عليه ويتمسح به يقوم، فعند ذلك يتبركون به ويتمسحون به، ويعتقدون فيه الكرامة، كرامات مصطنعة، هذه ليست بكرامة.

فكرامة الأولياء تنال بطاعة الله عز وجل بتوحيده، بإفراده بالعبادة بمتابعة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، لا يمكن أن يكون وليًا من غير هذه الأصناف، ولي مبتدع له ولاية عظيمة، نعم كل مسلم يعتبر ولي لله عز وجل في الجملة، لكن الولاية التي يُثنىٰ علىٰ المؤمن بها، والكرامة التي يثنىٰ علىٰ المؤمن بها، هي المداومة علىٰ طاعة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولهذا جاء عن ابن تيمية رحمه الله أعظم كرامة دوام الاستقامة، فهي أعظم كرامة أن تموت وأنت موحد لله عز

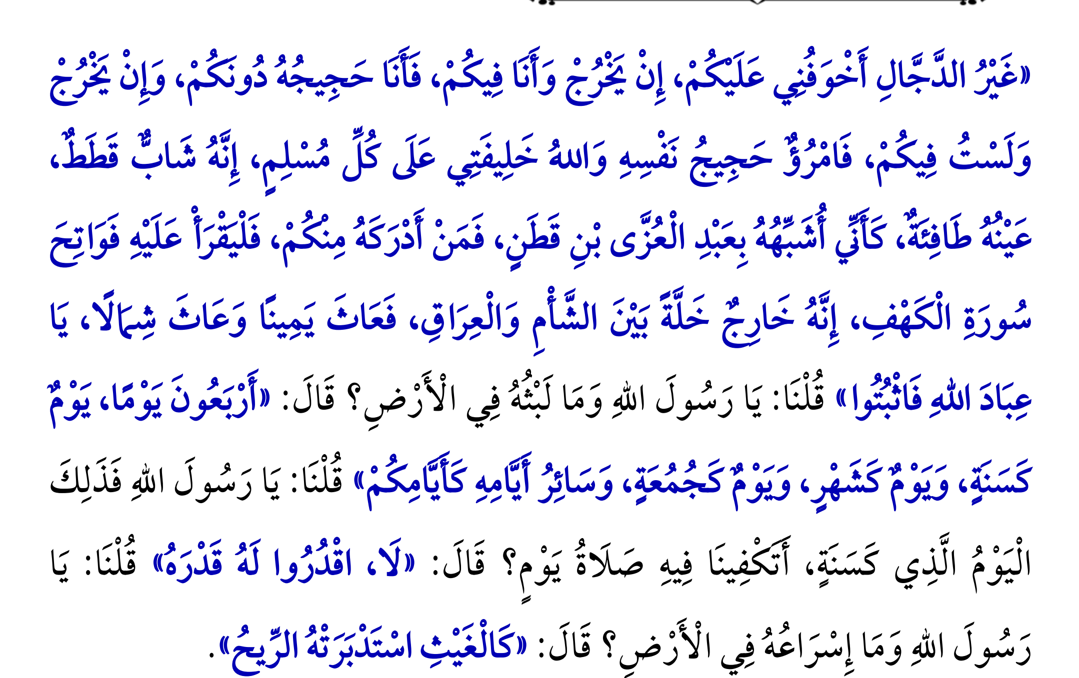
وجل، أن تموت وأنت متابع لنبي الله صلىٰ الله عليه وسلم، أن تكون علىٰ منهج السلف.

[وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مَنْ موضِعِها].

الشرح:

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مَنْ موضِعِها): اشراط الساعة قد أُلِفَت فيها كتب، ومصنفات، فنؤمن بما ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾، وأشراط الساعة: **علاماتها**، ومنها الصغرىٰ ومنها الكبرىٰ.

والكبرى: خروج الدجال، رجل من اليهود يطوف الأرض في أربعين يومًا يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وبقية الأيام كأيامنا، فتنته عظيمة، أَلفتُ فيها كتابا "تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال". وأحاديثه كثيرة، وأشرها ما جاء عند مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ:



«غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ».

والذي نؤمن به: أن الدجال موجود الآن، كما في حديث الجساسة الذي قصه النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ورواه عن أبي تميم الداري، وهو من رواية الأكابر عن الأصاغر؛ فعن فاطمة بنت قيس قالت: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عَلَىٰ مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ» وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ،



فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»- وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ - فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا،

مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ

أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم". أخرجه مسلم.

ونؤمن بخروج يأجوج ومأجوج؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾، وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، وقد تقدم ذكر شأنهم في حديث النواس رضي الله عنه.

ونؤمن بنزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، فيقتل الدجال كما تقدم، **ويكون من شأنه أنها**: تقع الأَمَنَة في الأرض حتىٰ يلعب الأطفال بالحيات، ويرعىٰ الذئب مع الغنم ولا يؤذي أحد؛ فعَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ: دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ، حَتَّى تَهْلِكَ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْإِبِلُ مَعَ الْأُسْدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ»، أخرجه أحمد.

وقوله: (وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا): كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

المراد ببعض آيات الله: طلوع الشمس من مغربها، كما هو مفسر من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ

النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا}، متفق عليه.

وقد جاء عند الترمذي عن أبي سعيد عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فِي قَوْلِ اللهِ عز وجل: {أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} قَالَ: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وجاء عند مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»، وهذه من أظهر العلامات وأشهرها.

ثم تخرج الدابة ضحىٰ؛ ففي حديث عبد الله بن عمرو في مسلم يقول: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا».

ومن شأن الدابة: أنها تكلم الناس وتخطمهم: (مؤمن وكافر)، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾.

[وَلا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلا عَرَّافًا وَلا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ].

الشرح:

قوله: (وَلا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلا عَرَّافًا): لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»؛ أخرجه البزار عن جابر رضي الله عنه، وجاء من حديث أبي هريرة عند أحمد، وحديث أبي هريرة فيه أبو تميمة الهجيمي، لم يسمع من أبي هريرة.

عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم عَنِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، أخرجه مسلم.

ومن صدقهم فقد صدقهم في ادعاء علم الغيب، ويكفر لهذا فإن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

والساحر كافر كما أخبر الله عز وجل: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾.

قوله: (وَلا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ): أي: لا يُصدِّق من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الامة؛ وذلك لم يجر إليه من مخالفة الشرع والقول علىٰ الله بلا علم، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ



وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

فالمسألة عائدة إلىٰ الكتاب والسُنة أخذًا وردًا، وقبولًا واعراضًا، وكذلك الإجماع ما أجمعت عليه الأمة لا يجوز مخالفته، فمخالفة الإجماع كمخالفة الدليل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

[وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعذابًا].

الشرح:

قوله: (**وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا**): أي: جماعة المسلمين حق وصواب وإن كنت وحدك، والجماعة هم: الصحابة ومن سار علىٰ سيرهم، وهذا أهل السُنة في كل زمن وحين، وهكذا الحق ومثله إمام المسلمين فلا يجوز الخروج عن الجماعة، وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ»، أخرجه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قوله: (**والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعذابًا**): الفُرْقة من الافتراق زيغ وعذاب وسبب للشر، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (**الخلاف شر**).

وسبب بلاء الأمة من الفرقة، قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾.

وتأخر حال الأمة لمَّا كثرت الحزبيات، تأخرت الدعوة بسبب الحزبيات والتفرقات، فما ضر دعوة أهل السنة والجماعة الصوفي ولا الرافضي والخارجي بقدر ما يضرها الحزبي، الذي يتقمص بِقماصها، ويلبس رداءها، ثم يطعن في حملتها، ويحارب من ينشرها ويدعو إليها، ولذلك كلما كان المخالف للكتاب والسنة أخفىٰ كان أضر، كأهل التحزبات، لأن الناس يظنونه سلفيًا علىٰ الجادة، وهو مخالف لهدي السلف رضوان الله عليهم، ومحارب لحملة السُنة، فما أضر من الحزبية في هذا الزمان، إذ أنها تنصر كل مبطل علىٰ الحق.

[وَدِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ والسَّمَاءِ وَاحِدٌ وَهُوَ دِينُ الإِسْلامِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾].

الشرح:

قوله: (**وَدِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ والسَّمَاءِ وَاحِدٌ وَهُوَ دِينُ الإِسْلامِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾**): فالإسلام هو دين الملائكة ودين البشر، الدين الحق الذي يتعبد لله عز وجل به، **فالإسلام هو:** الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، فهو أخذ بما أوحاه الله وشرعه، والإسلام لهم معنيان: (**معنىٰ خاص، ومعنىٰ عام**).



أما المعنى العام: فهو الإسلام الذي أنزله الله علىٰ جميع الرسل، وأنزل به جميع الكتب، وهو الإسلام الذي يتعبد لله عز وجل به.

وأما المعنى الخاص: فهو الإسلام الذي أنزله الله وأوحاه إلىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فهو ناسخ لجميع الأديان، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والإسلام هو دين وسط عدل خيار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، وسمىٰ الله عز وجل المسلمين بهذا الاسم، كما أخبر بذلك إبراهيم عليه السلام كما قص الله عز وجل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾.

[وَهُوَ بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ].

الشرح:

قوله: (وَهُوَ بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ): أي: الإسلام الحق بين الغلو فيه والتقصير عنه، فما من عمل من أعمال الدين، إلا والناس فيه ثلاثة أقسام؛ كما صرح بذلك ابن القيم وغيره:

الأول: غلاة.

الثاني: **وجفاة.**

الثالث: **ووسط.**

وأهل السنة هم الوسط بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين غلو الخوارج وجفاء المرجئة، وغلو الروافض في آل البيت وجفاءهم حق الصحابة.

وهكذا النواصب جفوا في آل البيت، وغلوا في حق بني أُمية، والجبرية في الإثبات غلاة، وفي النفي جفاة، والقدرية المعتزلة في النفي غلاة، وفي الإثبات جفاه، والمعطلة في التنزيه غلاة، وفي الإثبات جفاة، والممثلة في الإثبات غلاة، وفي التنزيه جفاة، وهكذا أهل التشبيه والتعطيل، فالمعطلة عطلوا الله عز وجل من أسمائه وصفاته، والممثلة مثلوا الله بمخلوقاته، فكل منهم كافر، وكل منهم علىٰ طرفي نقيض.

قوله: (وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَرِ): فالجبرية غلوا في إثبات قدرة الله واستطاعته ومشيئته وفعله، وعطلوا العبد من جميع ما هو له، والنفاة زعموا أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، وعطلوا الله عز وجل من استطاعته ومشيئته، كما تقدم.

قوله: (وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ): كذلك أهل السُنة وسط في هذا الباب، بين الأمن من مكر الله واليأس من روحه، فالخوارج عبدوا الله عز وجل بالخوف، والمُرجئة عبدوه بالرجاء وحده؛ ولهذا قيل من عبد الله بالخوف وحده فقد فهو حروري، والخوف المطلق يؤدي إلىٰ اليأس من روح الله عز وجل وهذا كفر،



كما قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وكذلك: الأمن المطلق من رحمة الله عز وجل كفر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، فلا بد أن تكون وسطًا بين الآمنين واليائسين، وتعبد الله عز وجل بالخوف والرجاء والمحبة، خلافًا لأهل البدع، فغلاة الصوفية يعبدونه بالمحبة وحدها، والخوارج يعبدونه بالخوف وحدة، والمرجئة يعبدونه بالرجاء وحده، وأهل السنة والجماعة يعبدونه خوفًا ورجاء ومحبة، كما أخبر الله عز وجل عن رسله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، بخلاف ما تقول تلك الجاهلة الجويهلة:

عبـــدتك للحـــب لا رغبـــة ... ولا رهبـــة باســـم مـــا يـــأفكون

فقولها: (عبدتك للحب لا رغبة) يعني: عبدتك يا الله لمحبتي لك فقط، لا رغبة فيما عندك ولا خوفا منك، وهذه هي الزندقة بعينها، ثم تزعم أن هذا هو دين الحق وأن غيره إفك، دين الأنبياء: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يسأل الله عز وجل الجنة ويستعيذه من النار.

والأمن من مكر الله عز وجل واليأس من رحمته من كبائر الذنوب، وعظيم الآثام، فالمؤمن ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء كجناحي طائر إلا أنه عند

الموت يغلب الرجاء، لقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ»، أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

[فَهذا دِيْنُنا وَاعتِقَادُنا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَنَحْنُ بُرءَاءُ إِلَى اللهِ مِنْ كلِّ مَنْ خَالَفَ الذِي ذكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ].

الشرح:

قوله: (فَهذا دِيْنُنا وَاعتِقَادُنا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَنَحْنُ بُرءَاءُ إِلَى اللهِ مِنْ كلِّ مَنْ خَالَفَ الذِي ذكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ): هذا الإطلاق فيه نظر، كيف يبرأ إلىٰ الله عز وجل ممن خالفها وله بعض المخالفات الذي قيدها وسطرها، كقوله: في الإيمان وغير ذلك مما تقدم بيانه، فما كان من حق فهو ديننا واعتقادنا، وما خالف فيه الحق، فليس بديننا وليس باعتقاد لنا، بل لا يجوز أن نرضاه.

[وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمانِ وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ والآراءِ المُتَفَرقَةِ وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ].

الشرح:

قوله: (وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمانِ وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ والآراءِ المُتَفَرقَةِ وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ): **هذا دعاء عظيم**؛ ومثله قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ



الْوَهَّابُ﴾، وقول رسوله صلىٰ الله عليه وسلم: **«اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»**، أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

[مِثْلِ الْمُشَبهةِ والمُعتَزِلَةِ والجَهْمية وَالجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الذينَ خَالفُوا السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ وَحَالفُوا الضَّلالَة، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِندَنَا ضُلاّلٌ وَأَرْدِياءٌ وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ].

الشرح:

قوله: (**مِثْلِ الْمُشَبهةِ والمُعتَزِلَةِ والجَهْمية وَالجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الذينَ خَالفُوا السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ وَحَالفُوا الضَّلالَة، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِندَنَا ضُلاّلٌ وَأَرْدِياءٌ وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ**): ذكر أشهر الفرق في عهده وعصره، فالمشبهة هم الممثلة، ومع ذلك نقل أهل السنة هذا الاسم ويريدون به ما تقدم، فهم الذين يمثلون الله عز وجل بمخلوقاته.

يقول أحدهم: يد الله كيدي، ووجه الله كوجهي، وهذا والعياذ بالله كفر وزندقة وتعطيل لدلالة الكتاب والسنة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ويقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ويقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

قوله: (**والمُعتَزِلَةِ**): أصحاب واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عُبيد الله، سموا بالمعتزلة؛ لاعتزالهم مجلس الحسن البصري رحمه الله، **وهم يزعمون**: أن الله له أسماء، وليس له صفات، يعطلون الله عز وجل من صفاته، مع أن الله عز وجل

كل اسم يتضمن صفة، ومع أن الله موصوف بصفات الجمال والكمال والعظمة والكبرياء، علىٰ ما تقدم بيانه، وهم في باب القدر نفاة.

قوله: (**والجَهْمية**): اتباع جهم بن صفوان الذين يزعمون أن الله ليس له أسماء ولا صفات، ويقولون بخلق القرآن، كلهم يتفق في هذا، في مسألة القول بخلق القرآن، وهكذا نفي الرؤية لله عز وجل يوم القيامة.

ويُنكرون ما يتعلق بعذاب القبر ونعيم القبر، ومنكر ونكير وغير ذلك مما تقدم بيانه.

قوله: (**وَالجَبْرِيَّةِ**): هم الجهمية أصلًا في باب القدر، وهم الذين يعطلون العبد من فعله واستطاعته وقدرته ومشيئته، ويثبتون الأمر لله عز وجل ويجعلون العبد كالريشة في مهب الريح.

قوله: (**وَالقَدَرِيَّةِ**): وهم نفاة العلم، وهؤلاء كفار، ونفاة الخلق وهؤلاء ضُلال، ضلالهم أهل العلم.

والفرق بين القولين: أن نافي العلم مكذب للكتاب والسنة، ونافي الخلق، ملبس جاهل.

وقد تقدم بيان ما في هذا، وغيرهم كالأشاعرة، وفي زمننا كالحزبيين ومن إليهم ممن خالفوا السنة والجماعة، خالفوا طريق النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وطريق الصحابة رضوان الله عليهم، فالجماعة ابتداء هم الصحابة رضوان الله عليهم.

والسنة إذا أطلقت فهي طريقة النبي صلىٰ الله عليه وسلم قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، وحالفوا الضَلال إما بلسان الحال أو بلسان المقال.

ومحالفتهم للضلالة واتفاقهم معها، إما بلسان الحال وإما بلسان المقال، ونحن منهم برآء كما قال عبد الله بن عمر: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ، حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". أخرجه مسلم.

وقبل ذلك قول الله عز وجل مخبرًا عن إبراهيم: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾،

قوله: (وَهُمْ عِندَنَا ضُلاَّلٌ وَأَرْدِياءٌ): (هم) أي: أهل البدع أردياء وضُلَّال، وضلالهم بقدر بدعتهم، فمنهم من يكفر ببدعته كالرافضة، والباطنية وعباد القبور والجهمية ومن إليهم، ومنهم من يكون مبتدعًا ضالًا علىٰ خطر عظيم.

قوله: (وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ): أي: إذا عصمك الله عز وجل من الذنب والزلل فأنت المنصور وأنت المحفوظ، وإذا وفقك الله عز وجل للخير فأنت العامل بالخير، فهذا تعليق مختصر علىٰ هذه العقيدة المهمة.

نسأل الله عز وجل أن يبارك لنا فيما علمناه، وأن يجعلنا ممن يَعْلَم فيعمل، فإن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وإن العمل بلا علم ضلال مبين، كسائر في طريق لا يعلمه، تارة يصل إلىٰ طريق مقطوع، وتارة يخرج في طريق وعر، بينما العامل بالعلم كسائر في طريق ممهد. يوصله إلىٰ الله عز وجل، وإلىٰ مرضاته.

وأهم ما يُهتم به قبل أن تتعلم شيء من الأمور ينبغي لك أن تتعلم عقيدة السلف أصحاب الحديث، قولًا وفعلًا؛ لأن فيها الخالف في العقيدة الضلال والتبديع والتفسيق والمخالفة، وغير ذلك.

بينما إذا تعلمت ما قاله الله، وقال رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، سلمت لك عقيدتك، ثم إن سلامة الأفعال صادر عن سلامة المعتقد، وفساد الأفعال صادر عن فساد المعتقد، والعقيدة أولًا لو كانوا يعلمون، لكن لما جهل كثير من الحزبيين، وكثير من المخالفين شأن العقيدة؛ وقعوا في الباطل، ووقع كثيرٌ منهم في الزندقة، ولم يسلم إلا من سلمه الله، والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[1].

---

(١) وكان الانتهاء من هذا الدرس، يوم الثالث عشر من جمادىٰ الآخرة لعام تسعة وثلاثين لعام وأربعمائة وألف في مسجد الصحابة، وبالله التوفيق، والحمد لله..

الفهرس